مجلة عربية اسلامية
تصدرها دار العلوم بديوبند

العدد الاول ذوالحجة سنة ١٣٩١هـ
المجلد الثامن فبراير سنه ١٩٧٢ء
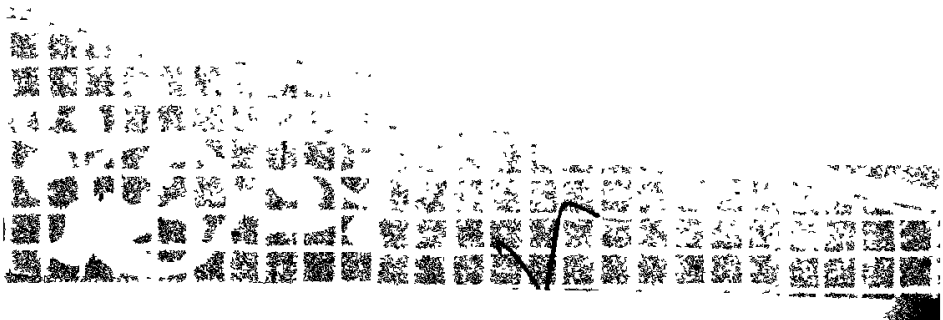
تحت اشراف صاحب الفضيلة الشيخ مولانا محمد طيب رئيس الجامعة

مجلة

دعوة الحق

رئيس التحرير المسئول

وحيدالزمان الكيرانوى

المدرس بدار العلوم بديوبند

الاشتراك السنوى	ثمن العدد الواحد

بالبريد العادى : فى الهند	روبيتان

و باكستان : تسع روبيات

اجرة البريد

للمدارس الاسلامية : ست روبيات

العدد الاول المجلد الثامن

ذوالحجة سنة ١٣٩١ ه

فبراير سنة ١٩٧٢ ع

محتويات هذا العدد

يرسل الاشتراك السنوى ٩ روبيات فى باكستان الى العنوان التالى :

الحاج شوكت على، يوپى سوڈا فيكٹرى ناتهم روڈ ـ لاهور

ملحوظة : يرسل الايصال بعد تحويل المبلغ على البريد

بسم الله الرحمن الرحيم

لفتة القارى

يسعدنا ان نقدم الى قراء دعوة الحق و محبيها فى الهند و خارجها العدد الاول من المجلد الثامن مع الاعتذار بالتأخرمن موعد الصدور كالاعداد السابقة ، و ذلك لصعوبات متعددة لا تزال تطرأ و تعوقنا عن السير على الخطة المرسومة ، وكم يتمنى الانسان و لا تتحقق مناه و تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن . وكم اردنا ان نقدم كل عدد ممتازا عن سابقه فى مستواه العلمى و الادبى و نجعله فى ثوب قشيب من التنسيق و التنويع ولكن هذا العمل كما يتطلب منا بذل ما فى وسعنا من الطاقات ينظر الى القراء و المحبين للمجلة نظرة التماس و استجابة . و يحتاج الى اهتمامهم بها بصورة خاصة . فيسمحوا بتوسيع دائرة قرائها و نطاق انتشارها و امدادهم اياها ببحوث علمية و نفثات اقلام و نتائج افكار حتى يتسنى لها مواصلة سيرها واداء رسالتها فى احسن ما يرجى للمجلة الرفيعة المستوى .

و نحن اذ نشكر جميع اخواننا الافاضل الذين يتكرمون بارسال بحوث و مقالات للنشر فى دعوة الحق نعتذر الى بعضهم بالتأخر فى نشر ما تكرموا بارساله اما لانه لايتطابق مع المستوى المنشور او لا يلائم مسلك المجلة

من الناحية الدينية و الاجتماعية او غير مكتوب كتابة واضحة الحروف على جهة واحدة. من الورق و مثل هذه المسودات تتطلب عملية شاقة من التصحيح و النقل و الترتيب. ولا تزال عرضة للتسويف و الارجاء. فرجاءنا من جميع من يودون نشر موادهم فى دعوة الحق ان يكتبوا دائما على جهة واحدة بحروف واضحة. و هذا من الناحية الشكلية. اما من الناحية المعنوية فيجب ان يكون كل بحث او حديث فى موضوع دينى، علمى، اخلاقى و اصلاحى بحيث لا يجرح شعور فئة دون فئة من المسلمين ويتجنبوا الانحياز الى طائفة دون طائفة والتعصب لها تعصبا لا يسمح به الاسلام، و انما حرصنا فى هذه المجلة على ان تكون هى ادارة اتصال و نقطة ارتباط بين المسلمين. تودى رسالتها «دعوة الحق» الى الجميع على السواء كما هو مسلك دارالعلوم و موقفها المتين. و نحرص كذلك ان نزود قراء دعوة الحق بافكار سليمة و معلومات قويمة و بحوث ناجعة و طرائف علمية تكون فيهم الذوق العلمى و تشعل جذوة ايمانهم و تحيى ضميرهم و تحثهم على اتباع الشريعة الاسلامية المطهرة فى حياتهم الاجتماعية و الفردية. و نحن ان لم نوفق لحد الآن فى خطواتنا توفيقا كاملا لا بد ان نصل الى هدفنا و ندرك منتهانا فى المستقبل القريب بعون الله و توفيقه و اخلاص القراء لمجلتهم انشاء الله. ونرجوا ان يكون هذا العام الجديد للمجلة فاتحة انتشار و ازدها و مدخلا الى حياتها المتجددة من ناحية التنسيق و التبويب و التنويع.

وحيد الزمان الكيرانوى

الانسان الشيطان

بقلم فضيلة الشيخ عبداللطيف السبكى

« وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس و الجن، يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا » (الانعام : ١١٢)

مما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال لابى ذر صاحبه: يا أبا ذر هل تعوذت بالله من شر شياطين الانس و الجن ؟ فقال ابو ذر : يا رسول الله و هل للانس من شياطين؟ قال عليه السلام: نعم، هم شر من شياطين الجن ! و قال مالك بن دينار : ان شيطان الانس اشد على من شيطان الجن . و ذلك أنى اذا تعوذت بالله ذهب عنى شيطان الجن . و شيطان الانس يجيئنى فيجرنى إلى المعاصى عيانا.

و القرآن الكريم يسبق هذه المأثورات بما يذكره فى الآية التى معنا. فيحدثنا ان الله جعل لكل نبى من انبيائه عدوا من الشياطين ومن الانس، ويسمى الانس المعادى لدينه و لانبيائه شيطانا . فهو سبحانه يجمع الفريقين

تحت اسم واحد « الشياطين » لأنهم يقومون بعمل واحد فى الفساد، و الافساد ، و محاربة الدين . و معارضة الرسل .

و الله سبحانه ـ يبين لرسوله محمد صلوات الله عليه ـ كيف كانت عداوة الشياطين من الفريقين فيذكر أن بعضهم يوحى الى بعض زخرف القول : يعنى ان شيطان الجن يوسوس لشيطان الانس فيطرح فى خياله و خواطره زخرفة الاقوال الباطلة التى يعارضون بها دعوة الرسل . و التى يتحدثون بها الى الناس فى ترويج المعاصى . و تهوين المفاسد . و هذه الزخرفة و التحسين يروجان عند صغار العقول . و عديمى الايمان . فينقادون لها وينشطون فى العمل بها . ظانين أنها مستحسنة و صواب ، او مستحسنين لها وهم على علم بمخالفتها للحق الذى ينادى به كتاب الله .

و بهذا يكون المفسدون من النـاس قائمين بوظيفة الشياطين الذين عرفوا بنزعات الانسان و الوسوسة فى خواطره ، و كل ذلك همس يكون خفيا ، لا جهراً . و لهـذا سمى وحيا كما فى قوله تعالى : « و ان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم ، و ان اطعتموهم انكم لمشركون » .

و الله تعالى يحدث نبيه بأن هذه سنة قديمة فى معاداة الشياطين من الفريقين للانبياء ، ليتحمله . كما احتمله رسل سابقون و حكمته تعالى فى تسليط الشياطين من الفريقين على اناس آخرين ان يختبر عباده ، لا ليعلمهم و يعرف امرهم فهو أعلم بهم من انفسهم ، بل ليكشف لهم عن مقدار ايمانهم ، و عن استعدادهم للثبات على دينهم . او سرعة انحرافهم عند البلاء .

فقد يغتر الانسان بنفسه . و يظن أنه مطمئن الايمان و أنه يساوى

غيره من الصادقين المجاهدين الصابرين.

و لا يكاد يفهم درجة نفسه فى تدينه، ولا مقام نفسه بين المومنين حقا الا اذا عرضت له اسباب تكشف له ما خفى عليه من امره. و عندئذ يحاول الكمال اذا تبصروا حسن الاختيار، او يدرك أن تفاوت المنازل بين العباد عند الله منوط بتفاوت الايمان كمالا و نقصا، فلا يكون لا حد عند الله حجة، وهذا اقصى ما نستطيع تصوره من عدل الله تعالى مع خلقه ثم نعود فنقول: ما ذا يقصد الشياطين من زخرفة القول. و تحسين القبائح؟

صرح الكتاب العزيز بذلك فى قوله «غروراً» يعنى لتغرير الناس و دفعهم الى الباطل المزخرف.

و صرح به ثانيا فى قوله «ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة» يعنى لتميل الى هذا الباطل قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة فيتخذوه دينا و معتقدا لهم.

و صرح به ثالثا، فى قوله «و ليرضوه، و ليقترفوا ما هم مقترفون» يعنى ليفرحوا به ويعكفوا عليه. وليرتكبوا من المعاصى ما هم مرتكبون. مستبيحين لهذا الباطل، معرضين عن الحق الذى ينادى به الرسل. وتحفل به الكتب و خاتمها القرآن الكريم.

و انما فعل الله ذلك ببعض عباده لسابق علمه أن استعدادهم سئ، و أن الهدى لا ينفع فيهم، فترتب على ذلك معاملة الله لهم بما هم اهله. و هنا مناقشة فلسفية يتطرق اليها الكلام: و هى هل قدر الله عليهم

الانحراف أولا ، ثم وجد منهم سوء إلاستعداد بسبب ما قدر عليهم وما ذنبهم فى هذا وقد قدر عليهم ؟

و للعلماء توجيهات لا نطيل فيها ، و يكفى أن نأخذ برأى مقبول . و هو أن الله تعالى علم أزلا أن الكفار مثلا يسيئون الاختيار لسوء استعدادهم الفطرى . وسوء الاختيار منهم . فقدر عليهم ذلك الانحراف لما يعلمه من حالهم بعد . فهناك علم سابق بسوء اختيارهم ، ثم قضاء عليهم بالمخالفة والانحراف . ثم وجدت منهم المخالفة تنفيذاً للقضاء . المبنى على سابق العلم .

وكيفما كان فقد ارشد الله الى التحفظ من و ساس الشيطان فقال سبحانه « و اما ينزعنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم » و واضح من هذا ان العبد اذا أحس بخواطر فاسدة تدور فى خياله و ذهنه فليتنبه الى أنها وساوس الشياطين . و ليسرع الى الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم و الاستعاذة بالله حصن يحتمى به العبد و ينجو من مكايد الشيطان ، كما وعد الله بهذا فى قوله « انه ليس له سلطان على الذين آمنوا و على ربهم يتوكلون » .

و اما شيطان الانس ، وهو رفيق السوء . فسهل على المرء ان يتجنبه اذا عرف منه سوء الصحبة ، و الامر أمر يقظة و حسن تقدير فمن راعى جانب الله استطاع أن يتحفظ ، و من غفل عن جانب الله زلت قدمه وساءت عاقبته ، ولن ينفعه صاحب ، ولا ولد . و لامال ولاندم .

و بعد — فقد عرضت الآية الكريمة لذكر الانسان و الشيطان فى نمط واحد :

(ا) ونحن اذا وقفنا ازاء كلمة انسان . لنستوحى معناها وخصائصها .
وما لها عند الله من قدر ، وجدناها فى جانب علوى و فى اطار كريم من
الجلال و الرعاية .

(ب) و اذا وقفنا ازاء كلمة شيطان . و ما يحيط بها من شناعة . و
اقترن بها من مهانة وجدناها فى مهبط سفلى ينحدر فى الخسة حتى لا
ينتهى عند غاية سوى اللعنات اللاحقه به من الله ، وعلى كل لسان .

فانسان : عنوان كريم بشعرنا بالأنس ، و يوحى بالطمانينة ، و يشير
عاطفة الاخاء و المحبة ، و انسان : هو ذلك المخلوق الذى كرمه ربه . و
مجده لدى ملائكته . و شغل الدنيا به ، و خلق ما فيها لأجله و هياه بعقله
و مواهبه للايمان ، و كرر نداءه ، و اطعمه فى مرضاته . و الخلود فى
نعمائه ، و حذره من سخطه ، ولم يترك له من و سائل الهداية أمرا يتعلل
بجهله و يعتذر به عن تخلفه .

و شيطان : عنوان بغيض ، يشير التشاؤم ، و يشعر بالغضاضة ،
والخوف من المكاره ، و يزعج من خطرها ، حتى كانها قرينة لذكر اسمه و
ومحدقة بالمرء و لا مفر .

ويمكن ان نوجز هذه المقارنة فى اعتبار كلمة انسان مرادفة لكلمة
خير . و فى اعتبار كلمة شيطان مرادفة لكلمة شر ، و بين اللفظين فى مدلولهما
ما بين المشرق و المغرب أو بعد ما بين العافية و البلاء .

فما الذى جمع بين مدلوليهما حتى دمجهما فى لفظ واحد و سمى الانسان
شيطانا ، و ما الذى هبط بالانسان عن عليائه ، و جرده من جلاله حتى

اصبح رجيما لا كريما؟.

جواب ذلك : ان الانسـان خرج من اطاره ، و نسى صلته بربه ، و تجاهل عداوة الشيطان له و لأبيه آدم من قبل . ثم طرح جانباً ما اوصاه به ربه : من حذر و حيطة . و مجانبة لاغواء هذا العـدو المبين ، واخذته و ساوس الشيطان ، و راقت له مفاتنـه فانحدر اليها . و انغمس فيها ، بل تجاوز هـذا الى القيام بما يقوم به عـدو الانسان ، و أصغى الى وحيه و استجاب لتنفيـذه نحو أخيه الانسان . فكان هذا المفتون جند يابل كان فى مسلكه شيطانا حقا ، ولو أن المرء ركن الى ربه ، واستعاذ به من غواية الشيطان . واستنهض عقله و مواهبـه فى التحرز من الوساوس . و من زخرفة الأ باطيل و احتفظ بمكانته عند ربه لكان فى مصاف الاخيار . و فى عداد الأبرار . و ليس يحول بين المرء و هذا سوى غفلة و شهوة و جهالة و ضلاله . و من خلال ما ذكرناه يتضح أن المرء مسئول عما اختاره لنفسه . و محاسب على صنيعه . و لو عالج قصوره بالرجوع الى ما جاء من عنـد الله . و عالج تقصيره بالتـوبة و الانابة لكان له من عفو الله نصيب و قـد جعل الله بابه مفتـوحاً لكل قاصد . و قبوله و رضـوانه و احسانه مرجوا لكل منيب .

فاللهم اجعلنا فى ديننا و دنيانا على خير ما دعوتنا ، و عودنا الخـير كله . ولا تجعلنا من شياطين الانس ، و لا من اتباع الشيطان فى شئ .

العالم الغربی فی حاجة الی الاسلام

للفاضل ابو بكر الغازی بوری المتخرج من دارالعلوم بديوبند
المدرس بالمدرسة الدينية بغازی بور (الهند)

* — فشو القلق فی العالم الغربی
* — محاولة الغرب للحصول علی الامن النفسی
* — سفاهة عقلية
* — محاولة طيران الانسان الی عالم القمر
* — فقدان القيم الروحية
* — فشل المسيحية فی العصر الحاضر
* — ان المسيحية قائمة علی مبادئ غير فطرية
* — المسيحية تدعو الی الرهبانية
* — الانظمة المصطنعة و انهيارها فی مجال القيادة
* — الاسلام حاجة الوقت
* — بای شئ نكسب العالم الغربی
* — واجب دعاة الاسلام

(التحرير)

العالم الغربي فى حاجة الى الاسلام

للفاضل ابو بكر الغازى بورى المتخرج من دارالعلوم بديوبند
المدرس بالمدرسة الدينية بغازى بور (الهند)

فشو القلق فى العالم الغربي :

ان العالم العربي و دول اوربا باسرها قد اصبحت اليوم على منعطف الحيرة و التردد ، و الشك و الارتياب ، و قد سادها التشرد الذهني و القلق الروحي ، و الضيق النفسي ، و عادت متبرمة من حياتها المادية ، و من مظاهرها البراقة ، و البوادر المصطنعة الخلابة ، و تذعرت من خيرات العالم المادي التي جاءت بصورة مدهشة محيرة ، ذلك العالم الذي قد جاب الانسان الغربي اليوم اشوطا طويلة منه ، و ارتقى فيه ارتقاء يفوق التصور و الخيال ، و بدأت الامم الغربية تكره مجتمعاتها الخليعة المتهتكة ، الضيقة الخانقة ، مجتمعات الخلاعة و الدعارة ، و الوقاحة و القذارة ، التي انغرقت فيها هذه الامم المتحضرة — كما يقولون — الى الذقن ، و بدأت تحتال للخروج منها . و قد زهدت فى حياة اللهو و اللعب ، و اللذة و المتعة . و انحطت الآن فى نظرها قيمة الذهب اللماع ، و زخارف الحياة . و لذائذ النفس التي تتوفر لديها بمقدار كبير ضخم .

محاولة الغرب للحصول على الأمن النفسى :

ابناء الغرب يحاولون اليوم لكسب الامن و السلام الحقيقين . بعد ان عاشوا طويلا فى وسط القنبلات و المفجرات ، و الطيارات الناسفات ، و الدبابات المدمرات ، و بعد ان ذاقوا بلاءها و شرها . و عذابها ونكالها . و بعد ان شاهدوا عيانا فشلهم الذريع فى كسب مطلوبهم و نيل مطلوبهم ، بطريق غير فطرى و اسلوب غير انسانى ، و نمط غير عقلى ، و بعد ان اصبحوا على شفا جرف هار، وحضيض الحياة ، و بلغوا الى دركها الاسفل .

فشل المادة فى خلق الامن و السلام :

و قد تجلى لهم بعد طويل ان المادة و الماديات التى حسبوها غايتهم المنشودة و ارتقوا فيها ارتقاء تنبهر به عيون الانسان الغر ، و عظموها تعظيم الاله و طلبوا من و رائها نور الحياة — فقد تجلى لهم الأن انه ما استطاع « هذا الاله » ان يسبغ عليهم نعيم الراحة ، و يخلق لهم السكون و الهدوء . و اطمئنان العيشة . و ما استطاع ان يقضى على قلق الحياة و اضطرابها ، و ان يسدى الى الانسان التائه المتململ نعمة السعادة الحقيقية وطمانينة البال .

انهم ظنوا المادة علاجا لمرضهم و لكن ظهر لهم انهم كانوا فى ظنهم هذا فى خطأ كبير و ضلال بعيد ، انهم طلبوا الامن و السلام باختراع القطر و خلق الطائرات و السيارات ، و الصواريخ . و القنبلات الذرية و الهيدروجينة ، و الاقمار الصناعية . ولكن ثبت عجز هذه المخترعات

الغريبة المدهشة عن منحهم شيئا من مطلوبهم و منشودهم .

و اقراء فى ذلك قول مفكر غربى يجمع بين العلم بالفلسفة و العلوم الطبعية و هو الدكتور ALEXIS CARREL يقول : ان هذا الوسط الذى هو و ليد ذكائنا و اختراعنا لا يطابق قاماتنا و لا اشكالنا نحن غير مسرورين و نحن فى انحطاط الاخلاق و العقول ، ان الامم التى ازد هرت فيها الحضارة الصناعية و بلغت اوجها هى اضعف عما كانت و هى تسير سيرا حثيثا الى الهمجية و لكنها لا تدل[1] .

سفاهة عقلية :

و قد ازداد الطبق بلة ، فان هذه الاختراعات التى حسبها الانسان الغر ارتقاء عليا صناعيا ، و بجلبة الخير و المنفعة ، قد ساقت العالم الى النار و الدمار ، و التناحر و الانتحار ، و الخراب و اليباب ، هذه الاشياء التى طلبوا منها امنا و سلاما ، راحة و سكونا ، عادت عليهم بالبلاء و الشقاء ، و التعاسة و البوس ، و التدمير و التخريب ، و التحطيم و التهشيم و اصبحت حياة الانسان فى تلق دائم و عذاب مستمر .

ويا للعجب انسان اليوم يطلب و داعة روحية و اطمئنان النفس بخلق النار ، و بخلق الموبقات و المهلكات ، و توفير الاسلحة الفتاكة القاتلة ، و بالادوات المهلكة ، فهل حصل له مطلوبه من كل ذلك بعد ان جربها طويلا ، و عاش فيها ليلا و نهارا ؟ و هل استراحت الانسانية و استقامت

(۱) ما ذا خسر العالم ص. ۲۳۹ .

البشرية ؟ و هل قضى على قلقها و اضطرابها ؟ فليس الاسفاهة عقلية او جنة دماغية ان نطلب الامن بالنار و السلام بالدمار .

محاولة طيران الانسان الى عالم القمر

دليل على ما نشأ فيه من قلق روحى :

و لما رأى الانسان عجزه و شاهد خيبته فى نيل مطلوبه فبدأ يحاول ان يطير من الارض الى السماء عسى ان يجد فيها ما يستريح به باله ، و يزيل به اضطرابه . فقد تتابع طيرانه الى عالم الاقمار ، و قد انفقت على هذا المشروع اللا عقلى دول العالم المتحزة ما لا و دولارا لو انفق بعضه على اهل الارض لكفاه فى حاجاتهم ، و لكن ماذا جنى اهل هذه الدول من محاولتهم هذه المتابعة ؟ هل حصل لهم ما يبعد عنهم شقاءهم . و يوفر لهم الراحة الحقيقية و ما ذا جنت البشرية من كل ذلك سوى الخسارة و الضرر و ضياع النفس [1] و المال [2] .

و مهما يقال فالذى لا يقبل البحث و الجدال ان هذه المحاولات ليست الا دليلا على ما نشأ فى الانسان ما قلق روحى و اضطراب نفسى .

فقدان القيم الروحية فى العالم الغربى :

و اكبر مأساة ابتلى بها العالم الغربى و دول اوربا باسرها هو فقدان

(۱) لا تذهب ها من بالك قصة من دهوا ضحية المحاولة فى روسيا و امريكا

(۲) تقول الجرائد ان الصاروخ الذى طار الى القمر من واشنطن يكلف فى كل ثانية عشرين مليون دولارا

القيم الروحية و المثل العليا . و الاخلاق النبيلة و الاداب الانسانية الشريفة بمعناها الحقيق السامى ، فقد ظهر فيها افلاسها بصورة شائنة ان مجتمعها مجتمع العربدة و الدعارة و السفور و الوقاحة . و الخمور و الوعود . ان هذا العالم قد اصيب بالامراض الخلقية و بكل ما تكره طبيعة الانسان السليمة و تستهجنه استهجانا . فالكذب و الاخفار ، و الغلول و الاخلاف ، و الابتزاز و الاحتكار ، و الانتهاب و الاستغلال قد وجدت هذه الخصائل اللاانسانية فى المجتمع الاوربى طريقا واسعا ، و اتسعت اتساعا هائلا ينعى عليها ابنائه انفسهم .

يقول الاستاذ « لورد سنل ، LARD SANELL انا لم نستنجد ما عندنا من علم و قوة متزايدين على مر الايام الا للمتاع الجسدى و لكنا تركنا الجانب الروحى ضعيفا قاصرا »[1] .

فشل المسيحية فى العصر الحاضر :

ان الديانة التى كان يتوقع منها انها تكون منافسة للدين الاسلامى كانت هى ديانة مسيحية اعتنقتها الكثرة الكاثرة من الشعوب الغربية ، و لكن الحقيقة التى لا تقبل الجحود و الانكار : ان المسيحية قد فشلت فشلا ذريعا فى ميدان الحياة الاجتماعية و توجيه الامم الغربية . و حل المعضلات الانسانية حلا ترتاح اليه القلوب . و تنبسط له النفوس ، و عا

(١) لماذا اسلنا ط قطر .

تمكنت من ابراد تلك الغلة النفسية التى بدأ يشتد اوارها، ولم تستطع ان تخمد تلك النار التى لا يزال يرتفع لهيبها فى قلوب ابناء هذه الامم و من اجل ذلك ترى المسيحيين انهم لم يبقوا مسيحين الا بالسنتهم، فقط لا تشاهد فى حياتهم اثرا ما لهذه الديانة . و انطلقوا منها انطلاقا كليا . وخلعوا من اعناقهم قلادتها حتى و قد جرفهم سيل الالحاد .و الا باحية . و الانكار و الكفر تراهم لا يتجهون الى معابدهم ، ولا تخطر ببالهم خطرة الاله و المعبود . ترى الكنائس شاغرة فى غالب الاحيان يوم الاحد — اليوم المخصوص لهم للعبادة — على ان اهلها لا يالون جهدا فى توفير جميع ما تميل اليه نفسيةالانسان ، و تهيج النزوة الداخلية فى الشباب . يقول الدكتور عبد الله عباس الندوى فى مقالة له :

« حان لى مرة ان البى دعوة جمعية مسيحية للاشتراك فى حفلها السنوى فوجدت البرنامج حافلا بكل ما تتوق اليه نفسية الشباب الغر ، و لم يكن حديثا عن الديانة الا لمدة ثلاث دقائق على حجة ان الحديث عن الديانة يصعب احتماله على عقلية النشء . فلا بد من الدعوة بالحكمة ، هذه الحكمة امتدت الى الرقص والفيلم ، و الخمور و المصادقات و الوعود ، و لم ار ان هذه الحكمة قد حركت ساكنا للميل الى النصرانية [1] .

و يقول الكاتب الاسترالى السيد احمد م هالى ، وهو يتحدث عن الاسلام فى مقالة له « الاسلام فى استراليا » .

ان معظم سكان استراليا ينتسبون الى دينهم بالسنتهم فقط فالكنائس

---

(۱) الدعوة الاسلامية فى بريطانيا العدد الرابع السنة السادسة جمادى الثانية سنة ۱۳۸۸ ھ

يوم الاحد مثلا تكون فارغة لذا قد بذل فيها اهتمام كبير بمدارس الالعاب الرياضية المختلفـــة ، و الاناشيد المنعشة على السنة الفتيات . لاستجلاب الجماهير »(۱) .

ان المسيحية قائمة على مبادى غير فطرية :

و ليس ذنب المسيحية فى فشلها فى المجتمع الانسانى العالمى الا انها قائمة على مبادئ غير فطرية . لا تذعن لها عقليـة النشء الجديد . و فيهـا تقاليد و عوائد لا تخنع لها طبعية الانسان و لا تقبلها فطرته . فالانسان قد حل فيها محل الاله ، و القسيسون قد اصبحوا جنسا آخر متميزا غاية التميز من جنس الانسان . و مبدأ التكفير — الذى لا يقبله عقل الانسان الصحيح — من اصل الاصول لهذا الدين ، و قد حطم هذا جميع القيود الاخلاقية و الانسانية وقد اصبح الانسان المسيحى حرا فى افعاله و اعماله ، يجوز له ان يفعل ما يشاء . فليس هنا حاجز و مانع . و انهم حصروا الاله فى الكنائس و اذا خرج الانسان منهـا تكون هواه قائده ، و رغبـاته رائده ، و اما الاحكام الدينية فلا علاقـة لها بالناس فى السوق و محلات التجارة . و فيها كثير من الطقوس المعقدة و الا لغاز الملتوية ، التى لا تحل للانسان بسهولة ولا تاتى فى عقله . و تبعث فى كثير من الناس الثورة على هـذه الديانة .

(۱) رابطة العالم الاسلامى العدد نفسه

يقول الدكتور على سليمان بنوا Ali Seloman benoist — وقد ترك المسيحية و دخل فى الاسلام — متحدثا عن عامل حمله على طرح المسيحية : ان الطقوس الدينية المسيحية عموما و الكاثوليكية بصفة خاصة لم تكن لتبعث فى نفسى الاحساس بوجود الله . و على ذلك فقد كان شعورى الفطرى بوحدانية الله يحول بينى و بين الايمان بعقيدة التثليث ، و بالتالى بعقيدة تاليه عيسى المسيح [1] .

المسيحية تدعو الى الرهبانية :

و ان المسيحية ديانة تدعو الى الرهبانية البغيضة الممقوتة . لا تقبلها فطرة العصر الحاضر المتمدن ، و لا يمكن لمثل هذ المبدأ و الفكر ان يتسعا و ينموا ، ففكر الرهبانية يخالف مزاج كل عصر الا انه قد نال بعض الرواج فى القرون المتاخرة لمدة ما . و الرهبانية تؤثر فى الناس اليأس و القنوط و البطالة و القسوة و الجفاف ، و غير ذلك من الامراض ، و تزلزل بها دعائم الحياة . و لهذه الرهبانية عجائب كثيرة احتفظ بها تاريخ الدين المسيحى و من شاء ان يطلع على بعضها فليقرأ كتاب « ما ذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » للاستاذ أبى الحسن الندوى[2] .

وعدا كل ذلك ان المسيحية قد فقدت بهائها وروائها لتطرق يد التحريف اليها فهى لم تبق الآن خالصة كما اعترف بذلك العلماء المسيحيون انفسهم.

(۱) لماذا اسلمنا؟ ص۔ ۷۰
(۲) اقرأ من الكتاب ص ۱۸٤ - ۱۸٥

الانظمة المصطنعة و انهيارها فى مجال القيادة :

لما ادركوا رسوب المادة و انهيارها فى مجال الحياة و تخلفها فى ازالة ما نشأ فيهم من القلق الروحى فاستعانوا بعقولهم . و استخدموا افكارهم ، وجاءوا بانظمة هى وليدة اذهانهم و نتيجة تفكيرهم . و حسبوا انها ستكون كفيلة لسعادتهم . و توفر لهم نعما حقيقية ، و تولد لهم الخير و الراحة . الا انهم قد عادوا بالخيبة . و سرعان ما ظهر رسوب هذه الانظمة ايضا . فانها ما جاءت الا وصحبها بلاء وشر ، و تعاسة و بوس ، فما جاءت الديمقراطية — بمعناها الحديث — الا تبعتها الفكرة اللا دينية . و الحرية المخزية . و ما جاءت الرأسمالية الا و جاءت معها فكرة الاحتكار و الاستغلال ، و النفعية و الاستعمار ، و فكرة التميز الجنسى بين الطبقات الانسانية . و ما جاءت الشيوعية الا و تبعتها فكرة التقاعد و البطالة الالحاد و الانكار . و اما النظام الاشتراكى فلا اهمية فيه للانسان و الانسانية . و لا حظها من الحياة . و الدولة و الوطن هما الهان . فالحياة التى لا يتعدى نفعها اليها لامبزر لها للبقاء .

فهذه الانظمة كلها اضحت شقاء و نكبة للانسان بدل ان تكون منحة سائغة تستمتع بها البشرية البائسة .

الاسلام حاجة الوقت :

و فى خضم هذا المحيط المادى ، و المجتمع الالحادى ، و فى هذا الجو

الخانق ، الذى فقد فيه الانسان روحه و ريحانه ، وصار فى بوس دائم و شقاء مستمر ، اصبح الاسلام — لما له من مزايا و خصائص — حاجة الانسان و ضرورة الوقت لا محيص عنه ، فانه هو الذى يستطيع — حينما فشلت الاديان و الافكار كلها — ان يقوم بمهمة توجيه البشرية التائهة فى متاهات الضلالة و العمه توجيها رشيدا ، و يتمكن من اقصاء ما نشأ فى المجتمع البشرى من القلق الروحى و البلبلة الفكرية ، و ازالة ما طرأ عليه من الشك و التردد ، لانه دين فطرى و مبادئه فطرية طبعية تستسيغ قبولها فطرة الانسان ، و انه يقضى على كل مبدا غير فطرى لا يحيئى فى العقل الانسانى ، انه دين لا يضع حاجزا امام العلم و الصنعة ، و الاختراع و الا بداع ، و يحيز كل سعى يكون ورائه غاية محمودة ، و لا يصطدم هذا السعى بالقيم الروحية ، و الاخلاق الانسانية ، انه دين تتلاقى فيه الروح و المادة . فلا هو يدعو الى الرهبانية البغيضة و لا هو يدعو الى المادة البحتة ، و لكن هو يولف بين الروح و المادة ، و يطبق بينهما تطبيقا ، ليتسنى للانسان حياة ناعمة . و ليس هو دين جمود و ركود يابى التطور و النمو ، فانه قد وقع فى خطأ كبير من وصف الاسلام بالجمود ، بل انه دين ينبسط و يقبل كل تطور ما دام لا يتعدى مبادئه الجذرية و لا ينال من اصوله الاساسية . انه دين قيم روحية ، و اخلاق انسانية فبابه مسند امام كل خلق لا يتفق و طبعية الانسان ، انه دين طهارة و نقاء و دين ينمو فيه العلم و الادب ، يتيقظ مواهب فطرية . يستخدمها الانسان فى الاستفادة من مكنونات العالم و خزائنه المخفية ، انه دين المساواة ، يتلق فيه الابيض

و الاسود ، و العربى و العجمى على خط واحد ، و الآنسان كلهم فى نظر الاسلام متساؤن كاشنان المشط ، انه قضى على كل فوارق جنسية و اقليمية و لغوية . و صدع رسوله — عليه السلام — كلكم من آدم و آدم من تراب و اعلن القران بصراحة : يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر و انثى .

بای شئ نكسب العالم الغربى الحائر :

و من الثابت و البديهى اننا لا نتمكن من استمالة جماهير هـذا العالم الغربى العامة ، و لا نستطيع غزو هذه الامة ذات الاهلية و الكفائة بتضخيم موافق الحياة . و توفير اسباب الراحة ، و زخرفة العيش ، و تاثيث البيت . و تجميل الاثاث . فان لدى هذا العالم يتوفر هذا كله بقدر يفوق العدو الحساب ، انه قد تقدم فى هذا الجانب تقدما هائلا و بلغ منه اوج الثريا . و لكن الذى افلس فيه الغرب افلاسا شائنا هو القيم الانسانيـة ، و المثل العليا و الاداب الانسانية ، و الاخلاق النبيلة ، و العيشة النقية . فانها تجردت منهـا تجردا كليا ، فهذا فراغ يجب ان يملأ ، وهو لا يملأ الا بان نقدم له قدوة صالحـة للعيشة الانسانية ، و نموذجا صادقـا للحياة الاسلامية و نضع امامها تعاليم الهية حقة . و اخلاقا قرانية فاضلة . و آدابا انسانية نبيلة . فالمهمة عظيمة جـدا ، تسترعى منا انتباها كافيا ، و يقظة و شعورا زائدا . مهمة تحتاج الى استعدادين ، الروحى و المادى .

و ان هـذه المهمة — مهمة غزو الشعب الغربى — تحتاج الى الحكمة

و بالحكمة اعنى هنا ان يتم لنا استعداد روحى و مادى كلاهما ، فهذه المهمة لا تودى اداء حسنا الا اذا كنا اقوياء فى كلا المجالين ، و لا نتعادى لاى واحد منهما ، فكما يجب ان لا نتعاضى عن الجانب الروحى و لا نفرط فيه. كذلك يجب ان لا نكون مقصرين فى الاستعداد المادى ، و اذا حققنا هذين الاستعدادين بكاملهما فيمكننا ان نحتل منصب القيادة العالمية ، و ان نجلب العالم الغربى .

واجب دعاة الاسلام :

و هنا قد عظم واجب دعاة اسلاميين ، و ثقلت مسئوليتهم ، بالفرصة سانحة لان نغزو هذه الشعوب الغربية المسكينة ، و ان نخرجها من ما زقها و شقاءها ، فان الآذان صاغية ، و القلوب متوجهة ، و الضمائر حية ، و النفوس متعطشة ، فلا نضيع هذه الفرصة السعيدة باهمالنا هذه الشعوب ، و ان نقوم باداء واجبنا نحو هذا الانسان التائه ، الذى قد اصبح على و شك الهلاك و العطب ، و يحتاج الى اسعاف فورى حاجة العطشان الى الماء و حاجة الغريق الى من ياخذ بيده ، و حاجة المتلهف الى الغوث ، ان فى قلبه نارا يتوهج فعلينا ان نبردها ، وهو يتعطش الى غذاء روحى ، فعلينا أن نهيأ له — فلا سمح الله — ان ضاعت هذه الفرصة لغفلتنا و اهمالنا هذا الجانب من مهمتنا . و غضينا النظر عن هذه الشعوب المسكينة القلقه و ودعناها تتيه فى متاهات الضلال و العماية ، فقد ارتكبنا جريمة

لا تعوض ، و خسرنا امة ذات اهلية و صلاحية ، و موهبة و كفاءة ، فامثال هذه الفرصة لا تتكرر ، و لا تاتى الا شاذا ، فلينتبه المسلمون و ليعمل العاملون ، و الله لا يضيع اجر المحسنين .

محمد ابو بكر الغازى بورى
المدرسة الدينية بغازى بور

مثل الدنيا

الدنيا كالماء الملح الذى لا يزداد شاربه شربا ، إلا ازداد عطشا . و هى كالعظم الذى يصيبه الكلب فيجد فيه ريح اللحم ، فلا يزال يطلب ذلك حتى يدمى فاه . و كالحدأة التى تظفر بقطعة من اللحم ، فيجتمع عليه الطير ، فلا تزال تدور و تدأب حتى تعى و تعطب ، فاذا تعبت القت ما معها و كالكوز من العسل الذى فى اسفله السم الذى يذاق منه حلاوة عاجلة و آخره موت ذعاف ، وكأحلام النائم التى يفرح بها الانسان فى نومه ، فاذا استيقظ ذهب الفرح .

النظم الاخلاقية و الاسلام

الدكتور مصطفى الرافعى

ليس اصعب على الباحثين من وضع المقاييس للانظمة الاخلاقية. و ذلك لانها ليست كالحقوق و الواجبات تخضع للعقل و تقع تحت مجهره فهى من هذه الناحية طليقة من أسار البحث العقلى، و لا يمكن ان تقوم عليها ادلة عقلية قاطعة كالأدلة التى تقام على الحقائق العلمية، و التى لا يسع الانسان الا ان يخضع لها بحكم البدهيات العقلية و النتائج المنطقية، و الأنظمة الأخلاقية دائما تكون بنت العرف و العادة، و من ثم فهى تختلف باختلاف الأمم. بل و تختلف فى الامة الواحدة باختلاف العصور و الظروف، فما يكون خيرا فى مجتمع قد يكون شرا فى مجتمع آخر و ما تعده امة فضيلة قد تعده امة غيرها رذيلة، وكثيرا ما يختلف الحكم من الوجهة الخلقية على الشئ الواحد فى امة باختلاف عصورها وقد يحصل هذا التناقض فيما هو من الاصول الاولى للحياة الخلقية ومن المسلمات فى شئون الاخلاق، كاختلاف النظرة الى القتل قديما وحديثا، وقتل

الأباء لأولادهم، الامر الذى بعد اليوم جريمة شنيعة فى كل القوانين و الدساتير، بينما كان مباحاً فى كثير من الشعوب القديمة التى وصل بها الأمر، فرأته واجبا محتوما على الاباء كالنظم « الاسبرطية » مثلا أو الجاهلية، و هذا النظام الشائن اليوم كان سائدا فى أثينا و روما. و قد أقره فلاسفة اليونان أنفسهم و على رأسهم افلاطون ق « مدينته الفاضلة وكذلك أرسطو.

و الأمثلة كثيرة على اختلاف النظم الاخلاقية، منها النظرة الى الانتحار و السرقة. فالانتحار الذى يحرمه العرف اليوم كان واجبا محتوما عند اليابانيين فى بعض الحالات، اما السرقة فقد أجمعت نظم الأخلاق كلها على تحريمها. أيا كان نوعها و اياكان مرتكبها، بينما كانت لدى بعض مشرعى « مقدونيا » و « اسبرطة » واجبة على الأحداث و الشبان لاعتقادهم أنها قدر بهم على شئون الحرب و تأخذهم بالامور اللازمة للجندى من المهارة والخدعة و سرعة الحركة وكان الشاب لا يعاقب الا اذا قبض علية و بيده الشئ المسروق قبل ان يتمكن من اخفائه فى مكان ما، وفى الحقيقة، فانه لا يعاقب على السرقة نفسها بل على عدم مهارته فى اتمام عمليتها دون فضيحة و لا ضجة،

كل هذا يدل بقوة على صحه الرأى القائل بأن الأخلاق قضية تابعة للعرف و التاريخ، و هكذا فان عبارة « بسكال » تصيب الحقيقة حين تقول (ان ثلاث درجات عرض تكفى أحيانا فى قلب حقائق الامور الأخلاقية فما هو حق شمالى جبال البرانس قد يكون باطلا جنوبها).

فما هو الوازع الذى يحمى الاخلاق و ما هى الوسيلة للقضاء على الآفات الخلقية.

ضرورة الدين فى النظم الاخلاقية

من المسلم به ان كثيرا من الظواهر الخلقية لا يعاقب عليها المجتمع و إنما يترك للرأى العام أمر حراستها و مقاومة الخروج عليها كالكذب و الحسد و الحقد و الغيبة و النميمة .. الخ.

وكل هذه الامور امراض تنخر فى الجسم الاجتماعى و تحول بنيانه الكامل إلى انقاض خربة فى كثير من الاحيان، و فى كثير من الاحيان لا يكون للراى العام نفسه سلطان عليها لسبب بديهى و هو انه لا يمكنه مراقبة اعمال الافراد و سلوكهم و مقاومة المنحرف منهم لأن الأخلاق مرتبطة فى قضاياها بالفكر من جهة و بالنوايا من جهة اخرى ... و من المتعذر السيطرة على الفكر و استكشاف النية، او فهم الاتجاهات النفسية و القضاء على الضلال فى التفكير الخلقى.

و غنى عن البيان أن نقول: ان النظم الأخلاقية هى: تفكير و عمل متلازمان كان يكون على المرأ ان «يعتقد» انه من الواجب عليه أن يعاون اخاه و يحب له الخير ما يحب لنفسه، و انه لا يصح أن يغتابه و لا ان يشئ به او يخدعه أيكذبه، و النظام الأخلاقى يفرض على المرء أن تكون اعمالها كلها فى قالب يتفق مع هذا «المعتقد» و من البديهى أنها اذا وافقتها بدون أن «تكون حاصلة عن اقتناع أ ايمان بجدواها فانه يعد مرائيا منافقا ساقط الأخلاق، و هذا هو «المجرم الاخلاقى» الذى

لا يناله عقاب الراى العام ، و لا يخضع «لمحكمة» العرف و التقاليد ومن الواضح جدا أن النظم الاخلاقية بالرغم من أهميتها التى ليس لها نظير فى بناء المجتمعات و رقيها ، و بالرغم من أنها يتوقف عليها سموا المجتمع و سيره أو انهياره و توقفه . فانه لا يلقى حراسة كافية من جانب العقل و لا القانون ولا الرأى العام .

و من هنا كان لا بد من الدين كدعامة للشئون الخلقية ، لانه هو الوسيلة الوحيدة التى تخرج عن نطاق المنطق الضروى . و هو وحده الذى يتجاوز رقابة القانون و حراسة الراى العام لأنه فى الواقع رقابة الذات لذاتها و النفس لنفسها . و لأنه ايضا هو الذى يضفى على النظام الخلقى صفة للقدسية . و يكسبه عظمة الايمان و جلال العقيدة ، و يسمو به عن متناول الشك و تخبط العقول ، و يخلق فى نفس كل امرئ و ازعا داخليا — غير الضمير — يسيطر على كل خلجة من خلجات فكره ويوجه كل حركة من حركات جسمه ، و يجعله يستشعر الخوف من خالقه ، ذلك الخالق الذى يحاسبه على عقائده و افكاره كما يحاسبه على اعماله و سلوكه .

و نحن نعتقد أن الاسلام إلى جانب الأديان الأخرى قد ضرب بسهم و افر فى تقوية النظم الخلقية ، و تقريرها و مساندتها ، يدل لنا على ذلك قول النبى ﷺ :

« انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »

ركائز الدعوة و الاصلاح فى القرآن

بقلم سماحة الاستاذ الشيخ لطف الرحمن

تعريب : عميد الزمان الكيرانوى

الاسلام مذهب الارتقاء، و دستور العمل ، و بالاسترشاد منه و العمل بهديه و تطبيق نظمه و مبادئه فى جميع نواحى الحياة تطبيقا كليا يتسى الحصول على الحكومة دنيويا ، كما يقول القرآن الكريم :

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملو الصالحات ليستخلفنهم فى الارض[1] »

و لا يقف هذا الارتقاء عند حد فلا يكون موت الانسان نهاية لارتقائه فى نظر الاسلام . بل يبقى و يستمر بصورة نعيم الجنة و راحتها و هنائها إلى أن يحظى بروية تجلى الاله الواحد الصمد . « فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قره اعين جزاء بما كانوا يعملون . (٢) »

---

(١) الاية ٥٤ من سورة النور

(٢) الاية ١٧ من سررة السجدة

و درس الاسلام — الذی اسلفنا ذکره — هو القرآن الکریم.

و الاسوة العملیة هی سنة رسول الله ﷺ. قال رسول الله ﷺ: «ترکت فیکم امرین لن تضلوا ما تمسکتم بها: کتاب الله، و سنة نبیه.(۱)

قد سلف ذکر الحدیث الشریف الذی یؤکد الاعتصام و التمسک بسنة الخلفاء الراشدین الی جانب التمسک بسنة النبی ﷺ. و تلقاء هذه النصوص القرآنیة و الحدیثیة التی تقرر وجوب العمل بآیات القرآن الکریم و التأسی باسوة الرسول ﷺ و الاسترشاد من سیرة خلفاء الراشدین — وضعت مجموعة من خطب الجمعة مستوحیا من هذه المصادر و الاسس بحیث تحتوی کل خطبة علی آیات من القرآن الکریم و احادیث الرسول ﷺ و نماذج سیر الخلفاء الراشدین ولا تجاوزها فی شئی. و لقد قرر الرسول ﷺ ان اقتداء المسلمین باصحابه سبیل للهدایة و الرشاد، فی صدده یقول ﷺ: (عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله ﷺ یقول: سألت ربی عن اختلاف اصحابی من بعدی، فاوحی الی ان اصحابك عندی بمنزلة النجوم فی السماء بعضها اقوی من بعض، و لکل نور فمن اخذ بشئی مماهم علیه من اختلافهم فهو عندی علی هدی، قال. و قال رسول الله ﷺ «اصحابی کالنجوم فبأیهم اقتدیتم اهتدیتم (۲).»

من المعلوم البین ان بعثته ﷺ کانت لانقاذ البشریة عامة و هدایة الناس کافة: «و ما ارسلنك الا کافة للناس بشیراً و نذیرا و لکن اکثر

---

(۱) الموطا للامام مالك المجلد الاول باب وجوب الاعتصام بالکتاب و السنة

(۲) مشکاة المصابیح باب مناقب الصحابة.

الناس لا يعلمون (١)». و كان الصحابة رضى الله عنهم الذين تلقو هذه الهداية الالهية من الرسول ﷺ عن غير واسطة، وكانوا هم السبب فى نشرها فى العالم، ثم خلفهم فى ذلك التابعون ثم من تبعهم و كذلك استمر العلماء فى نشر الاسلام و تبليغ الدعوة الى يومنا هذا، و انهم ليظلون يعملون على نشر الاسلام و تبليغ ذلك التراث الدينى الذى توارثوه جيلا عن جيل الى يوم القيامة بمشية الله عزو جل. قال رسول الله ﷺ « ان العلماء ورثة الانبياء، لم يورثوا دينارا و لا درهما انما ورثوا العلم، فمن اخذ به فقد اخذ بحظ و افر (٢)».

و غير خاف ان بعثة الانبياء لا يقصد منها ان يقدموا لبعض الامور الدنيوية المتطورة نظاما سياسيا و قتيا او اقتصاديا كالنظم و المبادئ التى يقدمها المصلحون الاجتماعيون اليوم. و التى تكون زمنية لا تبقى طويلا و لا يكون مصيرها الا الفناء مهما امتد امدها. كما تخبرنا عن ذلك صفحات التاريخ ان الوف الحضارات نشأت فى هذا العالم ثم ما لبثت ان فنيت و زال وجودها من على سطح الارض. و انما تكون تعاليم الانبياء و « وسهم صالحة للبقاء خالدة على مر الايام و شرائعهم تشمل جميع نواحى الحياة الانسانية التى تقتضيها الفطرة الانسانية كالقيام بالعدل و القسط و النصفة « لقد ارسلنا رسلنا بالبينات و انزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم الناس بالقسط (٣) و يقول مولانا الشاه ولى الله المحدث الدهلوى منوها

---

(١) الاية ٩٤ سورة النسا. (٢) سنن الترمذى المجلد الاول كتاب العلم

(٣) الاية ٢٤ من سورة الحديد.

بواجبات البعثة والنبوة وسبب اختلاف شرائع الانبياء عليهم الصلوة والسلام :

« و الاصل فى هذه المسئلة ان النبوة بمنزلة اصلاح نفوس العالم و تسوية عاداتهم و عباداتهم ، لا ايجاد اصول بروائهم ، و لكل قوم عادة فى العبادات و تدبير المنزل و السياسية المدنية ، فاذا حدثت النبوة فى اولئك القوم لا تمحى تلك العادات بالمرة و لا تستانف ايجاد عادة اخرى بل يميز النبي من العادات ما كان على القاعدة موافقا لما يرضى الله سبحانه و تعالى فيبقيه و ما كان بخلاف ذلك فيغيره بقدر الضرورة . و التذكير بالآء الله و بايام الله ايضا يكون على هذا الاسلوب كما يكون شائعا فيما بينهم فيالفونها . فاختلفت شرائع الانبياء بهذه النكتة و هذا الاختلاف كاختلاف الطبيب اذا دبر امر المريضين فيصف لاحدهما دواءا باردا و غذاءا باردا و يامر الآخر بدواء حار و غذاء حار ، و غرض الطبيب فى الموضعين واحد و دواء و غذاء على حدة بحسب عادة الاقليم و يختار فى كل فصل تدبيرا موافقا بحسب المصلى و هكذا الحكيم الحقيق جل مجده لما اراد ان يعالج من ابتلى بالمرض النفسانى و يقوى الطبع و القوة الملكية و يزيل المفسد اختلفت المعالجة بحسب اختلاف اقوام كل عصر و اختلاف عاداتهم و مشهوراتهم و مسلماتهم [1] » .

و من اجل هذا نرى ان كل نبي من الانبياء اهتم بازالة تلك المفاسد و الخرافات التى كانت تسود قومه فى زمانه ، فشعيب على نبينا و عليه الصلاة و السلام يدعو قومه الى اصلاح ما راج فيهم نتيجة لطمعهم

---

(۱) الفوزا الكبير فى اصول التفسير ص ۱۱ المطبوع فى قيومى پريس كانفور

الرأسمالی من نقص المکیال و الاحتکار و الاجتراء علی القبائح ، و وقاحة النساء و قلة حیائهن ، و اما لوط علیه الصلاة و السلام فقد وجه عنایته الی ازالة تلك الافعال الجنسیة غیر الفطریة التی شاعت فی قومه من اتیانهم الولدان و الغلمان شهوة من دون النساء .

و ان الطراز و الاسلوب الذی اختاره العلماء الکرام و الصوفیة الابرار لنشر الاسلام فی مختلف انحاء العالم اذا جمعنا صفحات تاریخه المبعثرة و وقائعه المنتشرة ، وضح لنا ذلك الشرح الذی قدمه الشیخ مولانا ولی الله الدهلوی بالصورة العملیة اللامعة علی حقیقته الرائعة . و بذلك یتلاشی ما یثور من اجل اختلاف طرق الدعوات من الشکوك و الشبهات حولها التی قد تساور قلوبنا ، و نشعر بشیء من الزیادة فی محبة العلماء و الصوفیة الکرام و احترامهم و تقدیر خدماتهم التی ادوها نیابة عن الانبیاء علیهم الصلاة و السلام .

و جملة القول : ان اصلاح نفوس العالم و تسویة عاداتهم و عباداتهم، و اقامة العدل و القسط و النصفة فی جمیع نواحی الحیاة لا بد لها من امور اصولیة یذکرها القرآن الکریم کثیرا حین ذکر فرائض بعثة رسول الله ﷺ ، فیقول : هو الذی بعث فی الامیین رسولا منهم یتلو علیهم آیاته و یزکیهم و یعلمهم الکتاب و الحکمة و ان کانوا من قبل لفی ضلال مبین، و آخرین منهم لما یلحقوا بهم و هو العزیز الحکیم [1]

هذه الآیة تقرر للبعثة اربع فرائض و واجبات نشرحها مجملة فیما یاتی :

(۱) الآیة رکوع ۱ سورة الجمعة

الاول — تلاوة الايات: نزل القرآن الكريم منجما و تم نزوله فى ثلاث و عشرين سنة ، فكلما كان ينزل منه شئ يبلغه الامة: عن عائشة رضى الله عنها قالت: من حدثك انه كتم فقد كذب. ثم قرأت: يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك (١). و قد كان اكثر ما يتلوه فى الخطب و المواعظ هو القرآن الكريم. عن ام هشام رضى الله عنها قالت: ما اخذت ق و القرآن المجيد الاعن لسان رسول الله ﷺ يقرأها كل جمعة على المنبر اذا خطب الناس (٢).

و اكبر فوائد عمله ﷺ هذا ان الفاظ القرآن اصبحت محفوظة بالتواتر كما كانت فى نزولها من الله سبحانه و تعالى بعينها. فلم يزل القرآن الكريم محفوظا حفظا كليا كما كان فى صدور آلاف الناس الذين حفظوه عن ظهر القلب و انه ليبقى كذلك محفوظا الى يوم القيامة. و ذلك كله من اسباب حفظ القرآن الكريم من الله تعالى تحقيقا لقوله:

(انا نحن نزلنا الذكر و انا له لحافظون) و تبعا لذلك ظهر علم التجويد بقواعده و اصوله الدقيقة.

و الثانى — تزكية النفس — كان النبى ﷺ يزكى الناس من سفاسف الامور و خبائث العقائد و الاعمال و يطهرهم من الشرك و العادات الجاهلية و ما يصدر من الاعضاء و الجوارح من الافعال الشنيعة الخليعة باقترافها للمنهيات و المحرمات. و لقد كان هذا التطهير بحيث يصير الانسان مستحقا فى الدنيا للاوصاف المحمودة و فى الآخرة للاجر و المثوبة (كذا فى الكشاف

(١) صحيح البخارى المجلد الثانى — فى تفسير سورة النجم (٢) مسلم المجلد الاول

ـــ و المفردات ـــ و البيضاوى مختصرا .)

و الثالث ـــ تعليم الكتاب عن عثمان بن عفان الخليفة الثالث رضى الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ : (خيركم من تعلم القرآن و علمه) و تعليم القرآن هو الأساس لجميع العلوم الاسلامية : كالتفسير، اصول التفسير و الفقه و اصول الفقه ، و علوم الاحسان و الاخلاق و علم الكلام و المواعظ و الرقائق فكلها يرجع الى القرآن الكريم . و للتفصيل يراجع كتابا : الفوزا الكبير و ازالة الخفاء للشيخ مولانا الشاه ولى الله الدهلوى .

و الرابع ـــ الحكمة : و فى تفسير الحكمة اثرت الفاظ كثيرة و مؤداها واحد . و التفسير المشهور هو سنة الرسول ﷺ و الشريعة ، يقول الامام الراغب فى المفردات : الحكمة اصابة الحق بالعلم و العقل و من الانسان معرفة الموجودات و فعل الخيرات . و هذا هو الذى وصف به لقمان فى قوله عزو جل و لقد آتينا لقمان الحكمة الخ و فى تفسير هذه الاية يقول البيضاوى : و الحكمة فى عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية و اكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها و قد اورد البيضاوى مثالا لبيان معنى حكمة لقمان عليه السلام التى نص عليها القرآن فقال : و من حكمته انه صاحب داود شهورا ، و كان يسرد الدرع فلم يسئا له عنها فلما اتمها لبسها و قال : نعم لبوس الحرب . فقال : الصمت حكم و قليل فاعله [1].

العقل و الفهم هو الذى تمكن به البشر من القيام بالاكتشافات

---

(١) سورة لقمان الجزء ٢١ من تفسير البيضاوى

وتدبير الامور و تنظيمها ، و هذه النعمة العظمى قد منحها الله للانسان دون غيره من المخلوقات و بسببها كلف الانسان تكليفا كما يعرف ذلك من قوله تعالى : انا عرضنا الامانة ـ الآية ـ و بما ان العقل من اكبر النعم التى اوجدها الله فى الدنيا رأينا انه سبحانه و تعالى كثيرا ما ينسب النعم الى ذاته للتذكير و الترغيب فى الاعمال الصالحة و التحذير من الأعمال القبيحة و نظرا الى آيه سورة الجمعة السابقة علينا ان نضع نصب اعيننا نماذج من سيرة النبى ﷺ و الخلفاء الراشدين و سائر الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين لنتمكن من الوقوف و الاطلاع على سيره النبى ﷺ المثالية الطاهرة و حياة الصحابة الصالحة النزيهة ـ نتمكن بذلك من السلوك على مناهج عملهم الواضحة .

و العبارة التى اسفلناها نقلا من كتاب الفوز الكبير ، للشاه ولى الله المحدث الدهلوى عن فرايض البعثة هى ايضاً تتلخص فى ان المقصود من النبوة هو اصلاح نفوس العالم و تسوية طريق العبادات و مناهج الحياة . و انما كان الانبياء عليهم الصلاة و السلام يعرضون القوانين و الشرائع الاصلاحية ... السماوية المستوحاة من الله حسب الظروف و الاحوال و الازمنة . فكانت دعواتهم مختلفة فى الطرق و الاشكال على اتحادهما فى الاهداف و المقاصد الاساسية . فلما تحمل العلماء و الصوفية الكرام مسئولية خدمة الدين عملوا بنفس هذا المبدأ الذهبى و هذا هو واجب العلماء و زعماء الامة يألون عنه الى يوم القيامة . و واجبهم هذا يحتم عليهم ان يدرسوا احوال العالم المتطورة دراسة عميقة و يضعوا البرامج الاصلاحية

٢) مشكاة المصابيح باب مناقب الصحابة .

مستمدين بالقرآن الكريم و السنة السنية ، و ينفذوها باذلين كل مابواسعهم مخلصين لله .

و من المعلوم ان هناك دائما يوجد بعض نفوس شريره يعملون على اثارة الاضطرابات و الفوضى فيعيشون فى الارض فسادا ، هؤلاء الأعشرار يشق عليهم اصلاح الانبياء فانهم يعتبرون تبليغ الحق قضاء على عاداتهم الهوامة التى يحبونها فيشرعون فى استعمال و سائل الظلم و الارهاب عند الانبياء فتنالهم منهم انواع من المكائد و المساوئ و يوذونهم ايذاء يكدر عليهم الحياة على صفائها و يضيق الدنيا على رحابها . فهم يستحقون انواع العذاب و النكال جزاء ما اكتسبوا من السيئات كما ورد فى القرآن الكريم : وما يجادل فى آيات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم فى البلاد . كذبت قبلهم قوم نوح و الاحزاب من بعدهم و همت كل امة برسولهم لياخذوه و جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاخذتهم فكيف كان عقاب [1] .

و من جملة انواع العذاب الالهى التى يستحقونها ان الله سبحانه وتعالى ياذن للذين يومنون بالله و يعتنقون الحق بقتالهم كما قال القرآن المجيد : ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور ، اذن للذين يقتالون بانهم ظلموا و ان الله على نصرهم لقدير ، الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله [2] . بين الله سبحانه و تعالى فى هده الاية حكمة القتال و وعد بنصره للذين يقاتلون فى سبيله . و الحكومة التى تقوم على اثر هذا القتال هى الخلافة الاسلامية . و يقول الله تعالى

(١) الآية ٤ سورة المؤمن (٢) الاية ٥٤ سورة الحج

سبحانه منوها بواجبات القائمين عليها:

الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلوة و آتوا الزكوة و امروا بالمعروف و نهوا عن المنكر و لله عاقبة الامور.

كان الجاحظ يبيع الخبز و السمك بسيحان فى مطلع حياته. فكانت حالته المالية دقيقة هزيلة، و لكن هذه الحالة سرعان ما تغيرت عند ما عرف عن الجاحظ علمه و فضله. و اصبح نتاج الجاحظ الفكرى يدر عليه من الثروة ما تدره الضياع الفسيحة او التجارة العريضة الناجحة. دخل الجاحظ البصرة مرة ثم خرج منها بثروة كبيرة بعد فترة قصيرة. فساله ميمون بن هارون: ألك بالبصرة ضيعة؟ فتبسم و قال: أهديت كتاب الحيوان الى محمد بن عبد الملك فأعطانى خمسة آلاف دينار. و اهديت كتاب البيان و التبيين الى ابن داؤد فأعطانى خمسة آلاف دينار، و اهديت كتاب الزرع و النحل الى ابراهيم بن العباس الصولى فأعطانى خمسة آلاف دينار فانصرفت عن البصرة و كأن لى فيها ضيعة لا تحتاج الى تجديد و لا تسميد.

الصحابی الجلیل عبدالرحمن بن عوف

بقلم : الاستاذ عبدالحلیم عباس

الاسلام لا یحارب الغنی ، و انما یحارب الفقر ، و لا ینقم علی الاغنیاء ، ثراءهم ، و انما یدعوهم و بالحاح الی عون الفقراء ، یجعل هذا واجبا علیهم ، لیس فیه منه ، و بهذا ینتفی الحقد من المجتمع ، و یحل محله التاخی ، و الدعوة الی التصافی و المحبة .

لیسعی کل انسان ، لتحصیل رزقه ،وتنمیة ثروته ، ولکن بالطرق المشروعة و ان جاء من هذه السبل الحلال ثراء ، فلینعم به صاحبه ، ولکن علی ان یعلم و یعمل بما یعمل و هو ان هذا المال لیس خالصا له وحده و انما فیه حق معلوم للسائل و المحروم .

و حدیث ثراء عبد الرحمن بن عوف ، یضلح مثلا طیبا ، الی نظرة الاسلام ، الی الثراء ، و الی اطاعة الاثریاء کلمة الاسلام الهادیة ، فیصبح الغنی بعد ذلك حلیة للثری ، و زینة له ، و موضع حب من اصحابه لا ینقمون علیه . ما هو فیه ، و انما یغبطون له ، و لما هو فیه من ثراء .

و صاحبنا عبدالرحمن بن عوف ، ما ان اعطی سمعه و قلبه ، لما یحدث

به صاحبه ـ ابوبكر ـ بحديث محمد ﷺ ـ حتى تنزاح من امامه ، ما اقام الجهل و الجاهلية ، من حجب تحول بينه بينه و بين رؤية الحق ثم اتباع هذا الحق ، فيسرع الى الاسلام ، و يكون بذلك من العشرة الاوائل المبشرين بالجنة .

و يلقى من الاضطهاد ، ما تلقاه جماعة المسلمين ، فيتحمل قسطه منه ، و من هذا القسط الهجرة الى الحبشة ، و مفارقة الاهل و الاوطان ، ثم يهاجر ثانية مع الرسول الكريم الى المدينة .

و يواخى الرسول بين النازحين من مكة ، و بين اصحاب الدار من اهل يثرب ، و هذه الاخوة الطاهرة ، جعلت الكثيرين من اهل المدينة ، ينزلون لاخوانهم فى الاسلام عن بعض ما يملكون ، انهم اخوان لهم ، و من حق الاخ على اخيه ، ان لا يمسه عوز ، و فى مال اخيه سعة .

و يكون من حظ ، ابى محمد ، عبد الرحمن ، طيب الله ثراه ، مؤاخاة رجل ، وسع الله عليه فيما رزقه وهو سعد بن الربيع .

و يجئى صاحبنا ـ سعد ـ الى اخيه عبد الرحمن و يقول اليه ، اسمع اخى فى الاسلام ، و ياما اغلاها و اعزها من أخوة ، لقد اعطى الكثير من الانصار اخوتهم من المهاجرين ، بعض مالهم و هذا حق لهم ، فقد خرجوا من ديارهم ، لا يملكون شيئا غير الايمان الذى يعمر قلوبهم ، وانا رجل موسع على فى رزقى ، فانى عامد الى ما املك ، اقسمه بينى و بينك ، و استحلفك ان تأخذ خير الحصتين ، وانى متزوج و قادر على ان ازوجك لنصبح متعادلين متكافئين .

فيعتذر — ابو محمد — الى صاحبه ، فى رفق و يتشكر له صنعـه ، و يلح الانصارى الحاحا شديدا و لـكن عبـد الرحمن ، يمضى فى اعتـذاره ، عن اخذ مال صاحبه . و اخيرا يقول له عبد الرحمن ، اسمع يا صاحبى انى رجل له حظ و خبره . فى التجارة ، فدلنى على السوق و سترى حظى فيه ، ان شاء الله . و يدله صاحبـه على السوق ، و يتعرف الى التجار ، فاذا هو بعد حين ، صاحب ثراء واسع ، بل قلائل فى المدينة ، من هم فى مثل ثرائه.

و لـكن ـ عبدالرحمن ـ لا يعطى التجارة ، كل اوقاته ، ان لها النصيب و قد لا يكون الاكبر، اما ما يبقى منها ، و هو الاكبر. فمع رسول الله ﷺ يشارك بماله ، و سيمه و يعطى ، و يقاتل فى سبيل الله .

لقد انفق فى الجهاد ، و على مرات خمسمائة فرس ، و الف و خمسمائة راحلة ثم هو يعطى منه اخوانه و يسدد ديون المحتاجين منهم .

و بلغ من اعزاز الرسول الـكريم له ، ان قال لخالد بن الوليد ، وقد تلاحى و اياه فى سرية و السرايا — يا خالد دع عنك اصحابى ، فو الله لو كان لك مثل احد ذهبا ، ثم انفقته فى سبيل الله ما ادركت غدوة رجل من اصحابى ولا روحة من روحاته ،

وكل هذا الذى يصنع لم يعقده — و حشاه — عن الغزوات ، تحت راية رسول الله ، فقد شهد — بدرا — و قاتل فيهـا اشد القتال و حضر ـ احـدا ـ وقاتل فيها اشد القتال ، و اصابت الجراح جسمه ، ما يقارب العشرين جرحا . واصيبت ساقه فاورثته عرجا ، دائما .

و يمضى ابن عوف ، موسعا عليه فى رزقه الحلال ، فتجارته رابحة ،

له حظ عظيم فيما يبيع ويشرى حتى يكاد يصدق عليه قوله و هو لو قبلت حجرا ، لوجدت تحته فضة او ذهبا .

و يرى اهل المدينـة ثراءه ، فيسرون لذلك . لانهم يعلمون ، ان لمحتاجهم نصيب فيه فان الغنى فى الاسلام ، اذا اتبع النهج الاسلامى القويم فى ثرائه ، و اول هذا النهج ان يكون حلالا و ثانية ان يعطى حقوق الله فيه . لم يكن هذا الغنى موضع حقد . كما تصور لنا المذاهب الدخيلة ، بل موضع حب كما قلنا .

كان اهل المدينة يقولون ، ان ثراء ابن عوف هو ثراء لاهل المدينة جميعا ، فامواله مقسومة الى ثلاثة اقسام :

ثلث هذه الاموال يقرضه لهم .

و الثلث الثانى يوفى به ، ما على محتاجهم من دين ،

و ما تبقى ، يصلح باكثره .

و لكنه مع هذا الذى يصنع فى ماله كان لا يراه اصحابه ، الا خائفا وجلا . من ان يكون المـال سببا من الاسباب ، التى تباعد بينـه و بين رضى الله .

لقد قال له الرسول ، ﷺ . و هو منذ سمع ذلك القول ، دائما المحاسبة لنفسه ، و مراقبة سلوكه فى ماله يتقرب به الى الله ، الذى يهب و يعطى ،

قال له مرة يا ابن عوف ، انك من الاغنياء ، و انك ستدخل الجنة حبوا ، فارض الله يطلق له قدميك .

جاءت رواحـله ، و هى بالعشرات من ديار الشام ، تحمل خيراتهـا

فتسامع بها اهل المدينة ، و سروا بمجيئها و لقد كان صاحبنا حريا بالسرور ايضا . و لكن يترامي اليه ، حديثا تحـدثت به ام المومنين ، عائشـة عليها رضوان الله ، فهى قالت لقد سمعت الرسول الـكريم يقـول — رايت عبدالرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا — فيسرع اليها ، يسألها عما تحدث به فتحدثه بحديثه . و قد كان سمع مثله من الرسول الامين ، فيسارع ينزل لفقراء المدينة عن الـكثير مما جاءه .

و هكذا يمضى الرجل المسلم فى حياته ، كله حب للخير و بر باصحابه ، لا تلهيه تجارة رابحة عن البر بهم ، و ياما اروع الصحابى الجليل . والانسان الخير الـكريم و هو يشكو لاصحابه . هموم الثراء و انه يخشى أن يحبس بسببه عن اصحابه فى الدار الاخرة ... ثم هو يقول لقد سبقونى الى الجنة ، و قد تاخر . ميعاد لحاقى بهم ، لقد استشهد اكثرهم و انسىء لى فى الاجل .

ثم يوصى باكثر ماله . لاخوته من اهـل بدر ، و يقول انهم شركاء فية مع اهلى ، سيرة عطرة زينها السير ، على الطريق القويم . طريق الهدى و الدين وهذا هو الاسلام فى كل ما رسم لنا من نهج فى مختلف الدروب و ما هم المسلمون الاولون ، زانوا صفحة تاريخ الانسان ، باجمل ما تزان به صفحة فكان عندهم الغنى و الغنى الحلال و على ما رسم الاسلام طريقا الى الحب و المحبة

(مع الشكر لجريدة الرأى الاردن)

الاسلام و الشيوعيه

اعداد: نثار احمد الاعظمى (المتخرج من دارالعلوم)

المراجع:

- حقيقة الشيوعية — لسعيد عريان
- الاسلام و الشيوعية — للشيخ عبد المنعم النمر
- الاسلام و المناهج الاشتراكية — للغزالى
- الاسلام فى نظر الغرب — للدكتور موشى

ان فكرة الاشتراكية و الشيوعية تدفقت من قديم فى أعماق أفلاطون فى القران الخامس قبل الميلادى، كما دعا إليها فى جمهوريته. و قامت هذه الفكرة على المادة و الاقتصاد.

و لما عبرنا عدة قرون وجدنا «كارل ماركس» الذى يعتنق فكرة الشيوعية، و لكنه ضم إليها فكرة حديثة تدل على الالحاد و المروق.

قد ولد «كارل ماركس» فى مدينة تريفز بألمانيا و اختار لنفسه أن يشترك فى ثورات عام ١٧٤٨ ... فاصبح من أنصار جماعة ألمانيا الفتاة، ثم سافر الى باريس. و فى سنة ١٨٤٥ طرد ماركس من باريس .. فذهب

إلى بروكسل و بصحبته زميله و صديقه «إنجلز» ـ و قصد فى ذلك الحين أن يضع لائحة للجمعية الشيوعية الألمانية التى إتخذت باريس مركزا لنشاطها: فاصدر أول لائحة شيوعية، تقدم فيها بفلسفة جديدة للتاريخ؛ و قد تبين أنه قد تأثر فى قرأته بفلسفه «هيجل» التى تفسر فى قاعدة تضع الماضى و الحاضر و المستقبل فى ترتيب منطق محتوم، فتقول تلك الفلسفة إن الشيوعية البدائية بعد خلق الانسان قد قهرتها النظم الاقطاعية، ثم حلت محلها، ثم جاءت البوار جوازية الرأسمالية، فحلت محل النظم الاقطاعية. و قد جاء دور الطبقات ... العمليات الكادحة لقهر الطبقات البوارجوازية وانتزاع ما فى ايديها. فالتاريخ بأكمله هو كماح -- بين الطبقات، و دكتاتورية الرأسمأليين لا بد أن تخلمها دكتاتورية مجتمع عديم الطبقات.

و هكذا كان «كارل ماركس» فى برنامجه الذى وضعه للطبقة العمالية التى اطلق عليها الرومانية القديمه البرولتاريات منكرا المبادئ القومية و الوطنية إذ يجمع العمال كلهم من جميع الأجناس، و هو فى الوقت نفسه يتهم الدين بأنه يساعد على الاستغلال، لان الكنائس كانت دائما تحالف الرأسماليين و قد تأثر عدد كبير من المثقفين الروس بهذه المبادئ.

و النظام الشيوعى الذى رسمه «كارل ماركس» يسلب الفرد حريته، و يضع تحت الوصاية القاهرة و الرقابة الشديدة التى تكاد تحصى على أنفاسه و تعد حركاته و سكناته، و الذين يعملون على إدماج بلادهم فى خطيرة الشيوعية يحاولون تعريضها لحكم قاس و ديكتاتورية صارمة .. تعتمد فى تدعيم سلطانها على الجاسوسية و تقوم على خنق الحريات و قد يدفع بعض

الناس إلى ذلك ضيقهم بأحوال بلادهم، و لكنهم فى مثل هذه الحالة يستجيرون من الرمضاء بالنار. ولو أنهم علموا ما بالشيوعية من شر و هوان، أولو أنهم عاشوا فى جوها و عانوا تجربتها لملئت قلوبهم رعبا و نفورا.

و أسطورة «إلغاء نظام الطبقات» التى تتغنى به الشيوعية خرافة لم تحدث فى يوم من الأيام، لأنها مخالفة لطبائع الأشياء و ما دامت الناس تتفاوت فى القدرات و الملكات فكيف يمكن أن يسوى بينهم فى الأقدار و الدرجات و الطبقات فاختلاف الطبقات مسألة باقية و دورة خالدة.

و قد كان لهذا اللون من ألوان التفكير الشيوعى أثره الواضح فى احتقار الفرد و الاستهانة بقيمته. لأن هدف الشيوعيين هو نجاح الجماعة من غير أى إعتبار لقيمة الفرد. و قد قبلوا النظرية التى استنبطها «كارل ماركس» من فلسفة «هيجل» ادخل فيها التعديل و التغيير لتلائم أهدافه.

و عند «هيجل» أن الفرد ليس حقيقة كالمجتمع، و إنما هو تعبير خاص عن المجتمع، و هيجل من أنصار النظرية القائلة بان المجتمع وحده هو الموجود حقاً. و أن الأفراد ليسوا سواء تجريدات، او مختصرات من الكل الاجتماعى المعين.

و لما كان الفرد فى حالة عزلته عن المجتمع يزول كيانه، لأن وجوده محض تجريد من المجتمع الكلى. فانه ليس من حقه أن يقف من المجتمع موقف القاضى الذى يصدر الأحكام و يقدر ... البواعث، و يزن الأفعال و ينقد الآداب الذائعة و العرف المتبع.

و لما كان ضميره الأدبى نفسه صورة ناقصة من الضمير العام. فمن

الفساد و الشر أن يحكم على الآداب المتواضع عليها فى ظل بداهته الأدبية و واجبه الأسمى أن ينهض بأعباء و ظيفته ... الاجتماعية أقوى نهوض و يؤدى على أحسن وجه و هناك أفراد قلائل ممتازون أوتوا البصيرة ... النافذة التى يتعرفون بها حاجات المجتمع و امكانيات تقدمه . و هولاء هم الذين يتولون تفسيره الارادة العامة و إلا بانه عن مقاصدها و هم العقل الذى تفكر به البيئة الاجتماعية ، و بدون دساطة هولاء و ارشاداتهم تتعثر الجماعات فى عشواء الجهالة ، و تتنكب الطريق السوى .

و لاخفاء فى أن الايمان بهذا المذهب ، اعتراف بوجود طبقة خاصة من حقها السيطرة و التوجيه .

و فكرة المجتمع الشيوعى الخالى من الطبقات و القائم على المساواة المطلقة ، حلم قديم فى صورة جديدة ، و قوه الدعاية الشيوعية مستمدة من عاملين .

العامل الأول تظاهرها بالصبغة العلمية . وإضفاء ثوب الحقيقة الواقعة التى لا تقبل الجدل على تفسيرها المادى الاقتصادى ، و الطنطنة به وعده ... كشفا عظيما . و الواقع أن التفسير المادى للتاريخ أمر له أهمية . ولكنه أحد التفسيرات الكثيرة ، و ليس هو التفسير الوحيد . فقد تكون عوامل التاريخ إقتصادية ، وقد تكون شيئاً آخر غير الاقتصاد ؛ فالعامل الاقتصادى هو أحد العوامل الفعالة فى التاريخ ، و لكنه ليس هو عامل الفذ .

و العامل الثانى من عوامل قوة الشيوعية . الأمل الذى تبعثه فى نفوس أتباعها . فالشيوعية ترحب بالجهاد و الكفاح ، و الثورة و الدماء باعتبارها

و سائل لازمة لغاية بهيجة مشرقة لامعة هي وجود عالم (خيال) خال من الطبقات، ليس فيه دين و لا قومية و لا شعوبيـة و لا ثروة تفاضل بين الناس. عالم لا يعرف البؤس و الشقاء. و لا الفقر و لا الحاجـة. و لا الاستغلال و الاستعباد.

﴿ العمال فى نظام الشيوعيـة ﴾

و ليس من شك أن قدرا بالغا من الدعايات المضللة يبذل فى العا لايهام العمال و الصناع بأن الشيوعية نظام بديع، يجـد العامل فيه كل م تصبو نفسه إليه من حرية و كرامـة و رزق موفور، و أن قوانين العمل فيها كفيلة بخيرهم و رفعة مركزهم. و ضمان حقوقهم كمواطنين يحملون فوق كواهلهم بناء الدولة، و كيان الأمة. و يجدون إزاء هذه التبعات كل ء تطمئن إليه نفوسهم من توفير الرزق. و الصحة و العدالة و دقة النظام.

و الكلام الجميل سهل، و تصوير الخيالات شئ يفتن النفوس ويضلل الأذهان، و لـكن الحقائق الثابتة فى روسيا و الدول التى تسير فى فلـكه فالأمر فيها مختلف كل الاختلاف.

إن صاحب العمل الأوحد هناك هو الحكومة أو على الأصح الحزب يسيطر عليه و تتغلغل فروعـه فى كل مكان فتؤلف قضبانا لقفص ضخم أو سجن أحمر يعيش العمال فيه محتبسين.

و قد يسأل سائل: سر بقاء هذا النظام فى تلك البلاد. و الجواب الصريح هو: الرقابة المتعنتة القاسية. و الرقابة الحديدية التى يتعذر المكا

منه ، الرقابه البوليسية التى يتفانى الموكلون بهـا فى تنفيذها . بدعوى حماية الدولة من كل عدوان خارجى . و وقايتها من كل تمرد داخلي .

ولسنا نذهب بعيدا . فها هى ذى تشريعات العمال عندهم تكفى حقيقتها لاظهار مدى القسوة فى معاملتهم :

(١) فى ١١ اكتوبر ١٩٣٠ صدر مرسوم ينص على أن العامل يجب أن يقبل أى عمل يعهد به اليه و فى أى بلد . و فى أى مكان .

(٢) و فى ٢٤ سبتمبر ١٩٣٠ و ١٩ اكتوبر ١٩٣٠ و ١٠ أغسطس سنة ١٩٤٠ صدرت مراسيم تحرم على العـامل أن يتخلى من تلقاء نفسه عن أى عمل مسند إليه و الا فانه يعد هاربا و يحكم عليه بأن يقضى عشرة أعوام فى معسكرات العمل الأجبارى.

(٣) و ينص مرسوم ١٦ دسمبر ١٩٣٦ و مرسوم ٢٦ يونيو سنة ١٩٤٠ على ان العامل إذا غاب يوما واحـدا أو تكرر تأخره عن مواعيد العمل ثلاث مرات فى شهر واحد ، فانه يفصل من عمله و يحرم من بطاقة الاتحاد المثبتة لمهنته ، و التى تعطيه حق السكنى و الغذاء و يتعذر للحكم عليه مدة تتراوح بين ستة أشهر و سنة .

و ينص القانون السوفيتى الأعلى الصادر فى ٢٦ يونيو سنة ١٩٤٠ على أن من حق المـدير أن يفرض من عقوبة السجن على العامل لمـدة أربعة أشهر دون تحقيق و لا محاكمة .

أى إهدار للآدمية و ارخاص لثمن الإنسان أبلغ من الهوان ؟

و ما الفرق بين هذا الحال ، و بين نظام السخرة الجائر الذى كان

سائدا فى العصور المظلمة.

إن ثمن الآدمى فى ظل النظام الشيوعى يقل كثيرا عن ثمن السلعة التى ينتجها الآلة التى يعمل عليها.

إن الشيوعيين يصفون نظامهم بأنه « اشتراكى » فأى مظهر من مظاهر الاشتراكية و أى معنى من معانيها يبدو فى هذه القوانين العمالية. أو فى حياة أولئك العمال.

إنها ليست تسابقا الى الابتكار أو الاتقان، بل هى تسابق إلى الموت، و بهذه الطريقة يحقق الشيوعيون فكرة « الفرد ملك للدولة »

و يمكن تلخيص الأصول التى قامت عليها الشيوعية فيما يأتى :

(١) لا إله و الحياة مادة.

(٢) إلغاء الملكية الفردية و تأميم جميع المؤسسات و وضع أموال الامة كلها فى يد الحكومة.

(٣) القضاء على التجارة الداخلية و قيام نظام السلع مقابل بطاقة يقدمها الفرد للحصول على حاجاته.

(٤) تطبيق نظام الأجور الذى وضعه لينين « لكل نصيب حسب قدرته ... و لكل ما مسته الحاجة »

فالشيوعيون تقوم فكرتهم على أساس مادى صرف، فالعالم موجود على طريق للتطور و ليس هنالك إله أوجده و يقوم على حفظه، و فكرتهم هذه تفصح عنها أقوال مؤسسى المذاهب و دعاته الأول فكارل ماركس يقول : « لا إله و الحياة مادة » و ايضاً يقول : ان الأشياء المادية

وحدها هي المحسوسة بالنسبة لنا لا استطيع أن أعلم شيئا عن وجود الله.
إن وجودى الخاص بى هو وحده الأمر المؤكد أما ما عداه فخيال لا أصل.

﴿ من التوجيهات الاسلامية ﴾

إن الاسلام يقوم بالقضاء على تلك النظريات الواردة ، و يرفض
كل نظام يتجاوز عن حدود يعينها الله لعباده الخاضعين له و يؤلف نظامه
حسب المصالح العامة و لا يسمح لاى شخص تعيث يده قضاء اعلى الكرامة
الانسانية و حريته .

إن ألغاء الملكية للافراد ، و تسلم الحكومة ... و حدها المصرف
المركزى و طرق النقل و الاتصال ، و المعامل . معنى ذلك أن واضعى هذه
الأسس يتصورون الحكومة قسطاس حكمة و ميزان عدل ، حتى اذا ما
حكمت حكما مطلقا دكتاتوريا أنصفت الناس كافة .

إنها لقصيدة شعرية خيالية ، زهت ألوانها و صورها ، أما من ناحية
التشريع المحمدى فانها بمثابة احتكار . احتكار فئة كبرى من البشر ، جلست
على كراسى الحكومة . لتتصرف بمطلق الحرية ، و السلطان بمقدرات البشر ،
و نشاطهم و جهودهم تبدل احتكار الشركات باحتكار جيش من رجالات
السلطة . الله أعلم بسرائرهم ، و إن الاحتكار محرم فى التشريع المحمدى .
قال الشارع الأعظم فى حديثه : « الجالب مرزوق و المحتكرملعون »

﴿ كرامة العمل فى الاسلام ﴾

يتشدق الشيوعيون أن الذين يعتنقون ... الديانات يقعدون عن العمل

و الكفاح ، و يقبعون بالكسل و الهوان .

ولكن النظام الذى يقدمه الاسلام هو حجة دامغة على الشيوعيين .

قال : القعود فى الحياة نقص يعتر الرجولة و شلل يصيب المواهب . فالرجل الذى يأكل من فضل ثروته أوجه فى مجتمعنا من الذى ياكل من عرق جبينه ، و الذى يجد القليل من طرق الكسب الشريف أهون جانبا من الذى يقع على الكثير فى ميادين التزوير والاحتيال .

ذكر امام الرسول ﷺ رجل كثير العبادة ـ لا يعمل ـ فقال من يقوم به . قالوا : أخوه. قال: أخوه أعبد منه . و قال : إن الله يحب المحترف .

﴿ تحديد ساعات العمل ﴾

المأثور عن أخلاق الرسول صلوات الله و سلامه أنه ما خير بين أمرين إلا اختار ايسرهما ما لم يكن - إثما . فان كان إثما كان أبعد الناس عنه و المعروف من وصاياه لأصحابه أنه كان يقول : (يسروا و لا تعسروا و بشروا ولا تنفروا) و الله سبحانه و تعالى يبين للرسول العظيم منهاج حياته ـ و لنا فيه أسوة فيقول له : « ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى » و الرسول ﷺ كذلك يزيد الأمر وضوحاً فيقول للناس « روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فان القلوب إذا كلت عميت » و نصوص الدين إذا استهديناها و روحه إذ استوحيناها تشير إلى أن الاستمرار فى الأعمال إلى حد الارهاق أمر لا يأذن به الشرع و لا يرضى عنه الله سبحانه . و من هنا نعرف حكمة المطالبة بتحديد ساعات العمل و سبب استمساك العمال بها ـ

فى الأحوال المعتادة ـ فان الطبقات الكادحة لا تتكون من مردة و شياطين بل من أناس لهم مشاعر و عواطف تستحق الاحترام و لهم مطلق الحرية فى أن يستمتعوا بزينة الله التى اخرج لعباده . و ان يتركوا جو العمل الجاد ليتنفسوا فى جو الحياة المرحة و مواطن اللهو المباح .

اما الشيوعيون فهم يفرضون على العمال الكادحين ان يواصلوا عملهم وراء قضبان الحديد مثل الآلات المتحركة الصماء و الخرساء التى تتحرك دون ان تشعر لذاذة الحياة .

فالدين فى الحقيقة يعرف الانسان بمتاع الحياة و يهيى له سبل الانتفاع به و يكلفه لقاء ذلك ان يشكر الله عليه ، و يفهمه ان الارض و السماء و بينهما ... لخدمته ، و ان ما انبث فى فجاج الأرض من خيرات وما انتثر على آفاق السماء من كواكب . و ما اتسق فى نظام الكون من جمال و بهجة . انما هو مهاد ميسر للحياة الانسانية كيما تتأنق و تزدان .

و لايضاح ذلك نورد من القرآن الحكيم مثلا يقول : « الم تروا ان الله سخر لكم ما فى السموات و ما فى الأرض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة » ترى من يفهم هذا القول ، و من يحس بما فيه من ادلال بالنعم و تذكير بالفضل . اهو الانسان الذى يترعرع فى النظام الشيوعى يشعر بما توحى به الآية من أن السموات و الأرض مسخرة له ، بل يحس بأنه مسخر روحاً و بدنا .

فسلك الاسلام ـ و هو دين إنسانى بحت ـ من العلم و السياسية ، و الاقتصاد لا يبيح لواحد من هذه الثلاثة أن يكفر به ، و لا أن يجحد

قدره و سنرى فى هذه الرسالة دلائل متضافرة على هذه الحقيقة الثابتة. و ما دام الاسلام هو الخلاصة الصحيحة لرسالات السماء و ما مدلولها الصادق القريب من الفطرة الانسانية النقية التى تشع العلم و الاقتصاد و السياسية فى أسى صورها. فهل هناك سبب معقول لبقاء أية عداوة بين الدين وبين نتائج الفكر الانسانى فى هذه الميادين؟ فالنظام الشيوعى يعتمد على الانسان الذى احله محل الا له الواحد وكفر بالله الاحد الصمد. و النظام الاسلامى يعطى فرص الحياة السامية لجميع معتنصيتها ليعيشوا آمنين من قهر جبارة الناس و سفاسف الفلاسفة و ظلال رحمة و رأفة الخالق عز و جل الذى يشمل برعايته الربوبية الانسان و سائر المخلوقات و هو صانع حكيم يطلع على طبائع الاشياء و خواصها.

﴿ خير الرازقين ﴾

قال بعض المفسرين فى تفسير قول الله عزو جل: (و هو خير الرازقين) اى: المخلوق يرزق فاذا سخط قطع رزقه. و الله عزو جل يسخط و لا يقطع.

روائع الحکم

اعداد : ظہیر انوار (م ـ د ـ د)

قالت الحکماء : آیة العقل سرعة الفهم و غایته اصابة الوهم . و لیس لمن منح جودة القریحة و سرعة الخاطر عجز عن جواب و ان اعضل .

☆ ☆ ☆

قیل لعلی رضی الله عنه کیف یحسب الله العباد علی کثرة عددهم قال کما یرزقهم علی کثرة عددهم .

☆ ☆ ☆

قیل لعبد الله بن عباس این تذهب الارواح اذا فارقت الاجساد قال این تذهب نار المصابیح عند فناء الادهان .

☆ ☆ ☆

قال بعض العلماء : رکب الله الملائکة من عقل بلا شهوة و رکب البهائم من شهوة بلا عقل . و رکب ابن آدم من کلیهما فمن غلب عقله علی شهوته فهو خیر من الملائکة . ومن غلبت شهوته علی عقله فهو شر من البهائم .

☆ ☆ ☆

قال علی ابن ابی طالب رضی الله عنه : اخاف علیکم اثنین . اتباع الهوی و طول الأمل . فان اتباع الهوی یصد عن الحق : و طول الامل ینسی الاخرة .

قال بعض البلغاء : العلم عصمة الملوك لانه يمنعهم من الظلم : و يردهم الى الحلم . و يصدهم عن الاذية . ويمنعهم على الرعية . فمن حقهم ان يعرفوا حقه و يستبطنوا اهله . فاما المال فظل زائل و عارية مسترجعة و ليس فى كثرته فضيلة و لو كانت فيه فضيلة لخص الله به من اصطفاه لرسالته . و اجتباه لنبوته. و قد كان اكثر انبياء الله تعالى ما خصهم الله به من كرامته . و فضلهم على سائر خلقه فقراء لا يجدون بلغة . و لا يقدرون على شئى حتى صاروا فى الفقر مثلا .

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : اياكم و تحكيم الشهوات على انفسكم فان عاجلها ذميم . و آجلها وخيم . فان لم ترها تنقاد بالتحذير و الارهاب . فسوفها بالتأميل و الارعاب . فان الرغبة و الرهبة اذا اجتمعا على النفس ذلت لهما و انقادت .

قيل لبعض الحكماء : من اشجع الناس و احراهم بالظفر فى مجاهدته قال من جاهد الهوى طاعة لربه و احترس فى مجاهدته من ورود خواطر الهوى على قلبه .

قد وصف بعض البلغاء حال الهوى و ما يقارنه من محن الدنيا . فقال . الهوى مطية الفتنة . و الدنيا دار المحنة فانزل عن الهوى تسلم . و اعرض عن الدنيا تغنم . و لا يغرنك هواك بطيب الملاهى ، ولا تفتنك دنياك بحسن العوارى فمدة اللهو تنقطع و عارية الدهر ترتجع و يبقى عليك ما ترتكبه من المحارم و تكتسبة من المآثم ،

التحية و السلام اول صلة للانسان بأخيه الانسان . و هو رائد المحبة ، و رسول الألفة و رافع حجاب الكلمة ، به ينشرح الصدر و ينفتح القلب و تزول الوحشة و تنعطف الروح الى الروح و تمتزج النفس بالنفس . وقد اختار الاسلام للتحية والسلام عبارات تشعر بالأمن و توحى بالطمانينة و ترمز الى الدعاء . فعبارة التحية فى الاسلام : السلام عليكم ورحمة الله . او سلام الله عليكم و رحمة و بركاته . و قد امر الاسلام بالسلام و أمر بافشائه و اشاعته بين المسلمين كما امر بتعميمه بين الصغير و الكبير و الذكر و الانثى و القائم و القاعد و الماشى و الراكب و القريب و البعيد .

و ندب الى التزام عبارة التحية فى جميع الاوقات و من جميع الاشخاص و جعلها تحية الصباح و المساء و الرجل و المرأة و الصغير و الكبير و العامة و الخاصة . فليس من تحية الاسلام تقبيل الأرض أو الرداء إو الانثناء او الانحناء او الركوع او السجود او غير ذلك مما يوحى بالذلة و الخضوع ،

فكما ان من اهداف الاسلام التوحيد فى الربوبية فمن اهدافه التوحيد فى الاسلام و التحية .

و لان فى البدء بالتحية اشعارا بالتواضع و تعريضا بالتعارف اوجب الاسلام رد التحية ليكون ذلك امارة التجاوب و التأخى بين المسلمين فالاعراض عن رد التحية باعث الى الجفوة و التقاطع و ذلك مما يكرهه الاسلام و يبغضه اشد البغض ـ و تتم التحية بالمصافحة بالايدى عند اللقاء و بالمصافحة تنقطع كل شبهة فى التعالى و التكبر و التجافى و التنفر ، الا ان الرجل لا يصافح المرأة و بخاصة الشابات دفعا للفتنة . و ان ادت التحية الى التهمة و الحرج فقد منعها بعض العلماء فلا تسلم الشابات على الشبان ، و لا الشبان على الشابات اتقاء للريب وظنون السوء . يستحب اعادة السلام على من تكرر لقاؤه و ان كثر .

الايات و الاحاديث :

قال الله تعالى « و اذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أو ردوها ان الله كان على كل شئ حسيبا . »

و قال تعالى « فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون »

* ١ *

و عن ابى هريرة رضى الله عنه قال « قال رسول الله ﷺ لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا و لا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شئ اذا فعلتموه تحاببتم ؟ افشوا السلام بينكم . » رواه مسلم و ابوداؤد .

و عن ابی یوسف عبدالله بن سلام رضی الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ یقول : یا ایها الناس افشوا السلام و اطعموا الطعام و صلوا باللیل و الناس نیام تدخلو الجنة بسلام . رواه الترمذی

و عن عائشة رضی الله عنها قالت : « قال رسول الله ﷺ هذا جبریل یقرأ علیك السلام » قالت : قلت وعلیه السلام و رحمة الله وبرکاته متفق علیه

و عن اسماء بنت یزید رضی الله عنها ان رسول الله ﷺ مر فی المسجد یوما و عصبة من الناس قعود فألوی بیده بالتسلیم رواه الترمذی و قال هذا محمول علی أنه ﷺ جمع بین اللفظ و الاشارة .

و عن ابی هریرة رضی الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : یسلم الراکب علی الماشی و الماشی علی القاعد و القلیل علی الکثیر (متفق علیه)

و عن انس رضی الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « یا بنی اذا دخلت علی أهلك فسلم تکن برکة علیك و علی اهل بیتك » رواه الترمذی

و عن ابی هریرة رضی الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «اذا انتهی احدکم الی المجلس فلیسلم فاذا اراد أن یقوم فلیسلم فلیست الأولی بأحق من الآخرة » رواه أبو داؤد .

و عن علی رضی الله عنه : قال رجل یا رسول الله : الرجل منا یلقی اخاه او صدیقه أینحنی له قال : « لا » قال افیلتزمه ویقبله ؟ قال : « لا » قال فیاخذه بیده و یصافحه ؟ قال : « نعم » رواه الترمذی

و عن أبی أمامة رضی الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ تمام تحیاتکم بینکم المصافحة . اخرجه الترمذی .

الحق ابلج لائح

للشاعر ابى العتاهية

(يصف المرء التقى و رغد عيشه)

الم تر ان الحق ابلج لائح ٭ وأن لحاجات النفوس جوائح
اذا المرء لم يكفف عن الناس شره ٭ فليس له ما عاش منهم مصالح
اذا كف عبد الله عما يضره ... ٭ و اكثر ذكر الله فالعبد صالح
اذا المرء لم يمدحه حسن فعاله ٭ فليس له و الحمد لله مادح
اذا ضاق صدر المرء لم يصف عيشه ٭ و ما يستطيب العيش إلا المسامح
و بينا الفتى و الملهيات يذقنه ٭ جنى اللهو اذ قامت عليه النوائح
و إن امرءا اصفاك فى الله وده ٭ و كان على التقوى معيناً لناصح
و ان الب الناس من كان همه ٭ بما شهدت منه عليه الجوارح

اخبر صاحب الاغانى قال : حدث الصولى عن أبى صالح العدوى . قال : اخبرنى ابو العتاهية : قال : كان الرشيد مما يعجبه غناء الملاحين فى الزلالات اذا ركبها وكان يتأذى بفساد كلامهم و لحنهم فقال : قولوا لمن معنا من الشعراء يعملوا لهولاء شعرا يغنون فيه فقيل له ليس احد اقدر على هذا من ابى العتاهية وهو فى الحبس . قال : فوجه الى الرشيد قل شعرا حتى اسمعه منهم و لم يامر باطلاقى فغاظنى ذلك فقلت و الله لاقولن شعرا يحزنه و لا يسر به فعملت شعراً و دفعته الى من حفظه من الملاحين . فلما ركب الحراقة سمعه و هو (من مجزوء الرمل) :

خانك الطرف الطموح -- * ايها القلب ... الجموح
لدواعى الخير و الشر * دنو ... ... و نزوح
هل لمطلوب بذنب * توبة منه نصوح
كيف اصلاح قلوب * انما هن قروح
احسن الله بنا * ان الخطايا لا تفوح
فاذا المستور منا * بين ثوبيه فضوح
كم رأينا من عزيز * طويت عنه الكشوح
صاح منه برحيل * صائح الدهر الصدوح
موت بعض الناس فى * الارض على البعض فتوح
سيصير المرء يوما * جسداً ما فيه روح
بين عينى كل حى * علم الموت يلوح

كلنـا في غـفـلة ٭ والموت يغدو ويروح
لبني الدنيـا من الدنيـا ٭ غبـوق وصنوح
رحن في الوشي واصبحن ٭ عليهن المسوح
كل نطاح من الدهر ٭ له يوم نطوح
نح على نفسك يـا ٭ مسكين إن كنت تنوح
لست بالباقي ولو ٭ عمرت ما عمر نوح

قال: فلما سمع الرشيد جعل يبكي و يستحب وكان الرشيد من اغزر الناس دموعا وقت الموعظة و اشدهم عسفا في وقت الغضب والغلظة فلما رأى الفضل بن الربيع كثرة بكائه او مأ الى الملاحين ان يسكتوا.

لماذا كرم الله الانسان ؟

بقلم الاستاذ قطب الله

كرامة الانسان حق الهى مقدس ، كما يفهم من قول الله تبارك و تعالى : و لقد كرمنا آدم و حملناهم فى البر و البحر و رزقناهم من الطيبات و فضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا . و كما يفهم من قول النبى ﷺ : ما شئى اكرم على الله يوم القيامة من ابن آدم . قيل : يا رسول الله و لا الملائكة . . ؟ قال : ولا الملائكة ، الملائكة مجبولون بمنزلة الشمس و القمر فان معنى ذلك ان الخير فى الملائكة طبيعة فيهم كالنور و الحسن فى القمر . و الدف و الضوء فى الشمس و النضرة و الخضرة فى الزرع . و العطر و الجمال فى الزهور ، فهم مفطورون على الطاعة . مسخرون للعبادة ، لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ، فلا فضل لهم فى ما جبلوا عليه من البر و الطهر و النقاء ، لان ذلك لم يتحقق لهم بالمجاهدة و العمل و الارادة الحرة ، و انما كان لهم ذلك كالغريزة المركوزة فى الجبلة ، والطبيعة اما الاخيار من بنى آدم فخيرهم صادر عن ارادة حرة و اختيار رشيد ، و كفاح بين نوازع الخير و الشر ، و الهدى و الضلال . و من ثم كانوا اكرم شئى عند الله يوم القيامة كما ورد فى الحديث ، و يظهر من قوله تعالى :

« لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم » ان تكوين الانسان كذلك امثل من تكوين غيره . و لعل مما يؤيد ذلك ما روى عن النبى ﷺ انه قال : ان الملائكة قالت : يا ربنا اعطيت بنى آدم الدنيا . يأكلون فيها ويشربون و يلبسون ، ونحن نسبح بحمدك . ولا نأكل و لا نشرب . و لانلهو ، فكما جعلت لهم الدنيا فاجعل لنا الآخرة . قال : « لا اجعل صالح ذرية من خلقت بيدى كمن قلت كن فكان » . فان ذلك يفهم منه ان خلق الانسان اجمل من خلق غيره ، و لهذا نسبه الله بعمل يديه . و شرف روحه بالانتساب اليه ، كما يفهم من قوله لابليس : « ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى » و قوله للملائكة : انى خالق بشرا من طين فاذا سويته و نفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين » فالانسان بمادته من الارض و بروحه من السماء . بل هو كما يقول العارف الحكيم :

و تحسب انك جرم صغير — و فيك انطوى العالم الاكبر .

فاذا اضيف الى ذلك ان الله كرمه بالعقل ليستضئ بنوره فى معرفة حقائق الوجود حوله ، و انعم عليه بهداية الدين لتصون عقله ان يضل ، و يسدد خطاه على طريق الحق و الخير ، و سخر له كل ما حوله . و آثره على غيره بالخلافة فى الارض ليعمرها و يستثمرها و يستمتع بما اودع الله له فيها من مختلف الثمرات و الطيبات ... اذا ذكرنا ذلك و ما اليه عرفنا لماذا كان اكرم شئ على الله ، و لماذا كانت الكرامة الانسانية حقا الهيا مقدسا . يجب ان يحرص عليه كل انسان ، و ألا يتهاون به ، و لا يفرط فى شئ منه . و لا شك ان اكبر ضمان للكرامة الانسانية هو الايمان بالله

« لا اله الا الله » لان معناه الا يتخذ بعض الناس بعضا اربابا من دون الله ، و ألا يهدروا كرامتهم بالخضوع لوثن من بشر او حجر ، او شمس او قمر ، فان الله ـ وحده ـ هو السيد المطاع . و المربى المصلح . و المالك المتصرف . و الخالق الرزاق وكل ما سواه مخلوق له . و مدين له بوجوده و بما يقوم عليه وجوده . و بحياته و بما تقوم عليه حياته ، و اذا استقر هذا المعنى فى الضمائر و المشاعر شعر كل انسان بقيمته و كرامته ، فحرص عليهما وكافح دونهما ، و ابى لعزته ان تذل ، و لكرامته ان تهون ، وبذلك ينتفى استذلال البعض للبعض . و استغلال البعض للبعض و تكون الحرية اكرم ما تكون . و العزة اعظم ما تكون « من كان يريد العزة فلله العزة جميعا » « و لله العزة و لرسوله و للمؤمنين » .

وقد حرص النبي ﷺ على تاكيد هذا المعنى . فكان فى اصحابه كانه واحد منهم يكره ان يتميز عليهم ، وكان يقول : انما انا عبد الله ورسوله فقولوا عبده ورسوله ، وقد دخل عليه رجل فأخدته الهيبة منه و وقع على قدميه يقبلهما فقال ﷺ : هون عليك ، انا لست بملك . انما انا ابن امرأة من قريش تأكل القديد » . كل ذلك ليصون كرامة المومن ان تذل بغير الله جل شأنه . مع انه ﷺ ، كما يقول الله : « النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم و ازواجه امهاتهم » وكما يقول : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » . « انهم فتية آمنوا بربهم زدناهم هدى ، و ربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات و الارض لن ندعو من دونه الها ، لقد قلنا اذا شططا » . هكذا تحدث القرآن الكريم عن الشباب ، و هكذا اشار

الى فطرة الشباب النقية و همته الفتية و تطلبه للحقيقة ضباب الاوهام و ما يشك احد فى ان الشباب انضر مرحلة فى حياة الانسان و احفلها للشاعر و الاحاسيس وهو كذلك اعظم قوة يعتمد عليها مجتمع يبغى ان يصلح شأنه و ان يصون قوته و ان يعرف مكانه بين العالمين..

و من هنا كانت اهمية التوجيه الصالح للشباب. و من هنا كانت ضرورة العناية بهم فى مرحلة من مراحل الاعداد..

فاذا اردنا ان نبحث عن اعدل منهج يمكن ان يحقق للشباب الصلاح و الاستقامة و للمجتمع النهوض و القوة، فان ذلك فى منهج الاسلام و توجيهه للشباب.

ان الاسلام يضع خطة متكاملة تصنع الشباب الطاهر الذى يحقق لنفسه و امته الامجاد و الفضائل . و يبدأ ذلك من اول الطريق ...

من البيت المحضن الطبيعى للاجيال الجديدة و على البيت يعول الاسلام فى امور كثيرة فى التربية و التوجيه.

« فالرجل راع فى بيته و مسئول عن رعيته » كما يقول رسلنا صلوات الله و سلامه عليه .. و هو كذلك مطالب كما يشير الحديث الشريف بالتربية و التوجيه : « اكرموا اولادكم و احسنوا ادبهم ».

و العب فى هذه التربية يصبح سهلا اذا كانت هناك للمجتمع مقاييس فاضلة يتعارف عليها الجميع و بها يؤمنون. و هنا تصبح الاسرة خلية طبيعية للمجتمع. تستمد منه قيمها و تسهم معه بجهودها..

اما اذا كانت القيم الاجتماعية مختلفة بين الاسرة من جهة و بين

المجتمع كله من جهة اخرى فان العب يكون شديدا . .

فما تعلمه الاسرة للناشئ من مبادئ الاخلاق و مثل الدين ينساه امام اوضاع المجتمع و تقاليده .

فاذا علمته الحياء ، ثم خرج الى المجتمع فوجد الناس لاحياء فيهم ، فلا يلبث ان يتخلى هو كذلك عن حيائه و اذا علمته الحفاظ على العبادات و التمسك بالفرائض ، ثم راى الكافة يضيعونها فان الاهمال ينب الى نفسه ... و من هنا كانت اهمية استمساك المجتمع كله بالمبادئ الصالحة ، و الاتفاق بين الاسرة المجتمع فى خطة التربيته و منهج التوجيه . و قد انتهى الامر بالمجتمع الغربى الى اختلاف قام بين الاسرة و المجتمع فى اسلوب التربية ، فقد تكون الاسرة متدينة ثم تكون المدرسة ملحدة ، او السيما فاجرة ، او الاصدقاء منحلون فيضيع الناشئ فى هذا الغمار ، و ما اباؤهم عنا ببعيد . .

و لكن الفطرة دائما نعرف طريقها ، و الايمان يعرف سبيله ، فمع ذلك التيار الجارف من الشهوات و الموبقات ، نرى بين السباب امارات الايمان و ندرك فى خطام البحث عن الهداية و اليقين . . و يبقى دور العلماء و المربين و الموجهين ان يقودوا اجيال الناشئة الى طريق الصلاح و ان يعينوهم على سلوك الطريق المستقيم . و تبقى مسئولية الشباب نفسه فى ابتغاء الحق و الاستمساك به و الحرص عليه .

(لواء الاسلام ، القاهرة)

اعلان ملکیت دعوة الحق

حکومت ہند کی وزارت اطلاعات و نشریات کا مطلوبہ بیان بابت ملکیت و دیگر تفصیلات مطابق دفعہ نمبر ۸ ضابطہ رجسٹریشن اخبارات مجریہ سنہ ۱۹۶۵ع حسب ذیل ہے۔

۱ ۔ نام مقام اشاعت .... دیو بند

۲ ۔ مدت اشاعت .... سہ ماہی

۳ ۔ پرنٹر، پبلشر، ایڈیٹر .... وحید الزماں کیرانوی

۴ ۔ قومیت .... ہندوستانی

۵ ۔ پتہ .... ابو المعالی دیوبند

۶ ۔ مالک .... دارالعلوم دیوبند

میں وحید الزماں اعلان کرتا ہوں کہ مذکورہ بالا تفصیلات میرے علم و اطلاع کے مطابق درست ہیں۔

وحیدالزماں کیرانوی

طبعت بالمطبعة الکوثر
سرائے میر۔ اعظم گڑھ (الهند)

تحت اشراف صاحب الفضيلة الشيخ مولانا محمد طيب رئيس الجامعة

رئيس التحرير المسؤل

وحيد الزمان الكيرانوى

المدرس بدار العلوم بديوبند

الاشتراك السنوى
فى الهند تسع روبيات
فى الخارج : مايعادلها
عدا اجرة البريد
للمدارس الاسلامية : ست روبيات

ثمن العدد الواحد
روبيتان

العدد الثانى المجلد الثامن
ربيع الاول سنة ١٣٩٢ هـ
مايو سنة ١٩٧٢ ع

محتويات هذا العدد

صفحة

يرسل الاشتراك السنوى ٩ روبيات فى باكستان الى العنوان التالى :

الحاج شوكت على ، يوپى سوڈا فيكٹرى ناتهه روڈ ـ لاہور

ملحوظة : يرسل الايصال بعد تحويل المبلغ على البريد

بسم الله الرحمن الرحيم

قضية القانون الشخصي للمسلمين في الهند

كلمة سامية

لصاحب الفضيلة الشيخ مولانا محمد طيب

مدير دار العلوم بديوبند

اصبحت قضية تعديل القانون الشخصي للمسلمين في الهند موضع اهتمام بالغ لعلماء الاسلام و رجال الدين بصورة خاصة منذ اثارها كثير من رجالات المسلمين من ذوي الفكر و الرأي و الصحافة الذين اظهروا آرائهم عنها باختلاف و جهات النظر و بدأ يدس الانف فيها رجال يزعمون لانفسهم معرفة الدين و الفقه و ليس لهم فكر سليم و لا رأي سديد يقبل في ذلك عند العلماء الراسخين و الحقانيين، و اصبحت هذه الطائفة المتجددة من المسلمين تطالب في صراحة دون تلكؤ بتعديل

القانون الشخصى للمسلمين فى الهند اما اظهارا للولاء الشديد للفئة الحاكمة و الطوائف المعاندة للدين الاسلامى او ابتعادا عن معرفة الروح للقوانين الشرعية ، فشكلت هذه النداءات خطرا يهدد قداسة الاحكام الشرعية الثابتة و كادت القضية ان تخرج من حيز القضية العلمية الدينية الى خطة سياسية مرسومة .

و ان تاريخ المسلمين الزاهر فى اربعة عشر قرنا و مثلهم العليا تعطينا دليلا واضحا على ان احكام دينهم المحكمة الصحيحة و نظامهم الملى العامل و قوانينهم العائلية الفطرية المكتفية بالذات ليس جانبها العلمى و العقلى (مع عدم اتباعها عمليا بصورة كاملة فى المسلمين مع كل الاسف) فى حال من الضعف و النقص بحيث يجوز عنونته بالتعديل و التغيير تحت دافع من العواطف الثائرة و باسم متطلبات الوقت فضلا عن ان يقبل اساسيا اى تغيير او تعديل . و هذا الأمر خارج عن نطاق اختصاصات صاحب الوحى فلا مساغ اذن ان تخول سلطة التعديل الى من كان علمه سطحيا و لا يوثق به و فكره و ذوقه غير مشعبين بروح التدين و التورع ، اما الحوادث و الضرورات الطارئة فليست شيئا غريبا فى نظر الاسلام لانه عالج فى كل عهد كل مشكلة احدثته الايام دون عجز و تقصير و هو فى العصر الحاضر كذلك ليس بواقف امام القضايا و الضرورات الطارئة مكتوف اليدين فانه يقدم لكل مشكلة حلا فطريا يتطابق مع طبيعة الأحوال و الظروف لما فى قوانينه المحكمة من سعة و صلاحية لمقاومة تحديات الزمن و هو بقوانينه وشريعته

المطهرة لا يزال على مر العصور باقيا فى شكله الاصيل دون ان تخدش وجهه النضاء حوادث الزمن وهتافات المعاندين . و ذلك اكبر دليل على انه دين جامع اكمل صالح لاستخراج الحلول المرضية للقضايا الانسانية من مصدره التشريعى الخالد و هو فى غنى عن ادخال اى تعديل او تغيير على شريعته المحكمة .

و من الخطأ ان نخلط بين احكام الشريعة الاسلامية الاصيلة و القانون الذى اطلق عليه فى العرف الرسمى اسم القانون الشخصى للسلمين ، فانه يمكن ان يكون ناقصا غير كامل يقتضى اضافة بعض الاحكام الشرعية اليه و ذلك لايسمى تعديلا او تنسيخاً اتى من الخارج و انما هو تكميل للقانون المتداول عند الحكومة فى اطاره الاسلامى الخالص . و مع ذلك ليست هذه العملية الا من اختصاصات علماء الدين ذوى الثقافة و الرسوخ فى العلم و اهل البصيرة و الخبرة الواسعة بالفتاوى الاسلامية الذين امتازوا بسعة العلم و سلامة الفكر و الذوق و سداد الرأى و عرفوا فى الاوساط العلمية الدينية بغاية تحوطهم و تورعهم و امانتهم و اخلاصهم فاهم المسئولون عن القيام بهذه المهمة و جديرون باداء مثل هذه الخدمة للامة الاسلامية و الوطن .

و ما من شك فى ان دار العلوم بديوبند لم تتخلف فى اية مرحلة حاسمة فى قرن مضى عن اداء واجبها نحو الامة الاسلامية فى قيادتها و توجيهها على المستوى العلمى و الدينى و الاصلاحى . و ها هى اليوم تتقدم كذلك بتأكيد عزمها ان تؤدى واجبها فى ايجاد حل للقضية

المعروضة على مائدة البحث باسم تعديل « القانون الشخصی للمسلمین »
و تمنع بکل قوتها و صلابة ایمانها کل الطاقات التی تصدت لتعقید
هذه القضیة و تشویه صدرة الشریعة الاسلامیة النقیة من وراء الستار
و اصابتها بجروح النقص و عدم صلاحیتها لمتطلبات العصر .. و نظرا
الی اهمیة القضیة و ما اثیر ضدها من اصوات و نداءات معاندة وجهنا
الدعوة الی نخبة من رجال الدین و الفقه من العلماء الموثوقین بهم لیجتمعوا
فی قاعة دار العلوم و یبحثوا الموضوع جریا و جزریا کی نصل الی قرار
حاسم فی ضوء الشریعة الاسلامیة المطهرة عن القضیة المذکورة و انا علی
یقین بان العلماء المدعوین سیصلون انشاء الله الی نتیجة مرضیة یکون
فیها حل مقنع للهاتفین بتعدیل القانون الشخصی للمسلمین ، و الله نسأل
التوفیق و السداد علی الدوام و هو ولی التوفیق و خیر الناصرین .
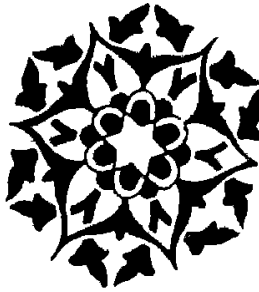
مقومات الخلافة الاسلامية (١)

سماحة الاستاذ الشيخ لطف الرحمن

تعريب : عميد الزمان الكيرانوى

★ ★ ★

كانت الخلافة الاسلامية قد قطعت اشواطا ابتدائية فى حياة النبى ﷺ ثم ترقت و ازدهرت و توطدت اركانها فى عهد الخلفاء الراشدين ، ثم اضمحلت قواها و استشرى الضعف و الانحلال فى جسدها حتى فنيت . و هنا ينشأ السوال : كيف يمكننا الحصول عليها فى الزمن الحاضر ؟ و هذا السوال هو الذى اخذناه بالبحث و المعالجة فى الخطبة الخامسة من مجموعة الخطب التى تبتدأ من محرم الحرام . كما أخذنا بالبحث المستفيض معياراً لزعماء السياسيين و غير السياسيين و أئمة الامة فليرجع اليهـا ئمة . و لكن لابد هنا من عرض بعض الامور التى يجب ان نعيرها الاهتمام والانتباه :

١ — ان الخلافة الاسلامية يمثلها الانبياء عليهم الصلوة و السلام

(١) من مقدمة الخطب الرحمنية لصاحبها الشيخ لطف الرحمن و نقلها الى العربية عميد الزمان الكيرانوى

كما دلت عليه الآية (٥) السالفة من سورة الحج . و فرائضها اربع : الاولى منها : اقامة الصلوة . و الثانية : ايتاء الزكاة . و الثالثة : الامر بالمعروف . و الرابعة : النهى عن المنكر . فلايمكن الحصول على حكومة تتم بتلك الامور الاجماعة طهرت عقائدها و اخلصت عباداتها و اصلحت اعمالها كما تدل عليه الآية (٦) السالفة من سورة النور .

٢ — للحصول على الخلافة و الحكومة لابد من تهيئة جماعة صالحة و اعداد عدة لايستهان بها فبدون ذلك لايمكن اقامة الثورة الاسلامية . و قد يخطأ تقدير الحاجة الى الاسلحة و العدد و الجماعة المناسبة لعدم الوقوف على احوال البلاد و السياسية الحربية فى الزمان الذى أريد فيه اقامة الثورة فبذلك يتقرر انه من الواجب المحتم دراسة الاحوال السياسية و الحربية لذلك المكان او الزمان الذى تعتزم فيه اقامة الثورة و يكتفى القرآن فى هذا الصدد بالاشارة الى المبدأ فحسب : « و اعدوا لهم ما استطعتم من قوة و من رباط الخيل ترهبون به عدو الله و عدوكم » (١)

٣ — المراحل التى تمر بها كل حركة ناجحة و ثورة كاملة و ان كانت اكثر من ان تحصى الا ان المراحل الاسياسية فيها ثلاث و ذلك مثل ارتقاء الانسان الذى يجتاز ثلاث مراحل : الطفولة ، و الرشد ، و البلوغ و كذلك التعليم له ثلاث درجات : الابتدائى . و الثانوى . و العالى و ادنى زلة تقع فى احدى هذه المراحل تسبب صعوبات جمة و تؤخر النجاح الى منازل بعيدة و آماد متقاصية و ليس من السهل

(١) ركوع ٨ - سورة الانفال .

الميسور تقدير الزمن الذى تستدعيه كل مرحلة من هذه المراحل ، فان زيادة الزمن أو قلته انما تتوقف على اهلية الجماعة التى تتكون من الثوار و استعدادهم و قوة عملهم و لفهم ذلك تحت مطالعة القرآن الكريم بتدبر و تفكر . و ككل ثورة و حركة مرت الثورة الاسلامية ايضا بثلاث مراحل : المرحلة الاولى : الحياة المكية ، و الثانية : الحياة المدنية قبل الفتح لمكة . و الثالثة : الحياة التى بدأت من بعد فتح مكة المكرمة .

ان الاسلام يحض على تحسين الحالة الخلقية و التوكل و الايمان بنصر الله و أما عدد المقاتلين و وفرة الاسلحة و المواد الحربية الاخرى فذلك لم يعره كثير اهتمام . و انما هو يعلم المسلمين الجلادة و الصمود و الصبر : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ط و الله مع الصابرين (١) » . لقد اهتم القرآن بذكر وقائع الحرب و تصويرها تصويرا كاملا رائعا و ذلك لان لها صلة قوية بالافكار و النظريات .

٤ — و الثورة الاسلامية لا ينبغى ابدا ان تقاس على الثورات المادية الاخرى التى لا تستنكف أن ترتكب اشنع الجرائم و تجنى على الانسانية للحصول على المطامع الشخصية و المصالح الذاتية كما ارتكب ذلك الاتحاديون فى الحرب العالمية الثانيه — ١٩٣٩ — ١٩٤٥ — بتفجيرهم فى « هيروشيما » منطقة يابان القنبلة الذرية التى نسفت تلك المنطقة بما فيها من بنى الانسان و الحيوان و كانت روسيا من المنضمين إلى حزب الاتحاديين يوم ذاك . و كذلك ما نراه اليوم من المسابقة بين الكتلتين

---

(١) ركوع ٣٣ ، سورة البقرة

العالميتين - الولايات المتحدة الامريكية و روسيا السوفيتية - على الرغم من قيادتهما لهيئة الامم المتحدة — تلك المسابقة التى تجرى بينهما فى تجارب الاسلحة الناسفة المدمرة التى خلقت فى العالم المسالم جوا من الرهب و القلق و الخوف . و لكن الثورة الاسلامية لا يتم قيامها عن طريق استعمال القوة القاهرة الطاغية الضاغطة و انما تقام تدريجيا باستخدام الوسائل السلمية الادبية و الروحية كالعلوم و الفنون و الحكمة و السياسة التى علمها الله سبحانه و تعالى للسلمين عن طريق القرآن الكريم و السيرة النبوية المثالية و لا تهدف هذه الثورة ابدا إلى الحصول على الاغراض و المطامع على حساب الآخرين و لكنها ترمى إلى الاهداف السامية النبيلة التى فيها الخير و المصلحة للجميع وهى تتلخص فى ثلاث : (١) الصدقة (٢) المعروف (٣) الاصلاح بين الناس . فقد رغب القرآن الكريم فى القيام بتلك الامور الثلاثة على اساس من الايمان بالله و و الابتغاء لمرضاته حيث قال : « و انزل الله عليك الكتاب و الحكمة و علمك ما لم تكن تعلم و كان فضل الله عليك عظيما - لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس و من يفعل ذلك فسوف نوتيه اجرا عظيما (١) »

و من ذلك علمنا ان ما حصل عليه الانسان من العلوم و الفنون يجب ان يكون استعماله فى مصلحة جماعية فلا يكون المقصد من تحصيل السمعة و نشر الذعر و الروع و بسط الاستعمار و النفوذ كما جرت

(١) ركوع ١٧ سورة النساء

العادة فى العصر الحاضر . و لقد اخبر النبى ﷺ عن اولئك الذين يتزعمون الحكمة و العلم حينما لا يكون العمل الصادر منهم الا ظلما وجورا فيكون ظاهره فيه الرحمة و باطنه من قبله العذاب ، عن عمر بن الخطاب عن النبى ﷺ قال : « انما أخاف على هـذه الامة كل منافق يتكلم بالحكمة و يعمل بالجور (١) » .

٥ — ان جماعة اذا فقدت البر و الخير و غلبها الشر و الفساد ، اصابها العذاب بقدر ما اعتراها من الشر و الفساد : « عن ام المومنين ام سلمة رضى الله عنها انها سألت رسول الله ﷺ : هل نهلك يا رسول الله و فينا الصالحون ؟ فقال : نعم ، اذا كثر الخبث (٢) » .

و فى احدى الخطب التى تلقى فى الجمعة الثانية فى رجب جاء بحث مستقل عن جزاء الأعمال الدنيوى و قانون بقاء الحكومة و تغييرها فليراجع ثمة . و هنا ينشأ سؤال : ما هو الثواب الذى يجزى به الصالحون فى الدنيا و الآخرة فيجيب عليه القرآن بقوله : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره و من يعمل مثقال ذرة شرا يره (٣) » . و فى هذا الصدد يقول رسول الله ﷺ : « اذا انزل الله بقوم عذابا اصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على اعمالهم . متفق عليه (٤) » . فالى جانب ذلك يتمتع هولآء الصالحون بالمنافع الشخصية الفردية ما داموا على قيد الحياة إلا أنهم يحرمون المنفعة الجماعية فى الحياة الدنيا جزاء

---

(١) مشكوة . كتاب الرقاق . باب الرياء و السمعة (٢) المؤطا للامام مالك (٣) سورة الزلزال — الجزء ٣٠ (٤) مشكوة . كتاب الرقاق . باب البكاء و الخوف .

لتقاعدهم و امتناعهم عن الامر بالمعروف و النهى عن المنكر . و للحض على الامر بالمعروف و النهى عن المنكر يقول عمر بن الخطاب رض فى خطبة له ضمناها الخطبة الثالثة لشهر ربيع الاول : « ياايها الناس اتقوا الله فى سريرتكم و اومروا بالمعروف و انهوا عن المنكر . و لاتكونوا مثل قوم كانوا فى سفينة فاقبل احدهم عـلى موضعه يخرقه . فنظر اليه اصحابه ، فمنعوه . فقال : هو موضعى لى ان احكم فيه ، فان اخذوا على يده سلم و سلموا . و ان تركوه هلك و هلكوا معـه (١) » . و فى ذلك المعنى حديث ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : من رآى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه (٢) » .

لذلك من انه لمن الواجب الذى يتحتم عـلى جميع بنى الانسان غير المسلمين اليوم ان يتقدموا الى الدول القوية الموجدة للاسلحة الذرية و النووية ، بمطالبة حاسمة و هى اما ان تقوم هـذه الدول باعـدامهم جميعا اذا كانت مصممة على الاستمرار فى اقتنائها للاسلحة المـدمرة المهلكة ، أو تتخلى و تتنازل كليا عن هذه الاسلحة التى شكلت خطرا كبيرا على حياة البشر اذا كانت تريد الابقاء عليهم ليزول هذا الخطر المتفاقم المحدق عن اساسه فيتنفس الناس فى جو من بحبوحة الطمانينة و الامن و السلم كما يكون ذلك سببا فى تهيئة الامن و السلام للدول القوية المتنافسة أنفسها .

(١) خطب النبى و الصحابة (٢) مشكوة . كتاب الآداب . باب الامر بالمعروف و النهى عن المنكر

عند ما نستعمل كلمة « العذاب » يتبادر ذهننا عادة الى ما قد يلقى الانسان فى الحياة الآخرة من العقاب و النكال جزاء ما اقترفنا من الذنوب و الاثام . و هذا صحيح يويده الشرع الاسلامى اذا وقفنا عند هذا الحد و اما اذا كان معنى هـذا التصور قصر العذاب بانواعه على الحياة الآخرة و ان الدنيا ليس فيها ثواب و عذاب يواجهه الانسان جزاء لما يرتكبه من الحسنات و السيئات — اذا كان معناه هذا فلايؤيده الاسلام و لاالواقع . كما ان هذا التصور الخاطئ يسبب توانى الفرد الذى قد يؤدى الى هلاكه كما يقول الشاعر : « هلاك الفرد منشأه توانى دعوت الشعب منشأه انقسام » : و اذا افاقوا من سكرتهم و توجهوا الى الجزاء الدنيوى ظنوا ان مجرد اداء الصلاة يكفل لهم الحصول على الامبراطورية العالمية و ليس ذلك الا ناتجا عن جهلهم للتعاليم الاسلامية الصريحة . و قد كتبت خطبة مستقلة عن الجزاء على الفساد فى الارض و هى تلى الخطبة الثالثة من خطب جمادى الآخرة فلتطالع هناك .

ثم انهم علاوة على ما سبق لا يفهمون « العذاب » معنى صحيحا فاكثرهم يظنون أنه لا يتحقق الا اذا اسقط الله عليهم السماء او خسف بهم الارض و هذه الظنون و الخزعبلات هى التى حالت دون انتباهنا الى ما نعانيه من البلايا و منعتنا عن تفكيرنا فى المشاكل و القضايا المتحرجة التى غربها . فاعلموا ايها الناس ! ان كلا النوعين من العذاب العام قد انعاهما الله تشريفا لمقام سيدنا محمد رسول الله ﷺ الا ان العذاب العام قد اصبح يتحقق فى صورة أخرى غير النوعين

المذكورين و هی « الحرب الطبقية » و هی المحاولة التی یبذلها انسان لغرض سیطرته علی انسان آخر و تبذلها طبقة لغرض سیطرتها علی طبقة اخری و قهرها بالقوة و الجبروت ، و يقول الله سبحانه و تعالی: « قل هو القادر علی ان یبعث علیکم عذابا من فوقکم أو من تحت او من ارجلکم او یلبسکم شیعا و یذیق بعضکم باس بعض (١) » . و ان تولی الحکام الجبابرة الغاشمین لمقالید الحکم و سیطرتهم علی جمیع المرافق ایضا نوع من العذاب الذی یسلطه الله سبحانه و تعالی علی عباده کما یقول القرآن الکریم ، « و اذ تأذن ربك لیبعثن علیهم الی یوم القیمة من یسومهم سوء العذاب ط ان ربك لسریع العقاب و انه لغفور رحیم - » . (٢)

و الاهم مما سبق و الاجدر بالاصلاح هو ما یتجاسر علیه بعض الناس من تعیینهم للوقت و المقدار و الکیفیة للعذاب النازل و هم یجهلون ان الاجسام کما یوجد فیها تدافع اذ لکل سم تریاق کذلك الاعمال و الافعال یجری فیها التدافع بین الخیر والشر . فالعذاب انما یصیب تلك الجماعة التی تفوقت فیها عناصر الشر والطغیان و غلبها الفساد و الضلال . و الا فالحسنات تکفر عن السیئات و ذلك مما یؤیده القرآن الکریم : « ان الحسنات یذهبن السیئات (٣) » .

و بعد ذکر العذاب الدنیوی یناسب ان ننتقل الی الاجر الدنیوی الذی یترتب علی المحاسن و المناقب ، کما ان العذاب الذی سبق ذکره

---

(١) ع ٨ - سورة انعام (٢) ع ٢١ سورة الاعراف (٣) رکوع ١٠ سورة هود .

يترتب على الشرور و السيئات . و قد كتبت خطبة مستقلة للترغيب فى الحسنات و الاخلاق الجيدة و هى تتبع الخطبة الثانية من خطب جمادى الاولى و الاجر الدنياوى قسمان : الاجر الجماعى . و الاجر الفردى . اما الاجر الجماعى فقد اسلفنا ذكره فى موضعه حيث اوردنا له آية الاستخلاف عند البحث لمراحل ارتقاء الاسلام و نشوئه . و اما الأجر الفردى فنقدم له امامكم الآية التالية : « و آتينه فى الدنيا حسنة و انه فى الآخرة لمن الصالحين » (١) .

(٦) و فى وراثة الارض يقول القرآن الكريم : « و لقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون . » فالصفة التى تؤهل الناس لوراثة الارض و استخلافها هى « الصلاح » و فى شرحه يقول الامام الراغب فى المفردات : « الصلاح ضد الفساد و هما مختصان فى اكثر الاستعمال بالافعال . قال الله تعالى : « و لا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها » . و قال تعالى : « و ما كان ربك ليهلك القرى بظلم و اهلها مصلحون (٢) و قال البيضاوى فى تفسير هذه الآية : بظلم : بشرك و اهلها مصلحون فيما بينهم . لا يضمون الى شركهم فسادا و تباغيا و ذلك لفرط رحمته و مسامحته فى حقوقه و من ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد . و قيل « الملك يبقى مع الكفر و لا مع الظلم » .

و قول البيضاوى : و من ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق

(١) ركوع ١٦ سورة النحل (٢) ركوع ١٠ سورة هود

حقوق العباد ، قد تبين منه ايضا معنى الايتين : « لا اكراه فى الدين» و « أفا انت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين (٣) » و ذلك ان الاسلام يمنح حرية الفكر و العقيدة و انها من حقوق الانسان الاساسية و هنا ينشأ سوال و هو : اذن ما هى الحكمــة فى مشروعية الجهاد فى الاسلام ؟ و نقول فى الجواب : ان الجهاد انما شرع لتعميم المعروف و مقاومة المنكرات و مناوأة الخصومات كما يعرف ذلك من آية اذن القتال (٥٤/سورة الحج) و الجهاد لهذا الغرض محمود و متفق عليه من البدء الى اليوم و يقول مولانا الشاه عبد القادر المحدث الدهلوى فى « موضح القرآن » تحت فائدة تتعلق بالآية : « لا اكراه فى الدين ـ الخ » : ليس الجهاد ان يكره الناس على قبول شئ معين يعتنقه و انما هو ان يستعمل القوة لاخضاعه كى يقوم بالعمل الذى يستحسنه الجميع و لا يقومون به » .

و بكل ما سبق من التشريح و التوضيح قد تبين لنا ما هو الغرض من التبليغ و اقامة الشريعة . و الامر بالمعروف و النهى عن المنكر . فالتبليغ هو نشر الدعوة الايمانية و عرض الرسالة الاسلامية على الجميع لاعلى امة دون امة أو على ملة دون ملة غير انه لا يسمح فى ذلك بشئ من الاكراه و استعمال القوة و استغلال النفوذ . و لا بد فيه من العمل بقوله تعالى : « وجادلهم بالتى هى احسن » .

و اما اقامة الشريعة الاسلامية فمجال العمل عليها « المسلمون و يسمح فيه بالمواخذة و ممارسة القوة الزاجرة بشرط ما اذا كان القائمون

على اقامتها يقتدرون على استخدام القوة و لم يكن ذلك مثارا للفتنة فيما بين المسلمين . و واجب الامر بالمعروف و النهى عن المنكر عام يقوم به كل مسلم اينما كان فليوده فى كل امة و فى كل بيئة و فى كل بلد ما استطاع و ليبذل فى سبيل ذلك كل ما فى وسعه من الجهود لان المعروف و المنكر ليس الا عنوانا للقيم الانسانية المشتركة .

و قد راعى الاسلام هذا الفرق المذكــور منذ مبدئه . و كتب مولانا الشاه ولى الله المحدث الدهلوى عن قصة الوثيق الرومى : « قد استمر عمر رض فى عرض الاسلام على الوثيق الرومى و دعوته اليه و ترغيبه فيه و يقول الوثيق الرومى نفسه : استمر كذلك حتى اذا قرب اجله اطلق سراحى و قال لى : « اذهب انى شئت (١) » .

و بالجملة فان الامر بالمعروف و النهى عن المنكر فريضة ايمـانية مستوجبة يتحتم على كل فرد من افراد الامة الاسلاميه ان يضطلع بهـا فى كل مكان و بيئة حسبما يوفق له فان ذلك عمـا يميز الامة الاسلامية عن غيرهـا من الامم . و قال الله تعالى : « كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تومنون بالله (٢) ط » .

و فى تفسير « تومنون بالله » يقول البيضاوى : « انما اخره و حقه ان يتقدم لانه قصد بذكره الدلالة على أنهم امروا بالمعروف و نهوا عن المنكر ايمانا بالله و تصديقا به و اظهارا لدينه » .

و ما هو المراد بالمعروف و المنكر ؟ فى شرحهما يقول الامام

(١) ازالة الخفا ـ المجلد الاول ـ فرائض الخلافة (٢) ركوع ٢ آل عمـران

الراغب فى المفـــردات : « و المعروف فعل يعرف بالعقل او الشرع حسنه و المنكر ما ينكر بهما . و يقول العلامة الفقيه ملا عـــلى القارى (فى كتابه المرقاة شرح المشكاة) : « و المعروف النفقة و حسن الصحبة مع الاهل و غيرهم من الناس . و المنكر ضد ذلك جميعا » .

و يقول الشاه ولى الله المحدث الدهلوى (فى كتابه المشهور « حجة الله البالغة » ـ المجلد ١ باب الفرق بين المصالح الشرائع) : اعلم ان الشارع افادنا نوعين من العلم متمايزين باحكامهما متباينين فى منازلها . فاحد النوعين علم المصالح و المفاسد اعنى ما بينه من تهذيب النفس باكتساب الاخلاق النافعة فى الدنيا او فى الآخرة و ازالة اضدادها و من تدبير المنزل و آداب المعاش و سياسة المدينة » .

قد اتضح لنا من الاراء السالفة و البحث المذكور اعلاه ان المراد « بالصالحية » الـــتى ورد ذكرها فى الاية : « ان الارض يرثها عبادى الصالحون » و التى اشترطت لحكومة الارض ، و الصلاحية و الاهلية للسياسة لا للعبادة كما انه ليس المراد بالسياسة تلك السياسة التى تمارس من اجل الحصول على المنافع الشخصية و ارضاء الاهواء النفسية و انما المراد بها تهذيب النفس و تطهير البيئة و الدولة بالازالة لجميع انواع المنكر و الضغط على قوى الشر و البغى و الفحشاء و اقامة جميع نواحى « المعروف » و شعبها كالقيام بالعدل و القسط و حسن السلوك و المعادلة بالاحسان و ايصال الحقوق الى اصحابها . و يقول الشيخ مولانا الشاه عبد العزيز (اثناء كلامه فى بعض الابحاث الضمنية المتعلقـــة

بايات استخلاف آدم فى الارض التى تبتدأ من قوله تعالى : « اذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة » فى تفسيره للقرآن الكريم باللغة الفارسية المعروف ب « التفسير العزيزى » ـ الباب الثانى فى بيان الملائكة و فضيلة العلم ص ٢١٧) : « و من هنا ظهر ان العصمة و الطهارة باكمال درجة الولاية بظهور الخوارق و الكرامات او الكثرة فى العبادة و الزهد و التنسك او حصول الفنا و البقاء او التشرف برؤية التجليات الالهية و مشاهدة عالم الغيب و سماع الهواتف و النداءات الغيبية ــ ليست هى من شروط الخلافة بل الفضيلة التى اشترطت للخلافة هى ان يكون فى نواحى علم السياسة الثلاثة :ــ السياسة المنزلية و السياسة المدنية ، و السياسة القومية ــ فائقا على الاخرين و أن يكون له فيها خبرة واسعة و تجربة مؤهلة و هذا هو مذهب اهل السنة و الجماعة اذ جعلوا فضيلة هذا العلم مناطا لاستحقاق الخلافة » .

و فى معنى الخلافة يقول الشاه عبد العزيز المحدث الدهلوى خلال تفسيره للآية : « فقال انبئونى باسماء هؤلاء » : « خلافت كه عبارت از تصرف در اشياء است . . . » ما ترجمته : الخلافة التى هى عبارة عن التصرف فى الاشياء . . . » .

ذكر ان ابراهیم بن المهدی دخل علی المامون و عنده یتکلمون فی الفقه . فقال یا عم ما عندك فیما یقول هولاء فقال یا امیر المومنین شغلونا فی الصغر و اشتغلنا فی الکبر فقال لم لا تتعلمه الیوم . قال أو یحسن بمثلی طلب العلم . قال نعم و الله لان تموت طالبا للعلم خیر من ان تعیش قانعا بالجهل . قال و الی متی یحسن بی طلب العلم . قال ما حسنت بك الحیاة و لان الصغیر اعذر و ان لم یکن فی الجهل عذر لانه لم تطل به مدة التفریط و لا استمرت علیه ایام الاهمال .

الرأسماليون و الفقراء

امام الاسلام و انظمة الاقتصادية السائدة

فضيلة الشيخ مولانا محمد ميان
استاذ الحديث بالمدرسة الامينية بدهلى و عضو مجلس الشورى
لدار العلوم . ديوبند
تعريب : نور عالم الامينى

كل ما دبجته اقلام المؤلفين و الصحفيين و اعلن على المنصات السياسية ضد الرأسمالية ضعه امامك ثم اقرأ آيتين من القرآن الحكيم تجدهما ترعدان رعدا مهيبا فى وجه الرأسمالية و تهددان تهديدا شديدا :

(١) « الذين يكنزون الذهب و الفضة و لا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم و جنوبهم و ظهورهم ، هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون »(١)

(٢) « لا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ، بل هو شر لهم ، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة و لله ميراث السموات و الارض و الله بما تعملون خبير » (٢) .

(١) سورة التوبة ع ٥ (٢) سورة آل عمران ع ١٨

و بالمقارنة بين وعيد القرآن للكتنزين و بين الصارخين ضد الراسمالية يظهر الفرق جليا بان القرآن الحكيم يامر بالانفاق فى سبيل الله و على اسم الله حين يصرخ الزعماء السياسيون لاستباع الشهوات و ملاء البطون ، فليس وراء صراخهم و ويلاتهم الا عامل الاستغلال و الاستثمار .
الاسلام يصور للانسان عاقبة عمله و ثمرته التى تعقبه ، فيدعو الى الاعتدال فى درب الحيات ، حتى اذا تولى العمال السلطة و زمام الحكم لا يكونوا وحوشا متعنفين ، و يتذكروا ان الراسمالى الذى انتلقت منه السلطة اليهم ان كان ظالما فى سلوكه فذاق جزاء ما عمل ، فظلم الاجير و عنفه كذلك ظلم لامناص له من نتيجته و جزاء عمله . . من بزر السوء ورجاء الخير فكانه طبخ دماغه بلا فائدة . وهو فى فهمه خاطئ ولاشك ،

الاسلام يميز بين الغثاء و الشجر و الحجر . و بين الانسان و حياة الحجر و الغثاء مما يدرك بالمشاهدة ، فالاشجار تقطع و تحرق و تفنى ، و الحجارة تتكدس و تتنقل فى مكان الى آخر ، فهذه كلها من جنس الارض تخلط بها و تمتزج ، و الفرق الذى بين الجواد و الحمار و بين الانسان لا يغض الاسلام بصره عنه . الحيوانات قصارى حياتها الشبع و العمل الذى يتواتر به النسل . اما الانسان فالاسلام يقرره حقيقة ارفع منزلة من جميع الكائنات الى مدى المشاهدة من الارض الى السماء . و يجعله الاسلام حاكما ذا سلطان عليها وما من شئ ارفع منه الا الخالق الواحد القهار .

الاسلام يعد الانسان خليفة الكون و نائب الملكه . يعده حقيقة

سرمدية لا تنتهى بالموت ، .. الموت باب لحياة جديدة او جسر للوصول الى وادى الحياة .. الموت ليس بفناء .. بل هو انتقال محلى او ارتقاء. و لكن القادة السياسيين يجهلون هذا الطريق للحياة كليا ، فالانسان عندهم ثمـــرة مرة من شجرة الشهوة ، خلق للبطن و سيموت وراء تحقيق متطلباته .

★ ★ ★

الانسان بطبيعته لا يحب النفور و التوحش ، خلق عـــلى غريزة الانس و الالفة و فطرة الانسان جوهرها الثمين هو التالف ، لذا يكون المجتمع الذى اساسه على التآلف و التحابب و المواساة و المجاملة ، و المساعدة و المناصرة ، و التوادد و التراحم ، و المروءة و الاخوة . و هذه كلها ملامح وضاءة لوجه المجتمع الانسانى ـ و الاسلام ينظر اليها نظرة اهتمام و يدرس الاخلاق الفاضلة . و لكن الزعماء الدبلوماسيين ليس عندهم ازاء كل ذلك الا الاندفاع وراء النهم و الشبع ، و ملخص مدينتهم و حضارتهم هو الترف و البزخ و الركون الى الراحة و الثراء ، فنتهى طموحهم هو القصر المنيف و الاثاث الفاخـــر و السيارات و المكيفات و ما الى ذلك من اسباب المتعة و الراحة .

★ ★ ★

العقل نعمة عظيمة اودعت فى الانسان ، و هو الذى ميز الانسان عن الحيـوانات ، و جعل الحضارة الانسانية فى احسن تقويم ، الاسلام

يقدر العقل و لكنه يطالبه بالتموح و التطلع الى المعالى حتى لا يقع فى تعقدات مادية . و ينطلق فى مجال التفكير و يوسع نطاقه حتى يعرف نتيجة على بحثه و انطلاقه من هو فوق هذه الكائنات . و يتساءل : هل هناك عالم سوى عالم البطن . و هل لهذه الكائنات غرض نبيل ؟

هذا القمر و النجوم تدور و تدور . هل هذه مباراة فى كرة القدم ؟ هل هذا النظام الشمسى (و على لسان العصر جملة انظمة شمسية) لوحة شطرنج ؟ ام هذه مسرحية فى دار او رقصة فى مرقص ؟

استمعوا الى هاتف صادق .. الى القرآن الحكيم يقول : « ان فى خلق السموات و الارض و اختلاف الليل و النهار لآيات لاولى الالباب . الذين يذكرون الله قياما و قعودا و على جنوبهم . و يتفكرون فى خلق السموات و الارض . ربنا ! ما خلقت هذا باطلا . سبحنك فقنا عذاب النار » (١)

اى فى خلق السموات و الارض و تناوب الليل و النهار دلالات لذوى العقول الذين لم يتورطوا فى ارحال المادة و لم يتقيدوا باغلال لها فيذكرون خالقهم و يؤمنون به ايمانا وثيقا لايغفلون عنه فى اية حال و مع ذلك لا يتكاسلون عن التفكير و التمحيص فهم يمعنون النظر فى خلق البشر و الارض أ هذه متبعثرة بلا سبب فى هذا الكون . هل هى من اسباب المتعة والتسلية و اللهو ام وراء خلقها و نظامها المتين غرض و وراء هذه الصناعة الدقيقة حكمة و غاية ؟ و نتيجة على تفكيرهم

---

(١) سورة آل عمران ع ٢٠

الزيه يصيحون بلسانهم قائلين : « ربنا ما خلقت هذا باطلا خلقتها أنت و أنت الحكيم العليم » .

ان هذا الكون الذى خلق بحكمته و إبداعه كلما يتقدم فيه العقل الانسانى يزداد فى كل خطوة حيرة و دهشه و يعترف بالغاية قائلا : سبحانك ان يصدر منك فعل لا غاية له فقنا ربنا عذاب النار التى تلفحنا فى الحياة الاخرى بقصر النظر و الاهمال .

ان نور العقل اللامع و جوهرة المشرق ان وقع تائها فى العتمات المادية و جعل مجال الاقتصاديات غاية و نهاية له . و لم يستطع ان يجتاز حدود المؤاخرات السياسية الوطنية و الدولية و الاحلاف العسكرية و السياسية و لم يحاول الترفع عنها فتيقن انه قد سلب التوفيق الالهى و حرم القداسة البشرية السامية و ختم الله على قلب صاحبه و جعل على بصره غشاوة و على سمعه غشاية عطلت سماعها . و قد قال الله سبحانه عن امثال هؤلاء : « ختم الله على قلوبهم و على سمعهم و على ابصارهم غشاوة » (١) و من فعل هذا ؟ هذا الانسان هو الذى فعل بنفسه . فانه جعل نعمة الله (العقل السليم) اعوج مفلوجا « ان الله لا يظلم الناس شيئا و لكن الناس انفسهم يظلمون » (٢)

---

(١) سورة البقرة ع ١ (٢) سورة يونس ع ٥

اين موضع التطور و العلاج ؟

بجنب كومة القصر الشامخ الخضرة ، وراء جراج السيارة ، فى كوخ صغير مكون من القش و اعواد القصب ، امرأة نحيفة رقيقة الجسم ، و لها ثلاثة اوأربعة — أطفال صغار و كبار يزحفون .. أثوابهم منخرقة ، و أبطانهم خالية ، تمتقع وجوههم . و الارض ذات كسور لهم مهد و فراش ؛ و على هذا الفراش طفلان ينطرحان . أحدهما يحتمى جسمه بالحمى ، و الثانى على جسمه بتر الجدرى اخرج من المستشفى حالا ، و لكنه الى الآن ضعيف جدا ،

هذا القصر الراسمالى كبير و هو احد اصحاب عشرت الملايين . له مصانع و معامل ، و القصر رائع شامخ جدا . و مزين غاية التزيين و مفــروشاته كذلك ليست بأقل من مائة ألف روبية او اكثر ، له سيارات عديدة . و صداقته مع الضباط الكبار و عدبدون منهم يحضرون فى داره فى الغالب لمادبة الغداء . و لا محالة تقام مـأدبة العشاء فى كل أسبوع مرة أو مرتين . يشترك فيها الوزراء ، و فى الغالب سفراء الممالك الخارجية كذلك .

كوخ المرأة ذلك ، لايواجه القصر و لكن كلما تمر السيارة بالباب يرى طرفه . و فى الخارج عـلى الشارع كلما تنحدر السيارة الى هذا الجانب ، فذلك الكوخ يقع قدامه كليا . و السيد الثرى يقع نظره عليه فيزجر ديدبان الباب : لما ذا لا يبعد الكـــوخ عن هذا المكان ؟

ثم يرحم شيئا فيتركه ، و هذا كرم من السيد الثرى .

و لكن فى مأدبة الغداء الفاخرة ... هل تخطر بباله تلك المرأة البائسة و اطفالها الصغار ؟ هل يخطر بباله ان يمنحها ثمن صحن او كاس تعيش به فى اسبوعها الكامل بالراحة ، و لا لم يهجس هذا فى قلب السيد الثرى قط . أ فى صدره قلب ، ام وضع الأطباء مكانه حجرا حين العملية الجراحية التى أجريت فيه قبل ايام ، و لكن قبل هذه العملية كان قلبه قسيا كذلك . لم يكن يلين لمواساة الفقراء مطلقا ...

نعم : فهذه القساوة اورثتها الثروة . او الثروة اختزنت عنده لكونه قسيا ، حينما كان الناس يموتون بالمجاعة كان يتجر فى السوق السوداء .

.. و كان صديق له اشترى منه غرارة دقيق خالص فاستوفى منه قيمة السوق السوداء كذلك . و كان له علم بان اباصديقه مريض ، يضره دقيق الجراية العامة ، فانه دقيق مغشوش . و للاب المريض كانت الحاجة الى طحين الحنطة الخالصة الاصلية ، و الحاجة الى طعام الحمية يكفى لها اثنان او ثلاثة كيلووات و لكن لم يكن ليرضى هو باعطاء أقل من غرارة ، و هذه الغرارة ايضا كان اعطاها بالمن الكبير و اشتراها صديقه اضطرار .

و لكن بين ايدينا كثير من الأثرياء هم طائفة اخرى ، قصورهم ماوى الجيعان و العراة ، و تشبع بثروتهم بطون عائلات كثيرة ، و يتبارون فى الاسهام فى الخدمات الوطنية ، و كثير من الطلاب يجتازون مراحل النهضة العلمية السامية برواتب هؤلاء الأثرياء و اعاناتهم الدراسية .

. فهـــذه القساوة ان كانت نتيجة الثروة . فلما ذا لم يكن هذا لأثر هنا ؛ فى الطائفة الثانية ؟ تقدم اللعيبون فى مضمار السياسة و هتفوا ضد الثروة حتى احدثوا ضجة شديدة . فدمروا الحكومات . و احتلوا المصانع . و منحوا الاجـــراء حريتهم . و اعادوا اليهم حقوقهم ، و انشاؤا فيهم قوة القانون . و قضوا على الاقطاعية . و فرضوا على التجار ضرائب خطيرة ، و وضعوا مشروعات عمرانية ، و انفقوا عليها بلايين روبية . غير أن كوخ تلك المرأة البائسة النحيفة الرقيقة بقى كما كان ، واما المشروعات العمرانية فقد كثرت ثروة السيد الثرى — فكان سابقا ثريا فقط و الان صار وزيرا كذلك ـ غير ان فقر تلك المرأة المفلسة و أطفالها الجيعان قد ازداد فضلا عن اندفاع متربتهم فكان فيما سبق تشبع البطون لوقت بخمسين بيسة فقط و لاتشبع الآن بمأته و خمسين بيسة . و تحصل لهم الأجرة بقدر ما تحصل لهم فى السابق . و انمـــا زادت خمس و عشرون بيسة فحسب — .

فالسوال هنا ان الخطأ فى المعالجة او التشخيص الطبيب جاهـــل او الممرض خاطئ . الاسلام يقول : التشخيص خاطئ ، و ان الطبيب الاخرق ظن الثروة مرضا ، فكانت النتيجة : ان المرض ازداد بقدر ما عولج .

ليست كثرة الثروة مرضا أصيلا ، بل المرض الأصيل ما حمل على تكثير الثروة بطريق الربوا و التهريب و السوق السوداء ، و اذا صار وزيرا روج سوق الرشوة و استقرض من المقاولين و من وكلاء التجارة

جمالته . و غير ذلك .

المرض الاصيل هو حب المال المتزايد ، و الشح ، و الحرص ، و الطمع فيه أنتم تحاولون أن تختطفوا الثروة بالضجة الاشتراكية ، و تفرضون على العامل ضريبة عظيمة . و هى ان يدفع اليكم ما يكتسب : يحبس عنده من الروبية آنتين فقط و أربع عشرة آنة يدفعها اليكم .

افترضتم وضع القانون ان قد قضيتم عـــلى الرأسمالية . و جعلتم مبلغ خزانة فى خزانات و ان فرضتم القيود عـــلى الذهب . و اغلقتم طريق توفير الأمول و الادخار و لكن حينما وضعت الميزانية فكانت الخسارة بلايين . و أذيال العوز كان أشد امتدادا من السابق ، و شدائد الشعب كان اشد ازديادا من الماضى . فان قوانينكم لم يعمل بها صحيحـا و مكانـــ .

فالثرى الذى كان قد اعتاد الاتجار فى السوق السوداء ، و كان قد دأب تهريب الاموال من السوق فقد شق بعده طرقا أخرى اليهما اسهل من السابق . فجاء المفتشون فى غمرة من الفرح و السرور و حين رأوا الاموال صار الحديد لينا و شاركوا اصحابهـا استغلالا و استثمارا فكان اولا يتجر فى السوق السوداء السيد الثرى فقط . و الآن صار المفتشون مشاركين له كذلك . و بعد ايام أدخل السكرتارية و الوزارة أيضا فى عشيرته . فهذا ارتقاء المساواة الاشتراكية او الحركة الاتجارية فى السوق السوداء .

ان كان المرض الاصيل هو الثروة و الأموال ، و كان السيد

الثرى مصابا بهذا المرض . فماذا حدث لعمال الحكومة ، لماذا اصيب بهذا المرض هؤلاء . _ و ماكانوا من ذوى الراسمالية _

تفكروا ، و تدبروا : المرض الاصيل ؟ الذى اخرض المجتمع كله ، أنتم قد إجتزتم نصفا من مرحلة المشروعات العمرانيه ، و النتيجة اماكم؛ و بعد خمسة عشر عاما تجتازون المرحلة الكاملة فاين تصل النتيجة ؟ . فالآن إن كنتم على خمسين ميلا من الغاية المنشودة . فعند اجتياز المرحلة الكاملة تبعدون عنها مائة ميل :

ايها الأعـــرابى ! أخاف : ان لا تصل الى الكعبة المباركة الشريفة — فان هذا الطريق ، الذى تسلكه يذهب الى تركستان (١) :

نعم : فى صحراء العرب الرملية قبل ١٤٠٠ عاما ؛ ه ـ تقريبا . قد تجاوب نداء لا يزال يرن اليــوم كذلك : الفاظ سديدة مركـــزة جامعة ، تقع فى الآذان : و يمكن ارتباطها بالاقتصاديات أيضا ؛ و الفقرة المتحلقة خاصة عجيبة ، و بديعة و عصارة المقال كله ، و كل حرف منهـا جدير بان تكتب بماء الذهب .. و الحقيقة : ان قد كتبها الناس بماء الذهب . إستمعوا !! إستمعوا !! ماذا يقال ؟! ، ألا و ان فى الجسد مضغة . اذا صلحت صلح الجسد كله ، و اذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا ! و هى القلب .

و به يقول الاسلام : ان المرض الاصلى ليس هو الغنى به و

---

(١) هذه الفكرة لسيد السعدى الشيرازى رح ، قد جاء بها فى كتابه اللطيف « گلستان » فى الفارسية : ترسم نه رسى بكعبه اے اعرابى — كين ره كه تو ميروى بتركستان است .

المرض الاصلی فساد القلوب . فان تحاولوا الاصلاح ، فاصلحوا القلوب ، و احدثوا التطور ههنا . « فانها لا تعمی الابصار و لکن تعمی القلوب التی فی الصدور »

و المعالجة التی هی اشد تاثیرا هی الایمان بالغیب ، هذا تریاق لأمراض القلوب کلها ، أی لا تظنوا أن ما یترای هو الموجود ، و ما لیس بمرئی لیس بموجود .

کلا ! سوی هذا الموجود موجود کذلک .. ان شجیرات البذور ، و أثمار الشجیرات لا تترا ای الآن ، و لکنها مما لا شك فیه ، ستتأتی حتما ؛ أما نحن فلا نستطیع ان نری من یرانا . هو کل وقت یرانا ، کل أعمالنا یراها ، و لا بدلنا من المثول بین .. ، و یحاسب کل أعمالنا ، و توخذ منا الأجابة عن کل الأسئلة .. و هذا الیقین هو الایمان ، و الایفاء باقتضاءات هذا الیقین دیانة ، و المرحلة الاولی للتقوی من ههنا تبتدئ . و هذا الذی یقال له : « اصلاح القلوب » ، و اذا نشاء هذا الاصلاح فلا حاجة لنا الی القانون ، بل أعمالنا نفسها هی تکون قانونا ، و تکون روح القانون . و القانون دلیل علی عدم الثقة . و القانون المحض لا تصلح ، و لکن یغم عن نقائص الشعب ؟

تاثیر العلم

قال رجل لابی ہریرۃ رض ارید ان اتعلم العلم و اخاف ان اضیعه فقال کفی بترك العلم اضاعة ۔ و لیس ان تفاضلت الاذهان و تفاوتت الفطن ۔ ینبغی لمن قل منها حظه ان یئس من نیل القلیل و ادراك الیسیر الذی یخرج به من حد الجہالة الی ادنی مراتب التخصیص ۔ فان الماء مع لینه یوثر فی صم الصخور فکیف لا یوثر العلم الزکی فی نفس راغب شہی ۔ و طالب خلی لا سیما و طالب العلم معان ۔

الصحابى الجليل

ابو عبيدة عامر بن الجراح

بقـلم : الاستاذ عبد الحليم عباس

فى سهل الاردن الأخضر ، حيث يجرى النهر المبارك ، الاردن ، و يصبح هذا الوادى الريان بالخضرة و الجمال . اجمل مشتى فى العالم لان الآرض منخفضة . تسمى « بقار الدنيا » و فى الغور الذى سمى باسمه « غور ابو عبيدة » يقوم ضريح هذا الصحابى الجليل ، و الذى اسماه الرسول الكريم « امين هذه الامة » .

الصحابى ، الذى فتح سورية و قاد الجيوش الزاحفة اليها . والذى قال عنه الخليفة ، عمر ، لو كان ابو عبيدة ، حيا ، لاستخلفته ، فان سألنى ربى عنه ، قلت استخلفت « امين الله ، و امين رسوله » .

كان من اوائل الذين استجابوا الى الدعوة الكريمة ، دعوة الاسلام ، و الدين القويم فهو من العشرة الاوائل .

و عرف له الرسول ، صدقه و امانته فاخذ بيده . و قال لاصحابه « ان لكل امة امينا . و ان امين هذه الامة ، عامر بن الجراح » .

منزلة ما بعدها منزلة . من السمو و الرفعة . كان يغبطه عليها رفاقه من اصحاب رسول الله ، قال عمر رضوان الله عليهم جميعا . سمعت الرسول الكريم ، يقول لوفد من اليمن . رجوه ان يبعث معهم من يعلمهم القرآن ، و يفقههم الدين . لابعثن معكم ، رجلا امينا ، حق امين ، حق ، امين . حق امين فرجوت ان اكون انا هذا الرجل ، لقد طمعت فى ذلك ، و من حق الرجل المؤمن ان يطمع فى هذه المنزلة العالية . التى رفع اليها النبى الهادى هذا الرجل من اصحابه و اثنى عليه كل هذا الثناء فلما اجتمعنا بعد الصلاة التفت الرسول الكريم يمنة و يسرة ، و انى لأرفع براسى لتقع عينه على عسى ان يختارنى ، و لكنه و قد تفحص اصحابه ، ما ان و قعت عينه علـى ابى عبيدة ، حتى قال له . اخرج معهم

و يتم الفاروق حديثه ، فيقـول رض ، و تلك هى المرة الواحدة التى شدهت نفسى فيها الى الامارة .

و فى وقعة احد ، يرى احد المشركين يقصد النبى الكريم ، فيترك ما هو فيه من قتال ، غير عابئ بما يمكن ان يلحق به ، و لا يلتفت يمنة او يسرة ، مخافة ان يؤذى الرسول و يخف مثله ابوبكر . رضوان الله عليهما .

و يصـل الى الرسول ، فيرى ان حلقتين من حلق المغفر ، قد دخلتا فى وجنته الكريمة فينتزعهما باسنانه ، و تكسر بهذا احدى ثناياه ، و لكنه غير ملتفت الى نفسه ، انه يقول حسبى شرفا ان انتزع دمى

بدم الرسول الكريم .

و يتوفى الرسول صلوات الله عليه — و هو عن صاحبه راض — و يعزم ابوبكر و قد قارب فتح العراق ان ينتهى ، علـى غزو الديار الشامية ، فينتدب لها ، جملة من امراء الجيش بينهم عمر بن العاص فاتح مصر بعد ذلك ، و يزيد بن ابى سفيان و امراء اخرون ، و يحيل امرهم جميعا و قيادة جيـوشهم الى ابى عبيدة ، انه امير الامراء ، و يوصى الخليفة ، امراء الجيش بالوصايا التى حرض الاسلام عليهاو التى هى زينة كل حضارة ، (اوصيكم بتقوى الله ، حسن الصحبة ، و ان يصلح كل منكم نفسه ، حتى يصلح له الناس . اكرموا رسل العدو ، اذا قدموا اليكم . لا تطيلوا مكثهم عندكم ، و اكثروا من مجالسة اهل الصدق ، و ستجدون اقواما حبسوا انفسهم فى الصوامع ، يعبدون الله ، فدعوهم و ما حبسوا انفسهم له ، لا تقطعوا شجرة ، ولا تقتلوا طفلا . اوكهلا ، او امرأة . لا تغدروا ، ان الله لا يحب الغادرين و اوفوا بالعهد اذا عاهدتم ، ان العهد كان مسؤلا) الى آخر هذه القيم التى لا ينسى المؤمن الاخذ بها حتى فى ساحة الموت .

و تسير هـذه الجيوش ، متفرقة تفتح المدن فى فلسطين ، و فى البلقاء و عـلى طريق الشام لا شئ يقف بوجها ، و هيهات ، و هى تمشى الى القتال بعقيدة الاسلام .

و راى هرقل « تفرق جيوش المسلمين » ، فاخذ يبعث لكل قائد على حدة بجيش كثيف ، فتكاتب الامراء و تشاوروا فى الامر فراوا

ان خير ما يصنعون ان يجتمعوا فى مكان واحد ، ليستطيعوا مقابلة هذه الجيوش التى تقول الرواية ، انها بلغت المائتين و اربعين الفا ، يقابلها جيش المسلمين ، و قد تكامل عدده . اربعين الفا .

و يكتبون الى الخليفة ليمدهم بعون من المسلمين . فيكتب الى خالد بن الوليد ليرسل اليهم من العراق بستة الاف .

و وصل خالد ، و القتال مناوشة بين العرب و الروم . و على الجيوش ابو عبيدة ، و لكن الخليفة ابا بكر يرى ان يكون الامير خالد بن الوليد .

و يا لروعة الايمان ، فى هذا الموقف . الذى يقفه خالد ، و هو يكتب الى صاحبه ان الخليفة قد ولانى امرة الجيش .

و لنستمع الى الرسالة لتنتشى نفوسنا ، و ليقتدى بها كل قائد مسلم :

« اما بعد . فانى اسال الله لى و لك الامن يوم الخوف ، و العصمة فى دار الدنيا من كل سوء و قد اتانى كتاب خليفة رسول الله ﷺ يامرنى بالمسيرة الى الشام ، و بالقيام على جندها و التولى لامرها ، و الله ما طلبت ذلك قط . و لا اردته ، اذ وليته فانت على حالك ، لا نعصيك ، و لا نخالفك ، و نستغنى عن رايك ، و سوف لا نقطع دونك امرا ، فانت سيد المسلمين لا ننكر فضلك و السلام عليك . و رحمة الله و بركاته . »

يكتب الخليفة الى ابى عبيدة و كانه يعتذر اليه فهو يقول قد وليت خالد قتال العدو فى الشام فلا تخالفه ، و اسمع له . و اطع فانى

لم ابعثه عليك ان لا تكون عندى خيرا عنه ، و لكننى ظننت ان له فطنة فى الحرب ليست لك اراد الله يناوبك الخير و السلام

هذه هى الاخــلاق المثـالية ..

و يقابل ادب خالد هذا ، ادب ابى عبيدة ، اذا ياتيه الخبر ، بوفاة ابى بكر و تولية عمر الخلافة و بتوليته هو امرة الجيش فلا يخبر خالد ، بالامر حتى تنجلى المعركة . و يساله خالد . و لم لم تخبرنى بذلك ، فيقول له خفت ان اقطع عليك الحرب . و اعلم انى لا اقطع بامر عن الا رايك و مشورتك .

و بمثل هذا الخلق الرفيع . و الجهاد فى سبيل الله لا فى سبيل امارة ، استطاعت الجيوش المسلمة ، ان تتغلب على الفرس و الروم ، و ان تحطم امبراطوريتى فارس . و الروم ، فى زمن اذهل المورخين قصره .

انه الخلق ، و الايمان الذى عرف به الجندى المسلم و الذى جعله و اخوانه فى الجهاد ، يسيرون من نصر الى نصر .

و جلا الروم ، عن سهول الاردن و فلسطين ، حتى ابواب دمشق ، و تقع هذه الحادثة التى لها ابلغ الدلالة على خلق المسلم و الخلق الذى يتحلى به ذلك المحارب فقد جرح فى احدى المعارك هذه عكرمة بن ابى جهل و على مقربة منه عمه الحارث بن هشام ، و اخوه و عياش بن ربيعة . اربعة جرحى تنزف دماؤهم .

و يطلب عكرمة المـاء ليشربه . و يوتى له به ، و لكن يابى ان يشربه قبل عمه . و يابى العم ، ان يشربه قبل اخيه ، و هكذا يصنع

الثالث حتى يشرب الجريح الرابع .

او يعجب المرء بعد ذلك من هذا النصر المتلاحق ، و من قصر هذا الزمن الذى يتم فيه ، يقول المؤرخون ان الفتح الاسلامى كان معجزة من حقنا ان نضيف الى هذا القول ، قولا اخر و هو ان المحارب المسلم كان معجزة فى اخلاقه و سمو ايمانه .

و يدخل ابو عبيدة الشام على صلح ، و يدخلها خالد من الطرف الثانى على قتال فيتلاقى و خالد رضوان الله عليهما الذى كان يعمل السيف بجند الروم التى ولت مذعورة و لكن ابا عبيدة يجرى حكم المصالحة على الكل ، فما زال ابو عبيدة و ملء اهابه شجاعة و نبلا تاخذه الشفقة حتى على العدو و المهزوم .

و بعد فتح الشام سار الى مدينة حمص . . و قد كان معقلا من معاقل الروم تحصنوا فيها و جمعوا الجيوش حولها ، و قال اهلها ، انظروا الى جموع العرب فانهم حفاة . اذا جاء الشتاء تقطعت اقدامهم .

و جاء الشتاء و لم تتقطع اقدامهم ، و فى هجمات متلاحقة تم الفتح ، و لكن على جارى عادة القائد المؤمن الحليم . كان على صلح .

و مضى فى سورية يفتحها بلدا بلدا . حتى حدود الروم . حيث وقف زحفه . .

هذا طرف من حديث صاحبنا رضوان الله عليه . « الاثرم ، الطوال ، الذى لم ير الناس كمثله حتى كادوا يفتنون به . . »

فتعالو بنا الى زورة فى مثواه الطيب . فى بلدى الاردن تكرم انفسنا بها ؟

ملاحظات مقتضية

عن الازواج المطهرات

* * *

(۱) الاسم : خدیجة رض

باکرة او ثیبة :- ثیبة فی اربعین من عمرها

عام الزواج :- قضت خمس عشرة سنة قبل البعثة فی زواج الرسول علیه السلام .

الباعث علی الزواج :- کانت ثریة و لم یکن لها من یحمیها و تاثرت بکرامة الرسول علیه الصلوة و السلام و امانته حین ارتحل کوکیل لها فی القافلة التجاریة فطلبت هی نفسها الزواج منها .

الملاحظات - کان الرسول علیه السلام ابن الخامس و العشرین عند الزواج هنا و قضی خمسا و عشرین سنة فی الحیاة الزوجیة السعیدة معها ، لقد کانت زوجة وحیدة له فی ذلك الوقت و کانت نضیرة عظیمة له .

(٢) الاسم : سودة رض

باكرة او ثيبة - ثيبة

عام الزواج :- بعد البعثة بعشر سنين

الباعث على الزواج :- انها اسلمت مع زوجها و هاجرت الى الحبشة معه و حينما كان راجعين من حبشة قتل زوجها فبقيت من غير بعل لها فلما كان الخوف من ان يقع فى حيز المشركين اراد الرسول عليه السلام ان يتخذها زوجة له فخيرها انى كل واحد ان يتزوج منها لبلوغها عمرا كبيرا تزوج منها الرسول عليه السلام .

الملاحظات :- تزوج منها الرسول عليه السلام حينما توفيت زوجته خديجة و حينما جاوز عمره من الشباب فلذلك لا يصح ان يقال انه اتى بذلك لانه كان يرغب فى شهوته فلو كان كذلك لابتغى لنفسه عادة جميلة كزوجة له او كان قد قبل تلك العرائض من قريش و هى فتيات الجميلات على ثمن ان يترك دعوته .

(٣) الاسم : عائشة رض

باكرة او ثيبة :- باكرة

عام الزواج :- بعد عشرة سنوات من البعثة

الباعث على الزواج - كانت بنتا لابى بكر الصديق الذى هو من خير اصدقائه و اصحابه .

و كان يحب ان يلطف به و يكرمه فتزوج منها على التفاوت بينه و بينها

الملاحظات :- لقد كانت خير ازواج النبى ﷺ بعد خديجة

و قد اثبتت نفسها اكبر نصيرة للسلمين و قد اراد الاعداء ان يافكوا عليها اثما لكن آيات من القرآن قد كشفت عن هذه الموامرة و بذلك ظهرت طهارتها و كرامتها بينة بدون غبار

(٤) الاسم : حفصة رض

باكرة او ثيبة :- ثيبة

عام الزواج :- فى الثالث بعد الهجرة

الباعث على الزواج :- لما توفى زوجها احب والده عمر ان يزوجها و لكنه لم يسرع و انتظر حتى تزوج منها الرسول عليه السلام .

الملاحظات :- كانت كازواج النبى ﷺ الاخرى فى خلقها و معاشرتها .

(٥) الاسم : زينب الاولى رض

باكرة او ثيبة :- ثيبة

عام الزواج - فى الرابع من الهجرة

اباعث على الزواج :- مات لها زوجان واحدا تلو اخر فلما راى رسول الله ﷺ انها لا تجد من يحميها او ينصرها تزوج منها ليقدم لها الحماية و النصرة .

الملاحظات :- كانت سخية كريمة تبذل على الفقراء و المساكين كثيرا

(٦) الاسم : ام سلمة رض

باكرة او ثيبة :- ثيبة

عام الزواج :- فى الرابع من الهجرة

الباعث على الزواج :- نحو تلك البواعث التى حملت على الزواج

من زينب الاولى .

الملاحظات :- و كانت ابنة عمة الرسول علــيه السلام كذلك من القرابة وكانت رضية كريمة .

(٧) الاسم زينب الثانية رض

باكرة او ثيبة :- طالقة

عام الزواج :- فى الخامس بعد الهجرة

الباعث على الزواج :- انها كانت ابنة عمة للرسول عليه السلام كذلك زوجها الرسول عليه السلام من زيد بن حارثة مولاه اولا ليرفع بذلك كرامة الموالى لكنها لم تشعر بسعادة مع زيد و وقعت مشاجرات بينهما انتجت الطلاق فلما كان الرسول هو السبب فى زواجهما راى من جبه ان يتزوج منه و يبعد ذلك الكابة الحاصلة من ذلك و كذلك ليحطم تلك السنة الغاشية بين الناس الا يتزوج حر بمطلقة عبد .

الملاحظات :- هـذا السبب البسيط لزواجه منهـا انمـا صار عند الكتاب الاوربيين امرا يجمع لهم مادة القذف و الافك بالطريقة التى تعلموها فى المسيحية السائدة اقراما يكتب غبن « لقد ابصر الرسول زينب فى دار زيد من وراء بعض خرق لباسها و بذلك رغب اليها و رجاها و زيد الذى لم يكن بقى من حريته الا الحرية المقيدة لم يجد صعوبة و لا ترددا فى هجرها » ليس هنا اكبر من هذا العناد فلو انه كان كذلك لما بقى زيد محبا للرسول و متصلا به كما كان من قبل ، انمـا يوجه برهان تاريخى قوى يثبت ان زيدا قد هجرها برايه الحر الخاص به و لما كان الرسول يرا سببا فى حياتها المنغصة الراى من الجدير ان يتزوج منهـا .

قضية المعارضين الدين فى الميزان

بقلم الاستاذ وحيد الدين خان
رئيس تحرير « الجمعية » الاسبوعية - دهلى الهند

تعتبر التطورات العلمية التى حدثت فى القرن الماضى « انفجارا معرفيا » Knowledge Eplosion فى وجه جميع الاساطير الانسانية عن الآلهة و الدين كما تفجرت الافكار القديمة عن المادة و نسفت بمجرد تفجير الذرة » هذه هى قضية العلم الحديث الموجهة الى الدين كما يقول البروفيسور جوليان هكسلى (١) . و تعتبر الصفحات التالية ردا على هذا التحدى ؛ فلقد كشفت اضواء العلم الحديث عن حقائق الدين . و لم تنجح من اية ناحية فى الاساءة اليه .

بل ان جميع ما وصل او سيصل اليه العلم الحديث هو بمثابة

(1) Hindustan Times, Sanday Magazine, Sept . 24, 1961 .

تصديق لما أسماه الاسلام : « بالحقيقة الأخيرة » قبل اربعة عشر قرنا من الزمان :

سنريهم آياتنا فى الآفاق و فى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق (١) »

و الدين كما يزعم الملحدون من العلماء ، شئ لا حقيقة له و هو مظهر الغزيرة الانسانية الباحثة عن حقائق الكون . و التى تحاول تفسيره ان هذه للغزيرة الانسانية فى ذاتها شئ مستحسن ، و لكن المعلومات و الوسائل المحدودة قد انتهت باجدادنا الى اجابات غير صحيحة . و هى التى تحتويها الآن افكارهم عن الاله و الدين . اما اليوم و بعد ما توفرت لدينا الوسائل العلمية و اصلحت المعلومات الحديثة شيئا كثيرا من معتقداتنا الاجتماعية و الحضارية ، فقد حان الوقت لنعيد النظر فى جميع ما وصل اليه أجدادنا من افكار .

و يذهب الفيلسوف الفرنسى « اوجست كونت » ـ الذى نشاء فى النصف الاول من القرن التاسع عشر — إلى أن تاريخ تطور الفكر الانسانى ينقسم الى ثلاث مراحل :

الاولى : المـــرحلة اللاهوتية « Theological Stage » ، و هى التى فسرت الاحداث فيها باسم الأله .

و الثانية : المرحلة الميتافيزيقة : و فيهـا فسر الانسان الاحداث باسم « عناصر الخارجية » . لا يعلمها . و لكنه لا يذكر اسم الاله

و الثالثة : المرحلة الوضعية « pasitive Stage » التى اخذ الانسان

---

(١) فصلت ، ٥٣

يفسر فيها الاحداث باعتبارها عناصر خاضعة لقوانين عامة ، يمكن ادراكها بالمطالعة . او بالمشاهدة العلمية . و فى هذه المرحلة لا تذكر « الارواح و الالهة و القوى المطلقة » . و نحن ، بناء على هذا ، نعيش فى المرحلة الثالثة التى تسمى فى الفلسفة الحديثة بالوضعية المنطقية (Logical Positiveism) . ان نظرية (الوضعية المنطقية) او التجريبية العلمية (Scientific Empiricism) لم تعرف كحركة علمية عالمية إلا خلال العقد الرابع من القرن الحاضر ، و لكنها ، كفكرة . نشأت قبل ذلك بسنين طويلة . و على ظهر هذه الفكرة نجد اسماء كبار العلماء و الفلاسفة من امثال : هيوم ، و ميل الى بر ترسل . و قد اصبحت هذه الفكرة اليوم ، بفضل العدد الكبير من المؤسسات العلمية التى تقوم بدور فعال فى الدعاية لها ، من اهم الحركات العلمية الحديثة . و يقول احد الباحثين :

« كل معرفة حقة مرتبطة بالتجارب ، بحيث يمكن فحصها أو اثباتها بصورة مباشرة او غير مباشرة (١) »

و بناء على هذا يدعى معارضو الدين أن التطور الذى بلغ به الانسان اليوم اعلى مستوى من الانسانية ، هو نفى للدين من تلقاء نفسه . و السر فى ذلك أن الافكار المتطورة الحديثة توكد ان « الحقيقة » ليست الا ما يمكن فحصه و تجربته علميا . و قد قام الدين على « حقيقة » لا سبيل الى مشاهدتها و فحصها علميا . و بعبارة اخرى : ان التفسير اللا هوتى للاحداث و الوقائع لا يمكن اثباته بالوسائل العلمية ، فهو باطل

---

(١) Dictionary of Philasophy, N. Y. , P. 285.

لا حقيقة له ؛ و يترتب على هذا القول بان : « الدين تفسير زائف لوقائع حقيقية ، ذلك أن علم الانسان القديم المحدود لم يقدم التفسير الحقيقي للاحداث . على حين ان القانون العام للتطور أتاح لنا ان نبحث عن الحقائق بالوسائل التجريبية الصحيحة (١) و يمكن ان نقول هذا الكلام باسلوب آخر ان موقف علماء الاديان القديمة اشبه برجل يكتب « شيكا لا رصيد له فى المصرف ، فهم قد صاغوا عبارات ليس وراءها حقائق علمية . فعبارة « الحقيقة العليا غـير المتغيرة » صحيحة نحوا ، و لكن ليس لها اى اساس علمى .

و لقد اثبت (نيوتن) انه لا وجود لاله يحكم النجوم . و اكد (لا بلارس) بفكرة الشهيرة ان النظام الفلكى لا يحتاج الى اى اسطورة لاهوتية . و قام بهذا الدور العالمان العظيمان (داروين) و (باستور) فى ميدان البيولوجيا . و قد ذهب كل من عـلم النفس المتطور و المعلومات التاريخية الثمينة التى حصلناها فى هذا القرن بمكان الاله . الذى كان مفروضا انه هو مدير شئون الحياة الانسانية و التاريخ (٢)

لقد قامت قضية معارضى الدين على أسس ثلاثة :

الاساس الاول : بطل هذا الانقلاب فى البيولوجيا هو (نيوتن) الذى عرض على الدنيا فكرة تثبت ان الكون مرتبط بقوانين ثابتة . تتحول فى نطاقها الاجرام السماوية . ثم جاء بعده آخرون فاعطوا هذه

---

(١) Religion and the Scientific outlook P. 20.

(٢) Religion without Revelation, N. Y. 1958. P. 58.

الفكرة مجالا عليا أوسع ، حتى قيل : ان كل ما يحدث فى الكون من الأرض إلى السماء خاضع لقانون معلوم ، سموه « قانون الطبيعة » . فلم يبق للعلماء ما يقولون بعد هذا الكشف ، غير أن الاله كان هو المحرك الأول لهذا الكون . و ضرب (و التير) مثلا فى هذا الصدد : ان الكون كالساعة يرتب صانعها آلاتها الدقيقة فى هيئة خاصة و يحركها ثم تنقطع صلته بها . ثم جاء « هيوم » فتخلص من هذا الاله الميت ، و على حد قوله : « لقد رأينا الساعات و هى تصنع فى المصانع ، و لكننا لم نر الكون و هو يصنع ، فكيف نسلم بان له صانعا ؟ »

* * * *

لقد حلى التطور العلمى للانسان كثيرا من سلسلة الأحداث التى لم يشاهدها من قبل . فهو لم يكن على علم بأسباب شروق الشمس و غروبها حتى زعم ان هناك قوة فوق الطبيعة تجعلها تشرق و تغرب و ها قد عرفنا اليوم ان شروق الشمس و غروبها يحدث لدوران الارض حول نفسها ، و بذلك انتهت ضرورة القول بهذه الطاقة تلقائيا . بعد ما عرفنا الاسباب المؤدية الى هذه الحركة الكونية ، « فاذا كان قوس قزح مظهرا لانكسار أشعة الشمس على المطر ، فماذا يدعونا إلى القول بانها آية الله فى السماء . »

من اجل هذا كله . و غيره . قال هكسلى : اذا كانت الحوادث تصدر عن قوانين طبيعية فلا ينبغى ان ننسبها إلى اسباب فوق الطبيعية(١) و الاساس الثانى و قد ازداد العلماء يقينا بعد البحوث العلمية

(1)Religion without Revelation, N.Y. 1958. P. 58

فى ميدان علـم النفس ، حين توصلوا الى نتائج تثبت ان الدين نتاج اللا شعور الانسانى ، و ليس انكشافا لواقع خارجي . و يقول عالم كبير من علماء النفس :

(God is nothing but a projection of man on a cosmic screen)

« ليس اللا له سوى انعكاس للشخصـية الانسانية عـلى شاشة الكون » . و ما عقيدة الدنيا و الآخرة الاصورة مثالية للامانى الانسانية و ما الوحى و الالهام الا اظهار غير عادى لاساطير الاطفال المكبوته (Childhood Repression) (1)

و يرى علم النفس الحديث ان العقل الانسانى مركب من شيئين هما : (الشعور) و هو مركز الافكار التى تخطر على قلوبنا فى ظروف عادية ، و (اللاشعور) و هو مخزن الافكار التى مرت بنا و نسيناها . و لا تظهر الا فى احوال غير عادية ، كالجنون و الهستريا ، و هذا القسم الثانى اكبر بكثير من الاول و يمكن ان نمثل لها بجبل من الجليد ، فلو قسمناهـا تسعة اجزاء لكان منهما ثمانية فى جوف البحر ، و لظهر جزء واحد على السطح .

اكتشف فرويد بعد جهد طويل أن اللاشعور قد يقبل افكارا فى الطفولة ، و تودى الى اعمال غير عقلية و هذا ما يحدث بالنسبة الى العقائد الدينية : فان فكرة الجحيم و الجنة ترجع الى صدى الأمانى التى تنشأ لدى الانسان إبان طفولته ، و لـكنه لم تنسح له الفرصة لتحقيقها ، فتبقى دفينة فى اللاشعور ، ثم يفرض اللاشعور بدوره حياة اخرى يتيسر

(1) *Iqbal Review . April 1962*

له فيها تحصيل ما كان يتمناه شأن الرجل الذى قد لا يظفر بما يحب فى الواقع فيحصله فى المنام . و هكذا خرجت عقدة التفرقة بين الصغير و الكبير (Father complex) - من الجرائم الاجتماعية فصاغوا منها نظرية على مستوى الكون و السماء .

و يقول رالف لنتون :

ان عقيدة القادر المطلق الظالم فى نهاية الأمر ، الذى لا يرضى الا بالطاعة الكاملة و الوفاء . كانت اول ما انتجه نظام المجتمع السامى . لقد خلق هذا النظام جبروتا غير عادى . و كانت نتيجته ان شريعة موسى خرجت بقوائم ضخمة مفصلة عن المحرمات فى كل مجال من الحياة الانسانية . و قد آمن بهذه القوائم الطويلة العوام الذين كانوا يتقبلون احكام آبائهم العمياء و يطيعونها . و ما التصور الالهى (اليهودى) الاخيال مثالى لأب سامى ، مع شئ من المبالغة و التجويد فى الاوصاف و الطاقات » (١)

و الاساس الثالث لقضية معارضى الدين هو : (التاريخ) . يقولون : ان القضايا الدينية وجدت لاسباب تاريخية احاطت بالانسان فلم يكن فى استطاعته ان يفلت من السيول و الأعاصير و الطوفانات و الزلازل و الأمراض فاوجد (قوى فرضية) يستغيثها ، لتنقذه من البلايا النازلة . و هكذا ظهرت الحاجة الى شئ يجتمع الناس حوله ، و لا يتفرقون . فاستغل اسم (الاله) الذى تفوق قوته قوة الانسان

(1) Tree of culture ralph Linton culture

و يهرع الجميع الى رضاه .

يقول محرر دائرة معارف العلوم الاجتماعية تحت اسم « الدين » Religion » : و بجانب الموثرات الاخرى التى ساعدت فى خلق الدين فان اسهام الاحوال السياسية و المدنية عظيم جدا فى هذا المجال . ان الاسماء الالهية و صفاتها خرجت من الاحوال التى كانت تسود على ظهر الأرض . فعقيدة كون الاله « الملك الاكبر » صورة اخرى للملكية الانسانية . كذلك الملكية السماوية صورة طبق الأصل للملكية الارضية . و كان الملك الأرضى القاضى الاكبر ، فاصبح الاله يحمل هذه الصفات . و لقب (بالقاضى الاكبر الاخير) الذى يجازى الانسان على الخير و الشر من اعماله ، و هذه العقيدة القضائية التى تومن بكون الاله محاسبا و مجازيا لا توجد فى اليهودية فحسب و انما لها مقامها الاساسى فى العقائد الدينية المسيحية و الاسلامية (١)

* * *

(و لقد خلق العقل الانسانى الدين . و أتم خلقه فى حالة جهل الانسان و عجزه عن مواجهة القوى الخارجية) . و يضيف جوليان هكسلى الى هذا قوله :

فالدين نتيجة لتعامل خاص بين الانسان و بيئته » (٢) . و يقول ايضا : « ان هذه البيئة قد فات أوانها أو كاد ، و قد كانت هى

(1) Encyclopaedia of social sciences 1957 Vol. 13. P. 233.

(2) Man in the imodern world, P. 130

المسئولة عن هذا التعامل ، فاما بعد فنائها و انتهاء التعامل معها فلا داعى للدين » و يضيف : لقد انتهت العقيدة الالهية الى آخر نقطة تفيدنا ، و هى لا تستطيع أن تقبل الآن أية تطورات ، لقد اخترع الانسان قوة ما وراء الطبيعة لتحمل عبء الدين ، جاء بالسحر ، ثم بالعمليات الروحية . ثم بالعقيدة الالهية . حتى اخترع فكرة (الاله الواحد) . و قد وصل الدين بهذه التطورات الى آخر مراحل حياته . و لا شك ان هذه العقائد كان فى وقت ما جزءا مفيدا من حضارتنا بيد ان هذه الاجزاء قد فقدت اليوم ضرورتها و مدى إفادتها للجتمع الحاضر المتطور(١) و ترى الفلسفة الشيوعية ان الدين « خدعة تاريخية » و هى تركز الاسباب فى عوامل اقتصادية ، لانها تنظر الى التاريخ فى ضوء الاقتصاد و هى ترى ان العوامل التاريخية التى خلقت الدين هى النظام البور الجوازى الاستعمارى القديم . و هذا النظام القديم يلقى اليوم حتفه ، فلندع الدين ايضا يذهب معه .

يقول فيلسوف الشيوعية انجلز :

ان كل القيم الاخلاقية هى فى تحليلها الاخير من خلق الظروف الاقتصادية (٢) فالتاريخ الانسانى هو تاريخ حروب الطبقات التى امتص بها البورجوازيون دماء الفقراء و قد كانت الغاية من وضع الدين و الاسس الاخلاقية حماية حقوق البورجوازيون .

و يقول البيان الشيوعى : (Communist Menifesto)

---

(1) I bid P. 131 (2) Anti Duhring Mascaw 1954. P. 131

ان الدستور و الاخلاق و الدين كلها خدعة البورجوازية ، و هى تستتر وراءها من اجل مطامعها .

و يقول لينين فى خطاب له القاه فى المؤتمر الثالث لمنظمة الشباب الشيوعى فى اكتوبر سنة ١٩٢٠

إننا لا نومن بالاله . و نحن نعرف كل المعرفة ان ارباب الكنيسة و الاقطاعيين و البورجوازيين لا يخاطبوننا باسم الاله الا اسغلالا . و محافظة على مصالحهم ، اننا ننكر بشدة جميع هذه الاسس الاخلاقية التى صدرت عن طاقات وراء الطبيعة . غير الانسان و التى لا تتفق مع افكارنا الطبقية . و نوكد ان كل هذا مكر و خداع . و هو ستار على عقول الفلاحين و العمال ، اصالح الاستعمار و الاقطاع . و نعلن ان نظامنا لا يتبع الا ثمرة النضال البروليتارى . فبدأ جميع نظمنا الاخلاقية هو الحفاظ على الجهود الطبقية البروليتارية . (١) »

كانت هذه هى قصية معارضى الدين . التى يزعم بعض العلماء الجدد بناء عليها ما يمكن تلخيصه فى كلمة استاذ امريكى فى طب الاعضاء .

«Seience has shown religion to be history, s Crueliest and wickediest hoax »

لقد اثبت العلم ان الدين كان أقسى و أسوأ خدعة فى التاريخ . (٢)

و سوف ننظر فى مدى صحة هذه القضية على اسس علمية فى الباب الآتى ، ان شاء الله .

---

(1) Linen selected works, Mcscow, 1947, Vol. 11 P. 667.

(2) Quoted by c a coulson, Seience & chirstion belief P,4.

المرأة فى ظلال الاسلام

عرض و تلخيص : ظهير انوار البستوى

مرت عــلى المرأة قبل الاسلام عصور حرمت فيهـا من اخص حقوقها الطبيعية . و ارهقت فيها بصنوف العسف من طغيان الرجل . و ساءت حالها فى جميع الامم لاخرق بين الامم الهمجية التى لم تزل فى مهد الطفولة النوعية ، و بين الامم التى ارتقت درجات سلم الحضارة و المــدنيــة .

كانت المرأة فى الامة العربية تباع و تشترى كالبهيمة و المتاع ، و كانت تكره الزواج دون ان يعتبر برأيهـا و رضاها بقرين العمر و شريك الحياة . و ترغم فى بعض القبائل على البغاء ابتغاء غرض فان من الامـوال . و تورث و لا ترث و تملك و لا تملك . و كان اكثر الدين يملكونها يحجرون عليها التصرف فيما تملكه بدون اذن الرجل ، و

يرون أن للزوج الحق فى التصرف فى ما لهـا دونهـا . و كان العرب لا يرحبون بميلادها . و ينظرون اليها عـلى أنها مجلبة العار . و كانوا يرون أن للاب الحق فى قتل ابنته بل فى ودأها (دفنها حية) و يرى الوالد بودأها أنه قد أمن من العار المتوقع أو الفـقر المنتظر . و كان فيهم من يرى انه لا قصاص على الرجل فى قتل المرأة و لادية . و كان غير هولاء يعتبرون المرأة رأس الرجس ، و منبع ما يصيب الناس من الخطايا و الدنس . و يقولون : أليس هولاء النسوة هن بنات حواء ؟ اليست حواء هى التى فتنت آدم عن امر الله . و زينت له المعصية ، و خدعته حتى وقع فى الاثم . ان حواء باب الشيطان . اما يعلمن أن كلامنكن حواء ؟ فانتن باب الشيطان . و انتن الا كلات من الشجرة . و انتن اول من سن مخالفة ناموس الله .

و قد اختلف الرجال فى بعض البلاد فى كون المرأة انسانا ذا نفس و روح خالدة كالرجل ام لا ؟ و فى كونها تلقى الدين و تصح منها العبادة ام لا ؟ و فى كونها تدخل الجنة أو الملكوت فى الآخرة ام لا ؟ فقرر احد المجامع فى رومية انها حيوان نجس لا روح لها و لا خلود و لكن يجب عليها العبادة و الخدمة . و ظل هذا المبدأ ساريا متوارثا حتى قام مؤتمر فى بعض الولايات الفرنسية سنة ٥٨٦ ميلادية . و اعاد النظر فى بعض تلك المقررات . و بعد البحث و التمحيص خرجوا بان المـرأة انسان و ليست بحيوان لكنه انسان خلق للاستخدام فى مصالح الرجل .

ذلك هو شان المرأة حين قام محمد ﷺ برسالته الاصلاحية الكبرى ينفض عنها غبار القرون ؛ و يزيل عنها محنة الظلم و الكساد ، و يرفع شأنها . و يقرر لها مكانها الطبيعي فى الحياة . و يعلن أنها و الرجل فى الانسانية بمنزلة سواء لا تزيد عنه و تنقص . يبلغ الرسالات التى نزل الله عليه من حقوق المرأة و مباديها .

فاولا ـ يايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة (الآية) و هو خطاب للناس كافة رجالا و نساء يعلن اليهم أن الله سبحانه خلقهم من نفس واحدة فهم فى الانتساب اليها سواء . و هذه النفس الواحدة هى نفس آدم عليه السلام . فثبت بهذا النص ان المرأة انسان ليست بحيوان . و هى انسان يرث نفس الخصائص التى يرثها الرجل لأن كلا منهما منحدر من نفس واحدة .

ثانيا ـ و خلق منها زوجها (الآية) اى خلق حواء من نفس آدم عليه السلام لا من طينة اخرى و لا من طبيعة غير طبيعته . فثبت بهذ انها بضعة منه ، تمثل نفس خصائصه ، و تحمل عناصر الطبيعة التى يحملها . و بهذا رفع شان حواء ، و محا عنها وصمة النجس ، و سواها من حيث بشريتها و انسانيتها بزوجها آدم (عليه السلام)

فالمرأة على هذا اخت الرجل . و الرجل أخ المرأة ، و الذكر شقيق الانثى و الانثى شقيق الذكر ، لأنهما انحدرا من اب واحد و أم واحدة . و فى ذلك يقول رسول الله ﷺ : انما النساء شقائق الرجال ، و لهذه الاخوة مقتضيات كثيرة لا نستطيع ان نعد كلها هنا . ولكن

بعض منها . أن المرأة كف الرجل فى انسانيته ، و مساوية له فى القدر .

و من مقتضيات تلك الاخوة ايضا وحدة الميراث النفسانى فيما يرث الشقيقان من خصائص الأب و الأم . و بهذا ينقطع الطريق على الذين يقولون : بان الناموس يقتضى أن تكون المرأة مخلوقا دنسا .

و من شان تلك الاخوة انبثاق عواطف المودة و الرحمة بين الاخوين اى بين الرجل و المرأة .

فالاسلام بهذا قد انتشل المرأة من الهوة المظلمة الدنسة . و مسح وصمة العار عن جبينها الوضى ، و اقامها على وضح الحياة الى جانب شقيقها الرجل على اساس من تعادل القدر و تماثل الخصائص و الصفات . فلا اضطهاد ، و لا نجاسة ، و لا وأد ، و لا حرمان . و لا تحقير . و لا بيع كما تباع السلعة . و ان الاسلام قد جعل فيها اهلية للايمان و استعدادا للطاعة و مثوبته منذ اللحظة الاولى على قدم المساواة مع الرجل ، اذا امرالله سبحانه حواء . و نهاها كما امر آدم و نها . . و لم يوثره دونها بامر و نهى . اسكن انت و زوجك الجنة و كلا منها رغدا حيث شئتما و لا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظلمين (الآية) فهذا يدل ان المرأة ذات اهلية خاصة لتلقى امر الله سبحانه . و استعداد ذاتى لعبادته و طاعته ، و انها فى ذلك صنو الرجل ، اذ القى عليها من التكاليف الشرعية ، و الاعباء العبادية مثل ما القى عليه .

فاذا تعمل المرأة عملا صالحا يقبل الله عمله و يثيب عليه ويدخلها الجنة كما يثبت من هذا الاية (ادخلوا الجنة انتم و ازواجكم تحبرون) . ★ ★ ★

الارتباط بين الاسلام و اللغة العربية

الاستاذ محمد المبارك
عضو مجمع اللغة العربية بدمشق

ان بين الاسلام و اللغة العربية صلة وثيقة و تلازما طويل الامد عميق الغور عبر الزمان و على مر العصور و فى آفاق الارض التى وصلا اليها و بلغا حدودها و ليس التساؤل عن وجود هذه الصلة فتلك بديهية مستقرة فى الاذهان و لكن عن طبيعة هذه الصلة و اسبابها و جوانبها و تجلية لهذا الموضوع نعرضه من جوانب مختلفة و نحاول ان نبرز مواطن اللقاء و انواع الارتباط بين الاسلام و اللغة العربية .

اولا : الارتباط التاريخى :

اللغة العربية كما هو معلوم لغة معرقة فى القدم استقلت عن

اخواتهـا الساميات و تميزت منهن بخصائص و اخذت صيغا و اشكالا انفردت بها و ظهر الاسلام فكانت هى اللغة التى حملت رسالته و عبرت عن مبادئه و تعاليمه فنزلت آيات القرآن الكريم بها حتى اتم الله آياته فكأن القرآن الكريم الكتاب العربى المبين كما وصفه فنزله سبحانه فى عدد من آياته :

« انزلناه قرآنا عربيا » ١٢ - ٢ و ٢٠ - ١١٣ « اوحينا اليك قرآنا عربيا » ٤٢ - ٧ . « انا جعلنـاه قرآنا عربيا » ٤٣ - ٣ . « بلسان عربى مبين » ٢٦ - ١٩٥ و آيات اخرى بهذا المعنى .

و كانت السنة اى اقوال النبي ﷺ و افعاله التى رواهـا الصحابة المصدر الثانى للاسلام عربية اللغة كذلك و هكذا ترافق الاسلام و اللغة العربية منذ ذلك الحين و سارا معا عبر القرون فكانت اللغة العربية معبرة عن الاسلام و حضارته و كان الاسلام متخذا من العربية وسيلة للتعبير عن عقيدته و احكامه و استمر ذلك حتى العصر الحاضر .

ثانيا : الارتباط الجغرافى :

و لئن كان الاسلام قد عم السواد الاعظم من العرب فى وقت مبكر فانه سرعان ما تجاوز الدائرة العربية الى ما هو اوسع منها فدخل بلادا و عم شعوبا ليست العربية لغتها فنشر العربية فى قسم من هـذه البلاد حتى اصبحت لغتها الوحيدة و ذلك كبلاد الشام و العراق و شمال افريقيا و انضافت شعوب هـذه البلاد الى الدائرة العربية و ان كانت لبعضها سابقة صلة بالعروبة ثم تجاوز الاسلام هـذه الدائرة الى بلاد

اعجمية اللغة فدانت شعوبها بالاسلام فكانت العربية بالنسبة اليها لغة الدين الجديد المشتمل على عبادات قوام شعائرها اللغة العربية و على معاملات و احكام انما تؤخذ من مصادرها العربية فى القرآن و السنة و اقوال السلف و هكذا ظهرت احداث جديدة هامة نلخصها فيما يلي :

١ — اصبحت العربية لغة الثقافة بالنسبة الى الخاصة فنشات طبقة من علماء الدين من الاعاجم تعلموا العربية و حذقوها ثم اتسع الامر فكانت لغة الثقافة بوجه عام و لم تقتصر على الثقافة الدينية اذ اصبحت لغة الحضارة الاسلامية فى جميع ميادينها و تكون على مر العصور ذلك الانتاج الضخم فى ميادين الفقه و العلوم اسلامية و اللغة و الادب و الفلسفة و التصوف و التاريخ و الطب و العلوم اشترك فى تكوينه ابناء البلاد التى دانت بالاسلام و التى غدت جزءا من الدولة الاسلامية و لو لم يكونوا عربا فى انسابهم و لغاتهم .

٢ — اثر العربية فى لغات الشعوب الاسلامية :

و فى خلال هذا التمازج اللغوى و التفاعل الحضارى دخلت الفاظ عربية كثيرة فى لغات تلك الامم التى دخلت فى الاسلام سواء أكان من الفاظ العبادات ام كانت من الالفاظ التى ادخل الاسلام مفاهيمها الجديدة كصفات الله تعالى و المعاملات الفقهية و الاحكام القضائية و التنظيمات الادارية و السياسية و المفاهيم الاخلاقية و الدينية و شاعت هذه الالفاظ و دخلت فى لغات تلك الاقوام .

٣ — اصبحت اللغة العربية مصدرا تنهل منه تلك اللغات ما تحتاج

اليه من الفاظ حضارية جديدة أما لفقدان هذه الالفاظ فيها او لقصورها عن توليدها او رغبة فى جمال اللفظ العربى المعبر عنها .

و هكذا دخل عن هـذه الطريقين كثير من الالفاظ العربية فى للغات الفارسية و التركية و الكردية و السواحلية و غيرها بنسبة كبيرة .

٤ — و نضيف الى ذلك امرا آخر ذا شان كبير و هو شيوع الحرف العربى باعتباره اداة لكتابة لغات الشعوب الاسلامية فاصبحت اللغة الفارسية و التركية و الاوردية و الجاوية (لغة اندونيسيا و الملايو) و غيرها تكتب بالحروف العربية و قد وضعت للاصوات التى ليس لها فى العربية حرف يصورها اصطلاحات خاصة كالباء المنقطة ثلاث نقط لرسم حـرف ال (P) فى الفارسية و التركية و غيرها من الحروف التى ليست فى العربية .

و هكذا كان سببا فى انتشار الكتابة العربية او الرسم العربى فى دائرة واسعة جدا تشمل شعوبا كثيرة مختلفة اللغات فكان بذلك حدا ادنى من التفاهم عن طريق الكتابة و الحروف و هذه ظاهـرة اجتماعية لغوية ذات آثار بعيدة فى تفاهم الشعوب و التقائها و تعاونها تشبه ما عند الامم الاوربية التى تستعمل الحـروف اللاتينية و تشترك فى عدد من المفردات .

و هكذا فان الاسلام كان سببا فى انتشار العربية لدى نخبة عالية من ابناء الشعوب التى تدين بالاسلام و المنتشرة فى اقطار آسيا و افريقيا و فى انتشار عدد كبير من الالفاظ العربية فى لغاتها و فى استعمال

الحرف العربي و ذلك كله يسهل تعليم اللغة العربية مع وجود الدوافع الدينية و الثقافية لتعلمها و هي فعلا تعتبر اللغة الثانية في كثير من هذه البلاد . بل أن ثمة عددا كبيرا من المدارس و المعاهد و الجامعات تعلم باللغة العربية او تحلها في المحل الاول بعد لغة البلاد في كثير من البلاد الاسلامية كايران و باكستان و اندونيسيا .

(الارتباط الفكرى و الحضارى)

ان الاسلام اذ اتخذ من العربية لغته منذ ظهوره استعمل مفرداتها للدلالة على مفاهيمه الجديدة فاكتسبت كثير من الالفاظ معاني جديدة حملها الاسلام و كثيرا من ما نسي المعنى اللغوى الاصلي و بقي المعنى الجديد كلفظ الجهاد و الانفال و الزكاة و الجنة .

(لغة خالدة لمفاهيم خالدة)

و ثمة نكتة هامة لم يلتفت اليها الباحثون الالتفات الواجب و لم يولوها ما تستحق من العناية بل لعلهم لم ينتبهوا اليها و هاانئذ اعرضها بين يدى الاخصائيين و قراء العربية عامة .

ان الاسلام جاء بعقائد و مفاهيم ثابتة لا تتغير و لا ينبغي ان تتغير و لكن انى لنا ذلك و اللغة تتطور و دلالة الالفاظ او معانيها في تبدل مستمر في جميع اللغات ؟ و هنا نجد في اللغة العربية وحدها دون غيرها الحل لهذه المشكلة . ذلك ان من خصائص اللغة العربية ثبات الحروف الاصلية الثلاثة من كل مادة مهما يطرا على الكلمة من تبدل في اشتقاقها و صيغتها كحروف ع ل م فان جميع الالفاظ التي اشتقت

او يمكن ان تشتق من هذه المادة كالعلم و العلوم و العلماء و الاستعلام و المعلومات و المعالم و التعليم و الاعلام و غيرها من الالفاظ المشتقة من هذا الاصل تشتمل على جميع الحروف الثلاثة و يقابل ثبات الحروف الثلاثة ثبات المعنى الاصلى و المفهوم المشترك بين الالفاظ و هكذا تبدو خاصة بثبات الاصول فى صورتها اللفظية و دلالتها المعنوية و هذه الخاصة هى التى يتطلبها الاسلام لامكان تثبيت المفاهيم التى يريد تثبيتها فى مبادئه و احكامه مع بقائها و استمرارها فى اللغة الشائعة المستعملة عند ابنائها دون ان تحدث فجوة واسعة بين الاصل اللغوى المستعمل و ما انتهى اليه فى صورته و معناه و هكذا يبقى ابناء العربية على صلة و ثيقة و فهم صحيح للنص القديم مهما يطل العهد به . و اما اللغات الاخرى فان الالفاظ فيها يعتريها التبدل و التحول فى صورتها حتى تتغير حروفها و اصواتها فلا تكاد تعرف اصلها و فى دلالاتها المعنوية كذلك و بهذه الصورة يصبح بين الفاظ النص القديم و ما انتهت اليه هذه الالفاظ فى تطورها بون كبير يؤدى اما الى جهل المعنى القديم او الى الوقوع فى خطأ جسيم يحمل اللفظ القديم على اللفظ الحديث او المعنى الجديد .

فالفاظ الحق و المدعى و القضاء و الحكم و اليمين و البينة و الشاهد و الرهن و الاجل و العقد و الشرط و الخصم و غيرها كذلك من الفاظ العقائد و العبادات ثابتة المعنى و لا تزال مستعملة و مفهومة من الناس الى يومنا هذا .

(مصطلحات جديدة :)

و قد ظهرت بعد الاسلام مصطلحات لغوية فى ميادين الفقه و الكلام و التصوف و الفلسفة و المنطق و السياسة و الادارة و اصبحت جزءا من الثقافة الاسلامية و ثبت الكثير منها فى المعاجم اللغوية او على الاقل فى اللغة العربية التى يستعملها الادباء و الكتاب وربا دخلت لغات الشعوب الاسلامية باعتبارها مصطلحات اسلامية باللغة العربية كهذه الالفاظ :

(العقد الفاسد . المساقاة ، الذات و الصفات . و الفناء و وحدة الشهود و المرض و الجوهر و الدور و التسلسل و امثالها) .

(القرآن الكريم)

و قد كان القرآن العظيم عاملا قويا فى كل ما تقدم لان المسلمين اجمعوا على ان القرآن بنصه العربى المنزل المحفوظ حتى يومنا هذا هو وحده القرآن و ان ترجمته الى اى لغة اخرى لا تسمى قرآنا و ليس لها احكامه فلا تكون مصدرا للاستنباط و لا يتعبد بها بل لا يجوز ترجمته و لكن ترجمة معانيه بحيث تعتبر الترجمة تفسيرا له باللغة الاجنبية و بناء على هذا الاساس حرض المسلمون على تعلم القرآن بنصه العربى حفظا او حفظا و فهما و بقدر الطاقة و اكثروا من تلاوته تعبدا بحروفه العربية التى اضطروا الى تعلمها فكان ذلك عاملا هاما و فى تقوية هذه الصلة بين الاسلام و اللغة العربية و فى انتاج النتائج الكثيرة التى بيناها فيما سبق من كلامنا .

و من اجل هذا ايضا كان من مداخل الشعوبية و طرائقهم ابعادا الناس عن الفصحى لاحلال العامية مكانها و الدعاية لترك الحروف العربية و الكتابة العربية و السعى لالغاء النحو العربى و افساد ملكة اللغة. و ذلك كله يؤدى طبعا الى ابعاد الناس عن الفصحى و الى تفرقهم امما مختلفة و الى تهديم هذا الجسر العظيم الذى يصل بينهم و بين الشعوب التى دانت بالاسلام و قرأت القرآن و تعلمته و تعلمت الحرف العربى بل اتخذته اداة للغتها .

و بهذه الدراسة يبدو لنا الطريقان : طريق التشتت و التطفل على الغير و طريق الوحـــدة و ثبات الذات و التحرر و ذلك هو طريق الحرف العربى و اللغة الفصحى و القرآن العظيم المنزل بلسان عربى مبين .

★ ★ فذلك موجز لنظرة الاسلام الى المرأة و بيان اهليتها للايمان و العبادة و احوال مسئوليتها بين يدى الله عن كل تصرفها . و اما اهليتها لما عدا ذلك من شؤن البيت و المال و المجتمع و نحوه فقد فصله الاسلام فى سداد و احكام عـــلى نحو لم يصل اليه دين من الاديان و لا شريعة من الشرائع .

طبعت بالمطبعة الكوثر
سرائ مير-اعظم كره (الهند)
قام بالطبع و النشر وحيد الزمان الكيرانوى من دار العلوم بديوبند

تحت اشراف صاحب الفضيلة الشيخ مولانا محمد طيب رئيس الجامعة

مجلة اسلامية تصدر عن دار العلوم بديوبند كل ثلاثة اشهر

رئيس التحرير المسؤل

وحيد الزمان الكيرانوى

المدرس بدار العلوم بديوبند

ثمن العدد الواحد

روبيتان

الاشتراك السنوى

في الهند : تسع روبيات

في الخارج : ما يعادلها عدا اجرة البريد

للمدارس الاسلامية : سبع روبيات

العدد الثالث ـ المجلد الثامن

جمادى الاخرى سنة ١٣٩٢ هـ

اغسطس سنة ١٩٧٢ء

صفحة

يرسل الاشتراك السنوى ٩ روبيات فى باكستان الى العنوان التالى :

الحاج شوكت على ، يونى سوڈا فكٹرى - نابهه روڈ - لاهور

ملحوظة : يرسل الايصال بعد تحويل المبلغ على البريد

بسم الله الرحمن الرحيم

عقيدة و عمل

ان الذى اعلن ايمانه بالله التزم على نفسه جميع ما تقتضى كلمة الايمان فهو اقرار باللسان وتصديق بالجنان ، والتصديق بالجنان يقتضى العمل بموجبه فان العمل كترجمان للعقيدة ومظهر صحيح لها . و من غير عمل بما المرء تقتضيه العقيدة يكون تدينه مجهولا ، و لا يعتد به مستجيبا لله ، ان المتدين بعقيدته دون عمله يكون متناقضا مع نفسه . اذ كيف يكون مصدقا بقلبه و متخلفا عن العمل بمقتضى ايمانه ثم يكون على الايمان المنشور .

ان القرآن يذكر الايمان فى عشرات من آياته و لا يذكره الا مقرونا باالعمل الصالح ـ و القصد من العمل الصالح : كل عبادة ، و كل جهاد فى الدنيا يكون وسيلة الى الخير .

و القرآن الكريم فى كل مقام يذكر فيه الايمان و العمل يقرنهما بذكر الجزاء الحسن . و يؤكد وعده وبشراه لهولاء المؤمنين العاملين ، كما يذكرنا بتفاوت الدرجات فى الجزاء ، تبعا لتفاوت مراتب الاعمال : كثرة و قلة واتقانا . وغيراتقان . واخلاصا ، وغير اخلاص

و ان عناية القرآن بذكر الايمان مقرونا بالعمل لتدل فى يقين على ان بينهما ارتباطا ذاتيا فى نظام التشريع .
و العقيدة من غير عمل كـكنز مدفون لا يعرف سبيله ، و لا اثر له خارجا فهو اشبه بالمعدوم ، حتى يكون له مظهر وجودى كما يريد الله .
ان من المسلمين فى عددهم الغالب اليوم يكتفون بمجرد العقيدة كانهم فى غنى بعد ذلك عن كل التزام و عمل ، و انما هم متناقضون فى ذلك يعلنون بلسانهم الايمان بالله و التدين بدين الاسلام و اما اعمالهم فهى لاتتوافق مع اعلانهم بل هناك تناقض ، يظهر من سلوكهم فى جميع شعب الحياة انه لا ايمان لهم بالله و لا اعتماد عليه ، يستوحون فى شئونهم كل شئ سوى الله و رسوله ، و يسترشدون به فى اصلاح احوالهم كانه هو المنقذ . فهل تكون حياتهم الا خداعا لانفسهم و مهزلة مستقبحة فى نظر الآخرين ؟ اليس هذا غدرا بالعهد الذى التزمناه على انفسنا بقولنا آمنا بالله ، و هل يكون الغدر باية صورة كان معفوا عنه ؟
ان البلد العربى وطن اسلامى عريق ، و مهد للثقافات الاسلامية انبثق منه نور الاسلام و اشرقت شمسه على الآفاق و لكنه اصبح شيأ غير ما كان لقد آن له ان يتمثل فيه من جديد الطابع العربى المصقول فى لغته و تقاليده . و فى وفائه و نجدته ، و فى كل مايتصل باسلاميته و عروبته الخالصة من شوائب الدخل .
فاذا كان الاستعمار قد لوث تلك الخصائص بزيفه ، و انتقص

منها باباطيله ، و اجتذب نفرا منا الى ناحيته و اباحيته ، فقد آن للوطن العربى الاسلامى ان ينبذ آثار الاستعمار كما نبذ سياسته ، وان يتبدى من جـديد للعالم فى روائه العربى الاسلامى . و ان يبهر العـالم كله بانسلاخه من تلك المهـازل التى لا تلائم بيئته ، و لا تتصل بمقوماته ، و لا تمشى مع وجهته فيما هو بسبيله من استيناف حياته المـاجدة .

من واجب رجال البلد العربى الذين منحهـم الله زمام سيادته و قيادة شعبه ان يستخلصوا قبل كل شئ وطنهم و شعبهم من سطوة الالحاد . و الاعيب الزنادقة ، و ان يحطموا دعاة الميوعة و اعوان الفساد . ليبنوا هذا الوطن بناء جديدا على اسس عربية اسلامية بحتة مثالية للعالم كله فيقام له وزن و يحسب لهم حساب ، و تكون كلمتهم مسموعة و هامتهم مرموقة و الاسلام يعلوا و لا يعلى عليه و كذا المسلم بمعنى الكلمة يعلوا و لا يعلى عليه . (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا . و لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين و نجنا برحمتك من القوم الكافرين)

إن الملوك لها سورة كسورة الشراب : فالملوك لا تفيق من السورة إلا بمواعظ العلماء و ادب الحكماء . و الواجب على الملوك أن يتعظوا بمواعظ العلماء . والواجب على العلماء تقويم الملوك بألسنتها . و تأديبها بحكمتها . و اظهار الحجة البينة اللازمة لهم ليرتدعوا عما هم عليه من الاعوجاج و الخروج عن العدل .

أربعة لا ينبغى أن تكون فى الملوك الغضب فانه اجدر الاشياء مقتا ؛ و البخل فان صاحبه ليس بمعذور مع ذات يده ؛ و الكذب فانه ليس لاحد أن يجاوره؛ و العنف فى المحاورة فان السفه ليس من شأنها .

و يجب على العاقل أن يصدق بالقضاء و القدر ، و يأخذ بالحزم ، و يحب للناس ما يحب لنفسه ، و لا يلتمس صلاح نفسه بفساد غيره .

العناصر الكونية و خصائص الروح

فضيلة الاستاذ بهى الخولى

روى ابو موسى الاشعرى عن رسول ﷺ أنه قال « إن الله عز و جل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض ، فجاء بنوآدم على قدر الارض . فجاء منهم الاحمر و الاسود و بين ذلك ، و السهل و الحزن ، و الطيب و الخبيث » قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح.

فرسول الله ﷺ يشير بهذا الكلام الدقيق العميق إلى إن طبيعة الطينة التى خلق منها المرء تضرب فى كيانه حتى تظهر فيما يعرف به من صفات حسنة او رديئة .

ففى الارض ما هو سهل منبسط تطيب النفس لرؤيته ، و تشرح

لمزاولة السير في رحابه فمن كان فى طينته حظ من ذلك السهل سرت تلك الخصوصية إلى مزاجه النفسى ، و ظهرت السهولة و السماحة فى خلقه وأسلوب معاملته .

و لسنا بصدد إيراد ما ندب إليه رسول‌الله ﷺ من سماحة الخلق وسهولة النفس و لين الجانب ، بل بصدد تحليل المشابه الواضحة بين خصائص نفس المرء و خصائص الطينة التى خلق منها . فان رسول‌الله ﷺ إنما اورد هذا الحديث ليفتح لنا باب هذا التحليل ، و ليدل على الرابطة الرمزية أو المعنوية بين أوصاف الجبلة البشرية و الطينة التى خلقت منها .

فكما أن من الارض ما هو سهل بطبيعته . و ما هو حزن بطبيعته . فان من النفوس — تبعا لذلك — ما هو سهل بطبيعته ، و ما هو حزن بطبيعته و الحزن هو الارض الوعرة الغليظة التى يشق فيها السير لما فيها من صخور و احجار و عقبات . . . و لا شك أن العلاقة واضحة بين حال تلك الارض و حال ما يقابلها من نفوس خشنة غليظة ، يعانى منها الناس ألوانا من شراسة الطبع و سوء المعاملة . و ما يقال عن السهل و الحزن يقال عن الطيب و الخبيث .

و فى هذا الحديث النبوى الكريم إشارة إلى أن الخلق الحسن أو القبيح قد يكون طبيعة فى معدن المرء ، لا منحدرا اليه عن وراثة . و لا مجلوبا له بكسب أو مجاهدة .

فكما يكون المكان سهلا و لا فضل له فى سهولته ، أو حزنا

و لا بد له فى تلك الحزونة ، نرى من الناس معادن طيبة تثمر الصنيع الحسن دون أن يكون لاصحابها فضل فيه ، و معادن خبيثة ترسل الشر على سجيتها عفوا بلا تكلف : « و البلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ، و الذى خبث لا يخرج إلا نكدا » . و فى هذا المعنى يقول رسول الله ﷺ : « الناس معـــدن كمعادن الذهب و الفضة : خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام أذا فقهوا » .

وهذا مبحث من مباحث علم النفس نعرض له ـ فى هذا المقام ـ من حيث نظر الاسلام إليه و حكمه على صاحبه . . . فالاسلام الحنيف لايسوى بين من يأتى الخير و له نية فيه تنظر إلى وجهالله ، و بين من يفعله و لا نية له و لا فقه فى شئ ؛ فأولئك الذين ينطوون على معادن طيبة و طباع سمحة . لايكتب لهم اجر ما يفعلون من خير إلا اذا كانت لهم بصائر مشرقة و فقه مستهد من معرفة الله ، و الا فكيف يكتب الله اجرا لامرئ لم يرفع اليه عمله . و كيف يثيب على عمل لم يفكر صاحبه فى ثوابه ؟

فالخير فى الاسلام ليس خيرا اذا ابتغى به وجـــهالله . و العنصر الطيب لنس طيبا الا اذا استنار بمعرفته عز و جل ، و هذا معنى قوله عليه الصلواة والسلام : « خيارهم فى الجاهليةخيارهم فى الاسلام اذا فقهوا » .

و لاشك ان هـــذا مذهب جليل فى تقدير الرجال و الاعمال : يصحح الاوضاع ، و يعرف لكل ذى قدر قدره ، و يسمو بالمجتمع الى مستوى رفيع من الكمال ؛ اذ يجعل الاقوال و الاعمال جميعا منوطة

بغاية و احدة و مثل اعلى هوالله وحده سبحانه . . . قالت عائشة رضى‌الله عنها « يارسول‌الله : ان عبدالله بن جــدعان كان يطعم الطعام ـــ فى الجاهلية ـــ و يفعل كيت و كيت من المعروف ، ا ينفعه ذلك عندالله » ؟ قال « لا : لانه لم‌يقل يوما : رب اغفرلى خطيئتى يوم الدين » .

فلا بد من النية : و لا بد من فقه المثل الا على ؛ و لا بد من الارادة ؛ و كل ذلك ليس من خصائص الطين . و لا يستطيع التراب أن يمد المرء بخلجة واحدة منه .

و لا نريد أن نسترسل فى هذا المقام الى ما هو أبعد من ذلك : فان الغرض هـو توضيح مابين طبيعة الارض وطبيعة البشر من صلات حسية و معنوية ، أو أن نبوز تلك الوحـدة التى تجمعها فى اصل حسى واحدة . و تنتظمها فى صفات معنوية متشابهة .

و مما يستحق الذكر . و يستأهل التحليل و النظر الخـاص أن الله سبحانه وصف طينة الانسان بأنها صلصال مـن حمأ مسنون فى قـول عز و جل « و اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون » (۱)

فالحمأ المسنون هو الطين الاســود الذى تغيرت رائحته بالنتن فاذ استمد مزاج الانسان من خصائص ذلك الطين فماذا عساه ان يستمد

ان الانسانية اليوم تتمرغ فى اوحال الحمأ المسنون ؛ فاذ انبشت السيرة الخاصة للمرء ، او السيرة العامة لـكثرة الناس طالعك ما يزكم الأنوف

الحجر ۲٦ -

من نتن الريح، و راعك ما يرضاه الشخص لنفسه من سفالة و دنس.
و كم يسمع الناس من قصص فى هذا الشان فتنقبض نفوسهم و تقشعر جلودهم و يعروهم من الاشمئزاز ما لا يعروهم حينما يرون جيفة منتنة —

فالغدر و الكذب و الخيانة و النفاق و النميمة و الوشاية و الرشوة ذلك و نحوه له قصصه الفاضحة التى يغنينا عن ذكرها مالدى القارى من امثلتها الكثيرة.

ذلك بعض ما يقال ان ريح ذلك الحماء ؛ اما سواد لونه فلعل مظهره فى الانسان ظلمة الطبع. وكدرة النفس و خلوها من الوضوح و الصراحة و إيثارها الاساليب الملتوية والوسائل تخفى غير مايظهر...

و مابرح ظلام العين و القلب علة العثار و الضلال ؛ و مابرح نورالبصر و البصيرة سبب الهداية و الطمانينة، ولأمر ما كان من مهمة الرسل إخراج الناس من الظلمات الى النور: ظلمات الطبع وكدرة الحماء فى الجبلة البشرية، الى نورالله الذى جعل سره فطرة فى كل آدمى.

فالسواد الحسى فى الطينة يقابله السواد المعنوى فى الطبع وكان من فضله سبحانه انه لم يكل المرء الى ظلمته الجبلية فجعل له من الروح التى نفخها فيه نورا يستضى به فى عالم المعنويات كما تستضئ العين بنور الشمس فى عالم المحسات ؛ و كثيرا ما نرى آيات القرآن الكريم حين تتحدث عن الظلمات والنور تتضمن الاشارة إلى الظلمة الحسية و المعنوية. و تنبه الى المقابلة بين النور فى الباطن و النور فى الظاهر، والله سبحانه يقول :

«الحمدلله الذى خـلق السموات والارض، وجعل الظلمات والنور، ثم الذين كـفروا بربهم يعدلون. هوالذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا أجل مسمى عنده ثم انتم تمترون (١)» فاذا لاحظت فى هذا القول الكريم صنفى الظلمات و صنفى النور انكشف لك وجه جديد من وجوه المعانى حين المقابله بين خلق السموات، و خلق الارض، و بان لك سر من حكمة ختام الآية بقوله عز شانه «ثم الذين كفروا بربهم يعدلون» ومن خلال ذلك يتسع أفق الاية امام بصيرتك و يعذب وقعها فى نفسك و ترى فيها مالم تكن ترى -

ذلك بعض شأن الظلمة التى يرثها طبع لمرء من سواد طينة الحمأ المسنون نكتفى به لنعرض للصلصال و ما يرثه من معانيه.

فالصلصال مأخوذ من الصلصلة و هى الصوت ... و اما الصلصال هو المتخذ من الطين الجاف الذى لم تنضجه النار فاذا نقر بالاصبع سمعت له صلصلة ... لا يكون هذا الاناء صلبا متماسكا كاناء الفخار أو الخزف الذى انضجته النار حتى جعلته صالحا لكثير من أنواع الاستعمال.

و الانسان على هذا الاعتبار ليس سوى اناء متخـذ من صلصال هذا الحمأ. فاذا ظهرت عليه صفات طينته فهو فارغ اجوف ضعيف تافه لا يتماسك لمهمات الامور. و مثله فى الناس كثير من اولئك الذين يشبهون الطبل الأجوف بالادعاء العريض و الجعجعة الفارغة يقولون ما لا يفعلون و يحبون ان يحمدوا بما لم يفعلو ... و حسبك بمجتمع

(١) الانعام - ٣١

تفاهة أن ينوء كاهل افراده بحمل المكارم ، فلا يكون حظهم منها الا شقشقة اللسان و ثرثرة الجبان و سوفيقة الادعياء الذين لا يقيمون لله سنة فى قول و عمل .

و هذا مبحث عميق خطير واسع الافاق ؛ و اكنا نجتزئ منه بما تقدم و نكتفى بان نقرر أن جبلة الانسان الحيوانية سلبية محضة من حيث قدرتها على الامداد بالفضائل . و ان لا سبيل للانسان الى هذه الفضائل الا ان يمده الله بمدد غير ارضى ، و يمنحه من لدنه منحة علوية - - - فشأن تلك الجبلة شأن الارض الميتة الهامدة التى لا نفع منها و لا غناء لها ، الا اذا انزل الله عليها المـاء فتهتز و تربو و تؤتى اكلها كل حين باذن ربها .

خصائص الروح

و قد منحنا الله هذا الفضل ، و نفخ فينا مـن روحـه ، فكان الانسان إلى جانب بشريته ناحية روحية يعود عليه بكل خصائص الحياة .
و لا بأس هنا ان نعيد ما قررناه سابقا مـن ان الحياة التى نتكلم عنها ليست كا لحياة التى يحياها البدن ؛ و انما هى حياةمعنوية يحيا بهـا فى الانسان كائن روحى لا يرى بالعين . و لا يلمس باليد ، و لايحاذ فى مكان ؛ فهو كا لفكرة فى ذهن المفكر . و كالخاطر فى صدر الملهم ؛ و كالثقة فى نفس المؤمن ، لا سبيل للحس إلى ادراك شئ منها مع انها

كل شئ فى حياة صاحبها : فهى التى تصنع له تاريخه ، وترسم له خطوط منهاجه ، و قد يكون لها الفضل فى تحويل حياته من حال إلى حال .

ذلك الكائن الروحى . او ذلك السر الغيبى الذى يحل فى المرء فيهب له حياة فوق حياة البدن هو ثمرة قوله سبحانه « و نفخت فيه من روحى »

* * *

و هذ الذى قررنا يصل بنا إلى أن الله سبحانه حين يذكر فى القرآن الكريم أنه ينزل الماء على الارض الميتة فيحييها و تنبت من كل زوج بهيج لا يريد إرشادنا إلى دقائق قدرته و حكمته فقط . و لا إيراد البرهان على امكان البعث فحسب . بل يريد إلى جانب ذلك تنبيه المؤمن إلى وجوب احياء قلبه أو أرض بشريته بخصائص الروح التى بثها فى فطرتنا و انزلها علينا فى كتابه ، و منه قوله جل ثناؤه : « الم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله و ما نزل من الحق ، لايكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم لذكر الله و ما نزل من الحق ، و كثير منهم فاسقون . اعلموا أن الله يحيى الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون (١) »

و المومن المخاطب بقصة آدم عليه السلام يرى — على ضوء ما قدمنا أنه مطالب بالانبعاث إلى فضائل الحق و النهوض الى اسباب الحياة — يرى أن عليه أن يحيى نفسه بما سلك الله فى فطرته من ينابيع الحياة . و أن يستنبت فى بشريته كيانا من صفات الحق ، و فضائل الخير

(١) الحديد - ١٦

و نور الهداية فمن هدى الى ذلك و اعين اليه فهو البشر الحى ، و
معنى للحياة التى ينوه بها القرآن الا هذا - اما من استغنى و أصم اذ
و مركبهيمة الانعام فهو الميت . و ان سجلته دفاتر الاحصاء فى ع
الاحياء . وليس لموت النفوس معنى الا هذا حين يرد فى مثل قوله تعالى
« أو من كان ميتا فاحييناه و جعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مث
فى الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون » (١
و لقد هدى الصحابة رضوان الله عليهم الى احياء قلوبهم و استنبات ،
شاء الله من الفضائل فى ارض بشريتهم ، و كان مددهم فى ذلك كتاب
الله و سنة رسوله و ما فى الفطرة من سر الحياة و الاستجابة و لقـ
وصف الله ذلك منهم ، و ضرب المثل له فى التوراة و الانجيل : « كزر
اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه » (٢) .

و لكل زرع ثمر فما ثمر هذا الزرع الذى نحيا به و يحيا فينا ؟
ثمره الشجاعة فى الحق ايما كان و المجاهدة للباطل و اهـله حيث
وجدوا اى ان الغاية التى يجب ان ينتهى اليها جهد المومن من تربية
نفسه ان يستنبت فيها الجندى المجاهد الذى تملاء الشجاعة كل اقطاره ،
و اقرأ معنا قوله سبحانه فى ثمر هذا الزرع المبارك : « كزرع اخرج شطأه
فآزره ، فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار »
فهل يبلغ المومن ان يغيظ الكفر و يوقع به الا اذا استوفى كل خصائص
المجاهدة و الشجاعة ؟ .

(١) الانعام - ١٢٢ (٢) الفتح - ٢٩

و لعل مما تطيب له نفسك و يؤنسك فى هذا المقام ان تقرأ عكس ذلك فى اوصاف اولئك الفارغين الذين حرموا نفوسهم ان تحيا بالحق : فكانت شيئا مبتالا همة به ولا نهضة : «كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم» و ليس ابلغ فى وصف الجبن و تفاهة صاحبه من ذلك الهلع الذى يصور له انه مقصود بالشر من كل صيحة و كانت صيحة الراعى بغنمه أو الطفل بامه .

فاذا كانت خصائص الجندية و المجاهدة هى الثمرة التى ينتهى اليها نضج الحياة فى كيان الانسان فان لهذا الزرع الزكى فضائل اخرى و ثمارا تنضر وجه المجتمع ؛ و أقرأ قوله تعالى فى مناقب اولئك الذين شبهوا بالزرع «محمد رسول الله و الذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله و رضوانا سيماهم فى وجوههم من اثر السجود ؛ ذلك مثلهم فى التوراة و مثلهم فى الانجيل كزرع اخرج شطأه الخ» (١) و لا نحسب اننا بعدنا قيد شعره عن النظر فى خصائص ما جبلنا عليه سبحانه من ناحيتى الطين و سر الروح ، فما جاءت القصة الا لننظر فى نفوسنا هذا النظر ، و نستويها على مثال ما عرض علينا من حال اصحاب محمد ﷺ و الله نسأل ان يوفقنا فى ذلك الى ما يرضيه .

(١) الفتح - ٢٩

الاستعاذة من شر الوسواس الخناس

(الشيخ محمد محی الدين عبد الحميد)

« قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذی یوسوس فی صدور النـاس من الجنة و الناس »

قد اختلف العلماء فی عدد آی هذه السوره ، و فی مکان نزولها ؛ فاما الاول فقال قوم آیاتها سبع ، و قال آخرون : آیاتها ست ، و اما الثانی فان الخلاف فی مکان نزولها هو نفس الخلاف فی سورة الفلق لان الاتفاق علی انهما نزلتا معا علی الترتیب بینهما کما فی المصحف .

قوله سبحانه : « قل اعوذ برب الناس ملك النـاس اله النـاس » اعوذ به : ای الجأ الیه و استعین به و استمد منـه العون ، و الرب : الذی قام بتدبیر امرك و اصلاح حالك و الربوبیة من اوائل نعم الله تعالی علی عباده و لذلك بدأ بها و ثنی بذکر المالك لانه انما یدرك ذلك بعد

ان يصير عاقلا مدركا ، و ختم بذكر الالوهية لان الانسان بعد ان يدرك و يتعقل يعلم بالاستدلال انه عبد مملوك لربه الذى انشأه و صوره و حفظه فى جميع ادوار حياته و من ثمة يدرك ان الذى فعل به ذلك كله مستوجب للخضوع لقهره و عزته مستحق لعبادته . و انما خص هذه الصفات بالاضافة الى الناس مع ان الله رب كل شئ و ملك كل شئ و اله كل شئ لان الناس هم الذين اخطأوا فى صفاته . و ارتكبوا فيها طريق الشطط و ضلوا فيهما الصراط السوى ، و جهلوا حقيقة معانيها ، و ذلك لانهم جعلوا لهم اربابا ينسبون اليهم بعض النعم ، و يضرعون اليهم فى استدار بعض النعم و انظر الى قوله تعالى : « اتخذوا احبارهم و رهبانهم اربابا من دون الله و المسيح بن مريم . وما امروا الا ليعبدوا الهاً واحدا لا اله الا هو ، سبحانه عما يشركون » ثم انظر الى قوله جل ذكره : « قل ياهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا و بينكم الا نعبد لا الله و لا نشرك به شيئا و لا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله . فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون » ثم انظر الى قوله تعالت كلمته « ما كان لبشر ان يوتيه الله الكتاب و الحكم و النبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الناس ، و لكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب و بما كنتم تدرسون ، و لا يامركم ان تتخذوا الملائكة و النبيين اربابا . ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون » تدرك كيف ان الناس اتخذوا بعض الخلائق اربابا من دون الله وكيف كان ذلك مخالفا لما امرهم الله به ، و كيف ان هذا يخرج بهم عن الحدود التى رسمها الله لهم و بين لهم ان

مخالفتها تخرج بهم عن الدين الذى ارتضاه لهم ؛ و الناس قد تخيلوا لهم ملوكا وروحانيين ظنوا انهم هم الذين يدبرون حركاتهم و يرسمون لهم حدود اعمالهم ، و آثروا رضا هولاء ، و ساروا خلفهم لا يخالفون لهم رأيا و لا يترسمون غير ما يرسمونه لهم من الطرق ؛ فكانوا آلهتهم و ان لم يخلعوا عليهم هذا الاسم . فاراد الله تعالى باضافته هذه الصفات الى الناس ان يوبخ هولاء الذين حادوا عن الطريق المستقيم باثبات ان رب الناس و ملك الناس و اله الناس هو الذى لا اله الا هو الحى القيوم الذى فلق الحبة و برأ النسمة .

و قوله سبحانه : « من شر الوسواس الخناس » الوسواس : اسم للوسوسة . و المصدر الوسواس بالكسر ، و المراد به ههنا الوصف ؛ فاما ان يكون من باب اطلاق اسم المصدر على الفاعل ، و اما ان يقال : هو وصف الثرثار و الخناس : صيغة مبالغة من الخنوس ، و هو الرجوع و التاخر ، و المراد الذى يلقى فى نفس الانسان احاديث السوء و قد وصفه سبحانه بقوله : (الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة و الناس) و قوله سبحانه : من الجنة و الناس بيان للوسواس الخناس ، و كانه سبحانه يقول : « ان الوسواس الخناس قد يكون من الجنة و يكون من الناس كما ورد قوله سبحانه « شياطين الجن و الانس » و كما ان شيطان الجن قد يوسوس تارة و يخنس اخرى فشيطان الانس قد يكون كذلك . و ذلك لانه يريك نفسه ناصحا شفوقا فاذا زجرته خنس و ترك هذه الوسوسة و اذا اصغيت الى كلامه بالغ فيه و استمر ؛

قال الاستاذ فالموسوسون قسمان . قسم الجنة و هم الخلق المستترون الذين لا نعرفهم و انما نجد فى انفسنا اثرا ينسب اليهم و لكل واحد من الناس شيطان . و هى قوه نازعة الى الشر يحدث منها فى نفسه حواطر السوء ، و انما جعل الوسوسة فى الصدور على ما عهد فى كلام العرب من ان الخواطر فى القلب ، و القلب مما حواه الصدر عندهم و كثيرا ما يقال : ان الشك يحوك فى صدره . و ما الشك الا فى نفسه و عقله . و افاعيل العقل فى المخ و ان كان يظهر لها أثر فى حركات الدم و ضربات القلب و ضيق الصدر و انبساطه ؟
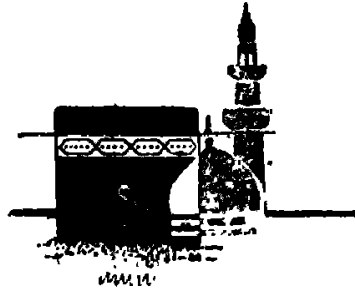
الاستاذ محمد ابوبكر الفاريبورى المدرس المدرسة الدينية لفاريبور

(الحضارة الغربية لا تمنحكم الا افلاسا فى العقيدة و الدين)

من المــأساة الاليمة التى تتصدع بها القلوب و تتفطر بها الاكباد و تبكى لها العيون . ما نشأ فى العالم الاسلامى كله من ركون زائد ، و ركوح شديد ، و زحف حثيث و ميلان كبير الى الحضارة الغربية براقة اللون و المظهر ، خلابة الشكل و الصورة بادية الجمال و الزهاء ، جامعة المفاتن و الزينت ، انيقة الزى و الريش . و حسبت الامــة الاسلامية لهذه الحضارة كل حساب ، و قد ستها كل تقديس . و افتتنت بمظاهرها المزخرفة المموهة و شكلها الظاهر الانيق ، و بريقها و لمعانها الـكاذب . مطبقة اعينها عما فيها من المحزيات و المبكيات ، و من المآسى و الويلات و من الاسقام و العلل ، و الهجوم على العقيدة و الايمان ، و الثورة على العدل و الاحسان ، و ما فيها من الجور و الطغيان . و هتك المحرمات

و قتل الكرامات و السلب و النهب . و الاستخدام و الاستعمار . و الانحراف عن الحق و الانصاف ، و العبث بالقيم العليا و المثل السامية و الالتزامات الانسانية (١) . و اخذ المسلمون يحاكون هذه الحضارة المعتلة السقيمة بكل اعتزاز و افتخار فى اتجاهاتهم و افكارهم و عوائدهم و تقاليدهم ، فى سيرهم و سلوكهم و عاداتهم و اخلاقهم و فى احاديثهم ، و تحياتهم ، و حسبوا هذه المحاكاة و التقليد الاعمى اكبر معراجهم للنهضة و التقدم ، و ظنوا هذه العبودية الفكرية حرية و انطلاقا . و تنورا و تجددا و فخرا و سعادة ، على حساب الدين و الايمان و العقيده و المبادى و على حسب شخصيتهم الاسلامية و الغيرة الدينية و الانفة العربية ، و على حساب مجدهم و شرفهم و عزهم و فخرهم . يستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير .

انهم حاكوا هذه الحضارة وقد ظنوا انها تفيض عليهم الخيرات و السعادات، وتوليهم النعماء الالاء وتسعو حياتهم وتوفر لهم المرافق و اللزائد ، وتطيب العشرة و المعاش و قد تعاموا عن شرها و بلائها و محنها و نكباتها . و كفرها و جحودها و ابائها و انكارها لحكم الله الواحد القهار الغالب على امر السماء و الارض الذى تجرى فيهما كلمته و حكمه و كلمة الله هى العليا و الحكم لله الواحد القهار .

و ان من له المام بهذه الحضارة ، و يعرف تاريخها و تطوراتها المختلفة الكثيرة يعرف ان قوامها الايمان بالمادة و الماديات و الكفر

---

(١) عرف تاريخ هذه الحضارة يصدق هذه المزايا و الخصائص

بالله و الديانات ، فان الحضارة الغربية لا تؤمن بوجود غائب عن الاعين و الابصار ما لا يدركه الحواس و لا يرى بالمناظر و المجهرات ـ فلسفتها تتلخص فى الانكار للعبود و الاله ، و الخضوع للمــادة ، و الاباحيه و اللادينية ـ و ان لهذه الحضارة صراعا قديما ، و عراكا شديدا مع الديانات انها لا تخنع لعقيدة و ايمان مؤداه الاعتراف بالخالق الذى يدبر نظام الكون باشارته و يتصرف فيه امره و انها لا تؤمن الا بالمادة فالمادة هى الهها المطلق و كل ما فى هذا الكون من احوال و شئون و الحوادث و الوقائع انما هو رهين المادة هذا الاله الاكبر .

هذا هى الفلسفة للحضارة الغربية التى قامت عليها قوائمها و ابتنى عليها بناءها ـ فالخضوع لها يعنى التجرد من الايمان بالله و الدين و من الاحترام للروح و الروحانية ، و المبادى السامية ، و الاخلاق الزكية الطاهره و الصفات النبيلة الشريفة . ان لها فعلا كبيرا فى نزع الايمان و العقيدة من القلوب و النفوس و قطع علاقة الانسان بربه و اهانة الاسس الدينية فى اعينه ـ اقرا تاريخ رواد هذه الحضارة ـــ و التاريخ خير شاهد ـ انك تجد غالبتهم كانت فى اول عهدها لا تنكر الله و لا تكفر بالدين و كانت تحسب للروح و الروحانية حسابا ، تؤمن بالديانات و تعترف بالحق و كان فى قلوبها للايمان فعل و تاثير ـ و لكن لمـا طال الزمن و كثر شغفهـا بهذه الحضارة و تملكت على ازواجها و اختلت بشاشه قلوبها ـ و كثر البحث و التحقيق و الخــوض فى التعليل و التحليل من غير هداية ربانية و حراسه دينية ، نشأ فيها الالحاد و الانكار و الجحود و

الكفر و حدثت فيها الشكوك و الاضطراب فى العقائد و الديانات .

هذا ديكارت (Deccartes) الذى يعد موجـــدا للحضارة الغربية كان فى اول عهده قائلا بالله و يقدس الدين السماوى و يذهب الى الكنائس و يتلو الاناجيل و يأتى بالطقوس الكنيسية الا انه قد عاد ملحدا محضا . و انشأ فكرة تبتنى على خالص العبودية للماده و الانكار لله .

و لهذا هابس (Hobbes) كان ابتداء امره انه كان يؤمن بالله و يعظم شان الدين و لكنه اخيرا انكر تصرف الله فى الكون و قال ان نظام الكون قائم على انسجام المادة و فعلها فى الكون . و هذا اسانزا (Spinza) من اولئك الذين حملوا لواء العقلية المحضة كان ايضا يعتقد بالله و بان امره وحده يجرى فى الكون و قد تحولت افكاره و تصوراته فيما بعد و دمج الاله فى المادة و المادة فى الاله .

لائبنيز (Leibnitz) و لاك (L‹cke) اقرا حياتهما تجدهما يؤمنان بالله فى اول امرهما و لكن اضحت نهايتهما عـــلى الجحود و الانكار . هولاء كلهم يعدون من رواد الحضارة الغربية وكلهم آمنوا بالله و الدين فى وقت ما و لكن كانت نهايتهم الاخيرة الالحاد و الكفر و الشك فى العقيدة والدين . و كذلك نيوتن و غيره كثير من علماء الطبعية كان فى قلوبهم مكان للاله و لكن بعكوفهم على البحث عن القوى الخافية التى تسير نظام الكون و المبالغة فيه و الاغراق لحد زائد انصرفوا عن تصور الاله و القوة الالهية .

و مهما يكن الامر ان هولاء جميعا الذين بجهودهم نشأت الحضارة

الغربية و ترعرعت ، و عظم شانها و جل مكانها كان لكل واحد منهم حظ من الايمان بالله و الانقياد للدين السماوى و الانطباع لعقيدة سماوية . و لكن اصبحت خواتيمهم على الجحود و الانكار و انهم جميعاً كفروا بالله و الدين و آمنوا بالمادة و الماديات و اغرموا فى الاهواء و الشهوات . و استخفوا بالمنهاج الالهى و المبادى الالهيه . و التعاليم الفاضلة . و كل من تبعهم من علماء طبعيين لم تكن لهم اية صلة بالله فى قليل و لا كثير ، فانهم نشأوا ملحدين و ترعرعوا ملحدين و ماتوا ملحدين .

ففلسفة الحضارة الغربية فلسفة جوفاء . منحرفة ، معوجة ، معتلة لا مكان فيها للاله و لا للدين و لا للنبوة و لا للوحى و لا للالهام و لا للآخرة و لا لحياة بعد هذه الحياة . فهى مادية بحتة متجردة عن كل اتجاهات سليمة و افكار صحيحة و تعاليم قيمة . و عارية من العدل و الانسان ، و الطهارة و الامانة ، و الحيء و التقوى . و الصدق و الديانة ، مما تقوم عليه الحضارة الاسلامية . فالحضارة الاسلامية و الحضارة الغربية تنتهجان منهجين مختلفين كل الاختلاف و تتباينان فى فكرتهما و تصورهما كل التباين . فليست هنا نقطة الاتصال بينهما لما فى طبعية كل واحدة منهما من تباين و اختلاف . و البون و البعد ، و التناقص و التخالف . فمن العبث الركوب فى سفينتين متغايرة الجهتين فنهايته المحتومة معلومة ، و مكشوفة . فليس الامر هنا امر الهوادة و المساهلة . فاما الانقياد التام ، و الخنوع الكامل لله و لدينه و الانكار السافر فليس بينهما من سبيل . و من المؤسف ان الحلم الاسلامى

قد تغامض عن هذه الحقيقة الواضحة و تجاهلها و احب ان ينطبع بالحضارة
الغربية الملحدة و لو كان هذا على حساب دينه و ايمانه . و رسوله و
قرآنه . و قد نتج عن هذه المحاكاة انهم بدأوا يستحقرون نظام الاسلام
و مناهجه ، و تبدلت اتجاهاتهم و افكارهم حتى بدأت الاصوات ترتفع
من بين ابناء الدين - حينا و آخر - ان الاسلام قد هرم و شاخ، و
لم يبق صالحا لان يساير العصر الحاضر و ان يجارى التطورات و النهضات
التى قد ظهرت على صفحة الكون بفضل العلم الطبعى ، و بفضل البحث
و الاكتشافات التى قد كشفت امام الناس كثيرا من الاسرار الخفية
التى لم تكن فى متناول الانسان قبل هذه العصر المتنور ، و لم يكن هو
مطلعا عليها . و قد وجد من بين ابناء الاسلام عدد لا باس به من
يفضل الحضارة الغربية على الحضارة الاسلامية من غير خجل و حياء
و يومنون بان الاسلام قد تعطل و القرآن قد حال دون سبيل التقدم
و اصبحت الشريعه الاسلاميه و مبادئها عرقلة كبيرة للنهضة و الارتقاء
و سببا كبيرا لمنعهم عن مجاراه الامم الراقية . ترتفع امثال هذه النعرات
و الهتافات مرة و اخرى و حينا و آخر فى البلاد الاسلامية العريقة
الديانة و الايمان و العقيدة و القرآن . انهم لايحبون الحياء الذى هو
جزء من الايمان و يحبون الوقاحة و العرى لما فيه من متعة نفسانية ،
تحقيق لذات غريزية . و لا يريدون كرامة النساء و عفافهن فان ذلك
يعنى احترامهن الذى يفرضه الاسلام على كل بشر ، و لا يقبلون الحجاب
الذى قد اوجبه الدين و يودون السفور و التبرج فان فيه استمتاع

بالصور الحسان ، و الوجوه و السيقان . و لا يودون ان تبقى المرأه ربة البيت و تشرف عـلى الاولاد و تقوم بتربيتهم تربية صالحة لان بذلك تقل ايراداتهم و لا تتوفر لهـم اسباب العيش و اللذات فهتفوا هتفا شق الآذان و بحت الاصوات ان المرأة تساوى الرجل فى الكفائة العملية ، و الصلاحية التنظيمية . و تستطيع ان تعمل فى جنب الرجال و قد وجدت هذه النعرة المسلية ، المهيجة للغرائز تجاوبا فى كل مكان . و امتلات المصالح و الدوائر بالنسوة و بدأت النسوة يعملن جنبا بجنب للرجال مائلات و مميلات . متبرجات و عاديات . و لم يحفل احد بما نشأ بعد هذا من الفساد فى البيوت و المنازل و الشوارع و الممرات .

و جملة القول ان هـؤلاء المتنورين تعادوا كل اخلاق فاضلة و عادات صالحة . و صفات زكية و استحوا العاجلة على الآجلة ، و احبوا كل مافيه متعة لحياتهم ، و تحقيق شهواتهم باسم الحضارة و التقدم ، و الحرية و الانطلاق و ان كان هذا عـلى حساب الغيرة و الايمان و العقيدة و القرآن .

فيا ليتنا المسلمين ادركوا حقيقة هذه الحضارة التى افتتنوا بلمعانها و بريقها . و زخرفة لونها و جمال مظهرها ، و تبين لهم كنهها و مافيه من مأسى و مخزيات . و عادوا الى وضعهم السابق و كانوا من الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملئكة ان لا تخافوا و لا تحزنوا و ابشروا بالجنة التى كنتم توعدون ، و عرفوا ان المحاكاة للغرب لا تعطيهم الا افلاسا فى العقيدة و الدين و القرآن و الايمان ، و تجردهم

عن الاخلاق الفاضلة السامية و العادات الشريفة النبيلة . و ياليتهم غيروا منهاجهم فى الحياة و اتبعوا الكتاب و السنة الذين فيهما سر نجاح المسلم فى الدنيا و الاخرة حتى يستحوا فضل الله و رحمته . و ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم .

محمد ابوبكر الغازى بورى

* * *

ان الملوك لها سورة كسورة الشراب : فالملوك لا تفيق من السورة الا بمواعظ العلماء و ادب الحكماء . و الواجب على الملوك أن يتعظوا بمواعظ العلماء . و الواجب عـلى العلماء تقويم الملوك بالسنتها ، و تاديبها بحكمتها . و اظهار الحجة البينة اللازمة لهم : ليرتدعوا عما هم عليه من الاعوجاج و الخروج عن العدل .

الاسلام و ادب الحديث فى المجالس

الاستاذ ابو الوفا مصطفى المراغى

الحديث هو وسيلة التفاهم بين بنى البشر و هو من العلاقات اليومية المكررة فلا غرابة أن يوليه الاسلام عنايته حتى لا تسفر هذه العلاقة عن التباغض و التخاصم بين الافراد و الجماعات ، و تحسن الكلام و الائتمان عليه و الاقتصاد فيه يعلوا شأن الانسان و تشتد الثقة به ، و من الآداب المقودة فيه فى الاسلام أن يكون صادقا بعيدا عن اللغو منزها عن الغيبة و الخوض فى أعراض الناس و التدخل فى شئونهم الخاصة و أن يكون الحديث فيما يفيد الفرد و الجماعة فى احوالهم و اصلاح شئونهم ، و أن كان الحديث من الأسرار التى لا يباح نشرها وجب على المسلم أن يحافظ على سريته و ان كان فى علم فعلى المحدث أن يوضحه و يكرره ان احتاج السامع الى ذالك و ان كان فى وعظ وجب أن يكون

بالحكمة و الموعظة الحسنة . و من القواعد المقررة فيه ايضا الا يكثر المتحدث من الحلف و لا يحلف بمخلوق و لا يتشدق و لا يتقعر فى حديثه و أن يخاطب الناس على قدر عقولهم فلا يكلم العامة باسلوب العلماء و لا العلماء باسلوب العامة لأن فى ذلك اثقالا على السامعين من الفريقين و مدعاة لسأمهم و مللهم .

و ان كان الحديث فى خصومة وجب أن يكون فى رفق و لين دون ضجيج أو صخب و لو كان مع غير المسلمين . و اذا استبان الحق و قامت الحجة وجب ان يرضخ لها و يعترف بها و ينقاد اليها فان الرجوع الى الحق خير من التمادى فى الباطل .

و متى استوى الكلام و السكوت فالسكوت أولى . و اجدر ، فان الحديث المباح قد يتفرع الى غيره و الخير فى الاحتياط .

الآيات و الاحاديث

قال الله تعالى : لا خير فى كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس و من يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نوتيه اجرا عظيما .

و قال الله تعالى : و لا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا و تتقوا و تصلحوا بين الناس و الله سميع عليم .

و قال تعالى : ادع الى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة و جادلهم بالتى هى احسن أن ربك هو اعلم بمن ضل عن سبله هو اعلم بالمهتدين .

و قال تعالى لموسى و اخيه هارون اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى .

و عن انس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ رحم الله امرأ تكلم فغنم أو سكت فسلم . اخرجه البيهقى .

و عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : ان الله تعالى ينها كم أن تحلفوا بآبائكم . من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت . متفق عليه .

و عن ابى قتادة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : و اياكم و كثرة الحلف فى البيع فانه ينفق ثم يمحق . رواه مسلم .

و عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ المجالس بالأمانة الا ثلاثة مجالس . سفك دم حرام . و فرج حرام . أو اقتطاع بغير حق . اخرجه ابو داؤد . و عن جابر رضى الله عنه حديث طويل : و ان ابغضكم الى و ابعدكم منى يوم القيامة الثرثارون و المتشدقون و المتفيهقون .

و عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الاخر حتى تخلطوا بين الناس اجل ان ذلك يحزنك . رواه البخارى .

و فى حديث رواه البيهق أن العبد ليقول الكلمة لا يقولها الا ليضحك بها المجلس يهوى بها أبعد ما بين السماء و الارض . و ان المرء يزل عن لسانه أشد ما يزل عن قدميه .

لقد كان للجلوس فى المجالس العامة فى دول ما قبل الاسلام رسوم تتسم بطابع الطبقية و التميز بين الناس . فكان للملوك و الرؤساء مكان الصدارة على العروش ثم تليهم الطبقات مرتبة حسب درجاتهم و مناصبهم و وجاهاتهم يقدم فى المجلس الأشراف و الوزراء و الحجاب و قادة الجيوش حسب النظم المرسومة كما بين مفصلا فى كتب الآداب السلطانية مما تورث عن الفرس و غيرهم ، لكن الاسلام قضى فيما قضى عليه من رسوم الطبقات على ذلك النظام فى المجالس فلم يجعل لطبقة مكانا خاصا ، و انما يجلس الرجل حيث انتهى به المجلس لا يدفع احد احداً و لا يزحم احد احداً و كره ان يقوم احد لاستقبال قادم بباعث الخوف و الرهبة لمنصبه أو جاهه فان قام له اختيارا على سبيل الاكرام فلا باس بذلك كالقيام للوالد أو العالم او الصالح و جعل لكل من يحسن الكلام حقا فى الحديث الذى يشتغل به المجلس و ندب المجالس الى البشاشة فى وجوه اخوانه حتى لا يسود المجلس جو من الكآبة و الحزن لان المجالس فرصة للقاء الاخوان و الائتناس بهم و التخفف من متاعب العيش و هموم الحياة . و كره أن ينحاز اثنان من المجلس الى بعضهما و يتسارا دون الثالث لما فى ذلك من الوحشة و الشك .

و اذا اشار احد الجالسين الى اخيه فى رفق ان يفسح له فليفسح

و يبغض الاسلام أن يغشى المسلم المجالس فى حالة مكروهه لزية أو رائحته ، و خاصـــة فى مجتمعات العبـادة كصلاة الجمـة و العيدين و مجالس العـــلم .

الآيات و الأحاديث

قال الله تعالى : يايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم و اذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم و الذين أوتوا العلم درجات و الله بما تعملون خبير .

و عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال : كنا اذا اتينا النبى ﷺ جلس احدنا حيث ينتهى « رواه ابو داؤد » .

و عن ابن عمر رضى الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ لا يقيمن احـــدكم رجلا من مجلسه ثم يجلس فيه و لـكن توسعوا و تفسحوا » « و كان ابن عمر رضى الله عنه اذا قام له رجل من مجلسه لم يجلس فيه » متفق عليه . و عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جـده رضى لله عنهما ان رسول الله ﷺ قال : لا يحل لرجل ان يفرق بين اثنين الا باذنهما رواه ابو داؤد و الترمذى .

و عن معاوية رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من أحب ان يتمثل له الرجال قياما فلتبوا مقعده من النار . رواه ابو داؤد و الترمذى .

و عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ من جلس فى مجلس مكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه ذلك : سبحانك

اللهم و بحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك و أتوب اليك ، الا غفر له ما كان فى مجلسه ذلك . رواه الترمذى .

و عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا أو فليعتزل مساجدنا .

أربعة لاينبغى أن تكون فى الملوك : الغضب فانه اجدر الأشياء مقتا : و البخل فان صاحبه ليس بمعذور مع ذات يده : و الكذب فانه ليس لاحد أن يجاوره : و العنف فى المحاورة فان السفه ليس من شأنها .

و يجب على العاقل أن يصدق بالقضاء و القدر و ياخذ بالحزم ، و يحب للناس ما يحب لنفسه . و لا يلتمس صلاح نفسه بفساد غيره .

نظرة على الغزوات الاسلامية

فى عهـــد الرسول الله ﷺ

* * * * *

الاسـم : (١) الابواء ، العام : ٢ من الهجرة ، العدو : بنو ضمرة .
الباعث : حاولو الاصطدام بالمسلمين مساهمين مع قريش .
النتيجة : اضطروا الى طلب الهدنة لقلة العتاد لديهم .
الاسـم : (٢) العشيرة . العام : ٢ من الهجرة ، العـــدو : ابو سفيان من قريش .
الباعث : خوف قريش من ان تنهب قوافلهم بيد المسلمين .
النتيجة : لم يقع القتال .
الاسم : (٣) بدر الاولى . العـام : ٢ من الهجرة . العدو : كـراز من قريش .
الباعث : غارة قريش على مراعى المدينة .

النتيجة : فرار العدو .

الاسم : (٤) بدر الثانية ، العام : ٢ من الهجرة ، العدو : قريش فى قيادة ابى جهل و ابى سفيان .

الباعث : لدك الاسلام و قمعـــه .

النتيجة : ظفر المسلمين .

الاسم (٥) ذات قرد ، العام ٢ من الهجره . العدو : بنو سالم .

الباعث : خصومتهم نحو الاسلام .

النتيجة : تقهقر العدو حينما سمع عن دنو جيش المسلمين .

الاسم : (٦) بنو القينقاع . العام : ٢ من الهجرة ، العدو : بنو القينقاع القبيلة اليهودية .

الباعث : كانو يستعدون للحرب .

النتيجة : طولبو بالهجرة الى الشام .

الاسم : (٧) .... العام : ٢ من الهجرة . العدو : ابو سفيان من قريش .

الباعث : نهب العدو من المسلمين من كانوا حوالى المدينة .

النتيجة : فرار العدو لدنو المسلمين .

الاسم : (٨) . ... العام : الثالث من الهجرة ، العدو : القبيلة اليهودية بنو سالم و بنو غطفان .

الباعث . تهيؤهم للهجوم على المدينة .

النتيجة : فرار العـــدو .

الاسم : (٩) بنو ثعلبة ، العام : الثالث الهجرى ، العدو : بنو ثعلبة من قريش .

الباعث : تهيؤهم للهجوم على المدينة .

النتيجة : اسلموا جميعا .

الاسم : (١٠) احـــد ، العام : الثالث الهجرى . العدو : قريش :

الباعث : زحف العدو بجيشه العظيم نحو المدينة .

النتيجة : انهت الحرب بانسحاب العدو .

الاسم : (١١) حمير الاسد . العام : الثالث الهجرى ، العدو : قريش .

الباعث : ازماع العدو على ان يقاتلوا قتالا فاصلا .

النتيجة : تقهقر العدو حينما سمع عن المسلمين انهم توجهوا اليهم .

الاسم : (١٢) بنو النضير ، العام : الرابع الهجرى ، العـــدو : القبيلة اليهودية بنو النضير .

الباعث : كانت اليهود قد حاولت قتل الرسول ﷺ .

النتيجة : اجلى العدو من المدينة .

الاسم : (١٣) بنو لحيان ، العام : الرابع الهجرى ، العدو : القبيلة اليهودية بنو لحيان .

الباعث ثأروا للقتل .

النتيجة : فر العـــدو .

الاسم : (١٤) بدر الصغرى ، العام : الرابع من الهجرة ، العدو : قريش .

الباعث : محاولتهم للحملة على المسلمين بدافع هزيمتهم السابقة .

النتيجة : ادبروا قبل ان يصلوا الى المدينة .

الاسم : (١٥) ذات الرقاع . العام : الخامس من الهجرة . ...

العدو : بنو اسمر و بنو ثعلبة .

الباعث : الفوا جيشا لقتال المسلمين .

النتيجة : فر العـــدو .

الاسم : (١٦) دومة الجندل . العام : الخامس من الهجرة ، العـدو : النصارى .

الباعث : همهم للقتال على حض قيصر اياهم .

النتيجة : لكنهم فروا حينما سمعوا عن دنو جيش المسلمين .

الاسم : (١٧) المريسع . العام : الخامس من الهجرة ، العدو : اليهود .

الباعث : جدهم لقتال المسلمين .

النتيجة : هزيمـــة العـــدو .

الاسم : (١٨) الخندق . العام : الخامس من الهجرة ، العدو : قريش و اليهـــود .

الباعث : هجموا على المدينة .

النتيجة : ظفر المسلمون .

الاسم : (١٩) بنو قريظة ، العام الخامس من الهجرة ، العدو : القبيلة اليهودية قريظة

الباعث : بدأو الاستعداد لقتال المسلمين .

النتيجة . ردهم المسلمون بهزيمة منكرة .

الاسم : (٢٠) . ... ، العام : السادس من الهجرة ، العدو : قريش
الباعث : اغار العدو على المزارع و الحقول .
النتيجة : استرد المسلمون الاموال المنتهبة .
الاسم : (٢١) خيبر . العام : السابع من الهجرة ، العدو : يهود خيبر
الباعث : عداوتهم للاسلام و تاهباتهم لقتال المسلمين . النتيجة : غلبة المسلمين .
الاسم : (٢٢) .. . العام : السابع من الهجرة ، العدو : اليهود
الباعث : اظهروا عداوتهم . النتيجة : هزموا .
الاسم : (٢٣) فتح مكة العام : الثامن من الهجرة . العدو : قريش .
الباعث : نقض قريش لصلح الحديبية .
النتيجة : دخل المسلمون مكة فاتحين .
الاسم : (٢٤) حنين ، العام الثامن من الهجرة ، العدو : قبيلة هوازن .
الباعث : الخصومة من القبائل المجاورة و تجهزها للقتال .
الاسم : (٢٥) الطائف العام : الثامن من الهجرة ، العدو : اهل الطائف و اللاجئون من الكفار .
الباعث : هرب الاعداء بعد الهزيمة من حنين و المسلمون يتابعونهم حتى وصل العدو الى الطائف و اتخذ لنفسه حصارا .
النتيجة : اخذ حصارهم من المسلمين زمنا طويلا و اخيرا نزلوا على معاهدة .
الاسم : (٢٦) تبوك ، العام : التاسع من الهجرة . العدو : قيصر الروم .
الباعث : تجز الامبراطورية المسيحية لقتال المسلمين و كسر الاسلام .
النتيجة : لما وصل المسلمون الى الحدود لم يروا اثرا لهم فرجعوا من دون قتال .

(التحرير)

ان الحكمة كنز لا يفنى عـــلى انفاق ، و ذخيرة لا يضرب لها بالأملاق . و حلة لا تخلق جدتها ، و لذة لا تصرم مدتها .

ان كان للملوك فضل فى مملكتها فان للحكماء فضلا فى حكمتها اعظم : لأن الحكماء أغنياء عن الملوك بالعلم : و ليس الملوك باغنياء عن الحكماء بالمـال .

و ليس للعقل سلطان عـــلى قلوب المحبين ، يوجد الرجل العاقل يقيس الامور و يبحث اسبابها و نتائجها . و قد اوتى الحكمة

و فصل الخطاب . فاذا استولى الحب على قلبه ارتكب من الهفوات

ما يتنزه عنه الجهلاء ، و هو يرى أنه عاجـز عن تجنبها . و اذا تامل ما ياتيه من الخفة و الطيش فى سبيل الحب خجل من نفسه و لا يرى له مندوحة للخلاص عما وقع فيه .

و يغلب فيمن يحب كثيرا أن يكره كثيرا فيكون حبه كلفا و بغضه تلفا و فيهم من لا يعرف من الحب الا اسمه ، و انما يكون الحب فى نظره قضاء منفعة او طمعا فى غرض . فاذا تجرد عن ذلك لم يبق له أثر .

و من نواميس الحب انه يزداد بالتبادل او بالأمل ، فالمحب يزداد تعلقا بحبيبه اذا تحقق أنه يحبه او استدل من تصرفه عـلى أنه سيحبه فيحيا بالأمل . فاذا عـلم بعد ذلك أن أمله فى غير محله . و أن ذلك الحبيب كان يخادعه . اصابته صدمة الفشل فانقلب حبه بغضا و اشتد بغضه بنسبة ذلك الحب .

ان الحب فضيلة مهما اعترضه أو تقلبت عليه الاحوال لأنه اساس العمران . و المحبون هم الفضلاء ، و لولا هم لخلقت الدنيا من الرحمة و لاحسان . و لولا الحب لكانت الحياة كالصحراء القاحلة ماؤها أجاج دواءها سموم . و انما يجعل (الحب) ماءها عذبا و سمومها نسيما .

ان الحب نور يملأ القلوب و يوحى اليها الطهر و الوداعة و الرقة

و الشفقة و الحنو و الحنان .

ان الحب اذا دخل قلبا طهره من الجشع و الحقد و البغض و كل رذيلة تتصل بالمخلوق .

الحب قوة نشيطة مسيرة الى الخير و الصلاح . اذا دخل الحب قلبا قسمه مشاعا للناس أجمعين . و عوض عن كل جزء موهوب أجزاء مضاعفة .

الحياة بلا حب عذاب دائم ، و نار محرقة . و مصائب متواليات . و الحياة بالحب نعيم دائم ، و سعادة مقيمة ، و بهجة عامة ، و متعة لانفاد لها .
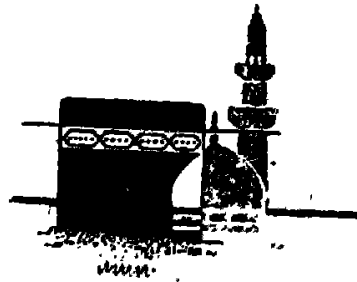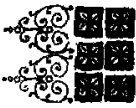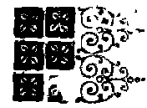
بقلم الاستاذ عبد الحليم عباس

الاسلام لا يحارب الغنى ، و انما يحارب الفقر ، و لا ينقم على الاغنياء ، ثراءهم . و انما يدعوهم و بالحاح الى عون الفقراء ، يجعل هذا واجبا عليهم ، ليس فيه منة ، و بهذا ينتفى الحقد من المجتمع ، و يحل محله التاخى ، و الدعوة الى التصافى و المحبة .

ليسعى كل انسان ، لتحصيل رزقه ، و تنمية ثروته ، و لكن بالطرق المشروعة و ان جاء من هذه السبل الحلال ثراء ، فلينعم به صاحبه ، و لكن على ان يعلم و يعمل بما يعمل و هو ان هذا المال ليس خالصا له وحده ، و انما فيه حق معلوم للسائل و المحروم .

و حديث ثراء عبد الرحمن بن عوف . يصلح مثلا طيبا ، الى نظرة

الاسلام . الى الثراء ، و الى اطاعة الاثرياء كلمة الاسلام الهادية . فيصبح
الغنى بعد ذلك حلية للثرى ، و زينة له ، و موضع حب من اصحابه
لا ينقمون عليه ، ما هو فيه . و انما يغتبطون له ، و لما هو فيه من ثراء .
و صاحبنا عبد الرحمن بن عوف . ما ان اعطى سمعه و قلبه . لما
يحدث به صاحبه - ابو بكر - بحديث محمد صلوات الله عليه و سلم .
حتى تنزاح من امامه . ما اقام الجهل و الجاهلية ، من حجب تحول بينه
و بين رؤية الحق ثم اتباع هذا الحق . فيسرع الى الاسلام . و يكون
بذلك من العشرة الاوائل المشرين بالجنة .
و يلقى من الاضطهاد . ما تلقاه جماعة المسلمين ، فيتحمل قسطه
منه . و من هذا القسط الهجرة الى الحبشة . و مفارقة الاهل و الاوطان .
ثم يهاجر ثانية مع الرسول الكريم الى المدينة .
و يواخى الرسول بين النازحين من مكة ، و بين اصحاب الدار من
اهل يثرب ، و هذه الاخوة الطاهرة . جعلت الكثيرين من اهل المدينة ،
ينزلون لاخوانهم فى الاسلام عن بعض ما يملكون . انهم اخوان لهم ،
و من حق الاخ على اخيه ، ان لا يصيبه عوز ، و فى مال اخيه سعة .
و يكون من حظ ، ابى محمد ، عبد الرحمن . طيب الله ثراه .
مؤاخاة رجل ، وسع الله عليه فيما رزقه و هو سعد بن الربيع .
و يجئ صاحبنا - سعد - الى اخيه عبد الرحمن و يقول اليه . انت
اخى فى الاسلام ، و انما اغلاها و اعزها من اخوة . لقد اعطى الكثير
من الانصار اخوتهم من المهاجرين ، بعض مالهم و هذا حق لهم ، فقد

خرجوا من ديارهم . لا يملكون شيئا غير الايمان الذى يعمر قلوبهم . و انا رجل موسع على فى رزقى ، فانى عامد الى ما املك ، اقسمه بينى و بينك ، و استحلفك ان تاخذ خير الحصتين ، و انى متروج ، و قادر على ان ازوجك لنصبح متعادلين متكافئين .

فيعتذر - ابو محمد - الى صاحبه ، فى رفق و يشكر له صنعه ، و يلح الانصارى الحاحا شديدا و لكن عبد الرحمن . يمضى فى اعتذاره ، عن اخذ مال صاحبه و اخيرا يقول له عبد الرحمن ، اسمع يا صاحبى انى رجل له حظ و خبره ، فى التجارة ، فدلنى عـــلى السوق و سترى حظى فيه ، ان شاء الله . و يدله صاحبه عـــلى السوق . و يتعرف الى التجار . فاذا هو بعد حين ، صاحب ثراء واسع ، بل قلائل فى المدينة ، من هم فى مثل ثرائه .

و لكن - عبد الرحمن - لا يعطى التجارة ، كل اوقاته ، ان لها النصيب ؛ و قد لا يكون الاكبر ، اما ما يبقى منها ، و هـــو الاكبر ، فمع رسول الله صلوات الله عليه ، يشارك بماله ، و سيفه و يعطى ، و يقاتل فى سبيل الله .

لقد انفق فى الجهاد . و عـــلى مرات خمسمائة فرس ، و الف و خمسمائة راحلة ثم هو يعطى منه اخوانه و يسدد ديوان المحتاجين منهم .

و بلغ من اعزاز الرسول الكريم له ، ان قال لخالد بن الوليد ، و قد تلاحى و اياه فى سريه من السرايا - يا خالد دع عنك اصحابى ، فو الله لو كان لك مثل احد ذهبا ، ثم انفقته فى سبيل الله ما ادركت

غدوة رجل من اصحابى و لا روحة من روحاته .

و كل هذا الذى يصنع لم يقعده - وخشاه - عن الغزوات ، تحت راية رسول الله . فقد شهد - بدرا - و قاتل فيها اشد القتال و حضر - احدا - و قاتل فيها اشد القتال ، و اصابت الجراح جسمه ، ما يقارب العشرين جرحا ، و اصيبت ساقه فاورثته عرجا ، دائما .

و يمضى ابن عوف ، موسعا عليه فى رزقه الحلال . فتجارته رابحة ، له حظ عظيم فيما يبيع و يشرى حتى يكاد يصدق عليه قوله و هو لو قلبت حجرا ، لوجدت تحته فضة او ذهبا .

و يرى اهل المدينة ثراءه ، فيسرون لذلك ، لانهم يعلمون ، ان لمحتاجهم نصيب فيه فان الغنى فى الاسلام ، اذا اتبع النهج الاسلامى القويم فى ثرائه ، و اول هذا النهج ان يكون حلالا و ثانية ان يعطى حقوق الله فيه ، لم يكن هذا الغنى موضع حقد ، كما تصور لنا المذاهب الدخيلة ، بل موضع حب كما قلنا .

كان اهل المدينة يقولون ، ان ثراء ابن عوف هو ثراء لاهل المدينة جميعا . فامواله مقسومة الى ثلاثة اقسام :

ثلث هذه الاموال يقرضه لهم .

و الثلث الثانى يوفى به ، ما على محتاجهم من دين .

و ما تبقى ، يصلح باكثره .

و لكنه مع هذا الذى يصنع فى ماله كان لا يراه اصحابه ، الا خائفا وجلا ، من ان يكون المال سببا من الاسباب ، التى تباعد بينه

ـه بين رضي الله .

لقد قاله الرسول ﷺ ، و هو منذ سمع ذلك القول ، دائما المحاسبة لنفسه ، و مراقبة سلوكه فى ماله يتقــرب به الى الله ، الذى يهب و يعطى .

قال له مرة يا ابن عوف ، انك من الاغنياء ، و انك ستدخل الجنة حبوا ، فارض الله يطلق له قدميك .

جاءت رواحله ، و هى بالعشرات من ديار الشام ، تحمل خيراتها فتسامع بها اهل المدينة ، و سروا بمجيئها و لقد كان صاحبنا حريا بالسرور ايضا ، و لكن يترامى اليه ، حديثا تحدثت به ام المومنين ، عائشة عليها رضوان الله ، فهى قالت لقد سمعت الرسول الكريم يقول - رأيت عبد الرحمن بن عوف ، يدخل الجنة حبوا - . فيسرع اليهـا ، يسألها عما تحدث به فتحدثه بحديثه ، و قد كان سمع مثله من الرسول الامين ، فيسارع ينزل لفقراء المدينة ، عن الكثير مما جاءه

و هكذا يمضى الرجل المسلم فى حياته ، كله حب للخيـر و بر باصحابه ، لا تلهيه تجارة رابحة عن الر بهم ، و ياما اروع الصحابى الجليل ، و الانسان الخير الكريم و هو يشكو لاصحابه ، هموم الثراء و انه يخشى ان يحبس بسببه عن اصحابه فى الدار الاخرة . . . . ثم هو يقول لقد سبقونى الى الجنة ، و قد تاخر ، ميعاد لحاقى بهم ، لقد استشهد اكثرهم و انسى على فى الاجل .

ثم يوصى باكثر ماله ، لاخوته من اهل بدر ، و يقول انهم شركاء

فيه مع اهلى ، سيرة عطرة زينها السير ، على الطريق القويم ، طريق الهدى و الدين .

و هذا هو الاسلام فى كل ما رسم لنا من نهج فى مختلف الدروب .. و ها هم المسلمون الاولون ، زانوا صفحة تاريخ الانسان ، باجمل ما تزان به صفحة فكان عندهم الغنى و الغنى الحلال و على ما رسم الاسلام طريقا الى الحب و المحبة .

* * *

سلوك المسلم

مقتضى الايمان ان يعرف المرأ لنفسه حدودا يقف عندها ، و معالم ينتهى اليها ، اما العيس من غير ضوابط ، و التمشى و راء النزوات المهتاجة دون تحفظ و لا تصون فليس ذلك سلوك المسلم .

بین ضیف و فتاة شاعرة
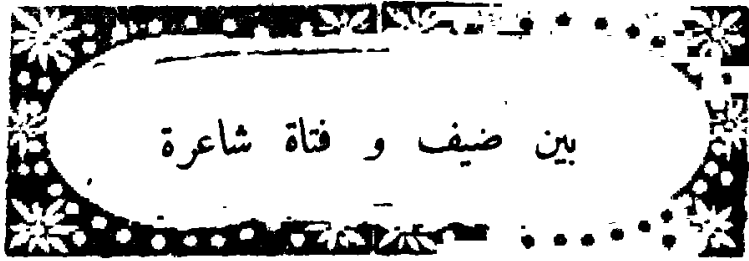
اعداد : الفاضل ابو الحسنات الاعظمی

نزل شخص من العرب ضیفا علی امرأة من بنی عامر ـ و من عادة العرب انهم یکرمون ضیوفهم اکراما عظیما و یعزونهم اعزازا بالغا ، و یعتنون بضیافتهم ، و یهتمون بمداراتهم ـ فلم تدخر المرأة الجهد و الوسع فی ضیافته ، و بذلت نشاطها فی خدمته ، فلما اراد الرجل ان یغادر منزلها ، و یرجع من عندها ، جری علی لسانه شعر یهجو بنی عامر و هو :

لعمرك ما تبلی سرابیل عامر * من اللؤم ما دامت علیها جلودها

و کان الرجل ینشد شعره هذا بصوت رقیق ناعم حسب مذاقه حتی سمعته المرأة المضیفة ، و من المعلوم ان الکلام الهجوی و بخاصة

الشعر اشد تاثيرا من اسلحة القتل و الفتك و يؤيده قول الشاعر

جراحات السنان لها التيام ٭ و لا يلتام ما جرح اللسان

و هذا لانه فى القتل و الفتك اتلاف الروح و الجسم و فى التذليل و التحقير هتك العرض و اضاعة العزة و الحرمة ، و الانسان الشريف الابى يوثر العزة على النفس ، فتلك المرأة صنعت اليه معروفا ، و احسنت اليه بضيافته ، و توفيرها له اسباب الراحة ، فكيف كان فى الممكن ان تحتمل ما يحمله كلامه من الهجاء ، و لكنها كظمت ما ادركها من الغيظ و الغضب ، و ازالت ما حصل لها من السخط والطيش و ارسلت اليه جاريتها لتعرف سبب هذه الفعلة ، فجاءت الجارية الى الضيف و خاطبته قائلة : يا سيدى هل اهملت سيدتى فى مدارتك شيئا ؟ قال كلا ، قالت فما دعاك الى ان تقرض شعرا يجرح عظمة قبيلتنا . فقال : قد بدر منى هذا الشعر و لم اورده عمدا ، فاخبرت الجارية سيدتها بهذا الجواب و خطر ببال الضيف ان المرأة لا يبعد ان تشعل نار الفتنة و هو فى اهلها ، فان اخبرتهم بهذا فهم يتصدون لنفسه ، فينبغى له ان يرجع من فوره دون تاخير لكن لم تمض دقائق حتى خرجت اليه طفلة صغيرة و جلست بجانبه تتحدث معه فى موضوعات شتى وكان حديث الطفلة حلوا رائقا فاعجبه كلامها و اشتغل به كل الاشتغال ، حتى نسى ما كان قد خطر بباله الذى كان يدفعه الى الرجوع من هنا و لما علمت الطفلة بفطانتها ان الضيف صار فى طمانينة و سكون فاستفسرته حين غفلة اثناء الكلام قائلة : يا ابن عمى ! من اى قبيلة انت ؟ قال انا من « بنى تميم » .

الصبية : هل تعرف من نظم هذه الاشعار :

«تميم» بطرق اللوم اهدى من القطا و لو سلكت سبل المكارم ضلت
ارى الليل يجلوه النهار و لا ارى خلال المخازى عن تميم تجلت
و لو ان برغوثا على ظهر قملة يكر على صفى تميم لولت
و لو جمعت يوما تميم جموعها على ذرة مربوطة لاستقلت
«تميم» كجحش السوء يرضع امه و يتبعها بالرغم ان هى ولت
ذبحنا فسمينا على ما ذبحنا و ما ذبحت يوما تميم فسمت

و كان مراد الصبية فى الظاهر انها تريد الاطلاع على قائلها ولكنه الضيف لم يكن غبيا او سفيها لا يفهم ما تريده ، و هذه الاشعار و ان كانت نتيجة لارتجال تلك الطفلة الحديثة السن و طلاقتها و لكن الضيف حسب ان احدا هجا بنى تميم و اشتهرت اشعاره حتى انها جرت على السنة الاطفال و الاولاد الصغار . فارتعد خوفا من الذل و الاهانة ، و بدأت حبات العرق تقطر من جبينه . و لم ير طريقا للنجاة و التخلص الا ان يرجع من بيانه ، فقال مزعجا : اختى العزيزة ! انا كنت مشغولا بالتأهب للسفر فسألتنى عن قبيلتى فسبق مع لسانى انى من بنى تميم ، و لست منهم .

الصبية : يا سيدى ! ما خلق الله شيئا افضح و اخزى من الكذب فاتق الله و لا تكذب و ان لم تكن من بنى تميم فمن اى قبيلة انت ؟

الضيف : اختى العزيزة ! و الله انى صادق فى كلامى و ما يدعونى الى ان الوث لسانى الطاهرة بنجاسة الكذب و لعلك تعرفين ان فى

العرب قبيلة ذات فضيلة و عظمة معروفة « بنى ضبة » فانا منهم ، و اظنك لست بواقفة على فضائلها لحداثة سنك و كونك على بعد منها .

الصبية : نعم اصبت ، فانا اقدر شعرا آخر و بفضلك اخبرنى من قائله .

لقد زرقت عيناك يا ابن معكبر كما كل ضبى من اللوم ازرق

لما سمع الضيف هذا الشعر اخـذ يلوم نفسه لانه كذب عبثا ما اغناه عن شئ . و قال فى نفسه يرى ان « قبيلة ضبة » قبيلة دنيئة محتقرة بين الناس حتى ان هجاه على السنة الاطفال و الصبيان ، فليس المفر و التخلص من هذا الذل الا بان اعترف بسبقة لسانى ، و اظهر انى لست منهم فآثر الكذب على الذلة و قال للطفلة فى خجالة : ايها العزيزه ! ثقى بانى مشتغل باعداد للسفر كل الاشتغال . حتى ان لسانى ليس زمامها باختيارى فاريد شيئا و اقول شيئا ان بنى ضبة ليست لى علاقة بها .

الصبية : لاباس انا لا اظنك كاذباً . فان الانسان احيانا يريد شيئا و يسبق منه خلافه فالان اخبرنى بفضلك من اى قبيلة انت فانى اريد ان اعرف اسم قبيلتك الصحيح الضيف (يفكر مطرقا راسه) فى هذه المرة اذكر اسم قبيلة تكون معروفة لدى الناس جميعاً ، و لا يوجد له نظير و مثال (رفع راسه قائلا) اختى العزيزة ! انا من « بنى عجل » و هى قبيلة معروفة بالعزة و الكرامة و . . . . .

الصبية (تقطع كلامه قائلة) انى اعرفها حق المعرفة ، و حيث ان لمعرفتى اياها اسبابا منها انى اتذكر شعرين متعلقين بها فاريد ان

اعرف من هو قائلها .

اری الناس يعطون الجزيل و انما عطاء « بنى عجل » ثلاث و اربع

اذا مات عجلی بارض فانما يخط له فيها ذراع و اصبع

لما سمع الضيف هذين الشعرين اندهش و اخذ ينظر الى وجهها حيرانا و قال : يا اختی ! اظن انك اخطات فی الاصغاء الى كلامی ، او انا اخطات فی ذکر الاسم الصحيح . فان السفر قد استولى على مشاعری و جوارحی حتى العقل و اللسان . و انا الآن فی حالة ان تسالینی عن اسمی فلا اثق بان اجيب عليه صحيحا فانا تذكرت الآن ، انی من قبيلة « ازد » . الصبية : طيب ، ليس فينا صبی لا يعرف قبيلة « ازد » كل صغير و كبير يعرفها حق المعرفة ، فان تسمح لی اقدم شعرين فی مدحهم و لكن ارجوك ان تخبرنی عن قائلهما ان كنت واقفا عليه .

حالما سمع الضيف انها تريد عرض الشعر ارتجف خوفا من الذلة و حسب ان احدآ علمها اشعارا فی هجاء « ازد » و هی ستهجوه بها و لكنه تظاهر بالبشاشة و المسرة على وجهه . و قال : بكل شوق و اصغاء . انی احب شعرك فتفضلی . و أرهف اذنيه للاستماع الى كلامها و كانت الصبية تنتظر الاذن فبدأت تنشد من فورها

فما جزعت ازدية من قتانها ه و لا اكلت لحم القنيص المعقب

و لا حياء بالقناص بالصيد فی الجنا ه و لا شربت فی جلد حوت لعلب

سمعهما الضيف فانبغت و بهت ، و بدت الكابة على وجهه ، و صار على

وشك الاختناق من احتماله المشقة و الذلة التى كادت تخدر جسمه . و ثار و هاج هيجانا شديدا و اخذته الحيرة كل مأخذ بفطيسانة الصغيرة و طلاقتها التى كانت تضربه ضربات متتالية . و سعى ان يتجاوز هذا الهيجان حده ، و يفطر قلبه غضبا يخالطه الحزن و يمازجه الاسف على وقوعه فى قعر المزلة . و لكن ما لبث الا ان ضبط نفسه الثائرة و تمالكها ثم اخذ يحارث نفسه « لا ادرى ما هذا السر ؟ كلما اقدم اسماء القبائل المعروفة التى جرت سمعتها وصيتها فى العالم ، و رسخت عظمتها و شهرتها فى اذهان الناس عامة ترد هذه على ردا قاطعا و تهجوهم هجاء لا يمكن لغيرها ان يقدم له مثلا . فلعل اهل اسرتها حفظوها اشعارا فى هجاء قبائل العرب كلها ، فهل هم يعلمونها مثل هذه الخرافات ؟ و يدرسونها مثل هذه الدروس المخربة للاخلاق ؟ لا شك انهم يسيئون اليها ، و يوفرون لها اسباب الهلاك فى مستقبلها القريب ، و كان مقتضى سنها ان تتعلم العلوم المفيدة ، و تتحلى بمعلومات جيدة ، و تزين نفسها بمحاسن الاخلاق و كان من مسئولياتهم ان يربوها تربية خلقية ، و يهذبوها تهذيبا كاملا و يؤدبوها ادبا رفيعا يرشدها الى كل طريق تحتاج الى اختياره فى حياتها المستقبلة ، فتقف على طريق تنخلب به فواد زوجها ، و تنال به رضا حماتها و اخت زوجها و الاخرين من اهل اسرتها الجديدة ، فتكون مثالا و نموزجا لهم و للاخرين ، فيا لهلاك البنت ، و لضياع عزة اهلها : لا ادرى من هم الظالمون الذين لوثوا ذهن هذه الطفلة المعصومة البريئة بمثل هذه الاشعار الهجوية »

لم یتم الرجل محادثة نفسه حتی بغت ، و بدا له سوال آخر یجول فی ذهنه ، و هو انه لیس بمستبعد ان تقرض البنت نفسها هذه الاشعار (سائلا نفسه) الا یمکن هذا ؟ بلی یمکن و ان یکن الامر کذلك فلا حد لذکاءها و فراستها ، الان قد عثرت علی الحقیقة ، و ادرکت الکنه و وصلت الی النتیجة الصحیحة (رفع راسه و تظاهر بالعجلة لکون البنت منتظرة لما یورده فی جوابه فرق حجاب الصمت قائلا :) اختی العزیزة ! انی قد تاخرت فی الاجابة و کنت افکـــر فی هذه الفرصة انك مطلعة علی احوال قبائل العرب حق الاطلاع ، و تعرفینها حق المعرفة و لست بمکتفیة بالسماع و الشـــهرة فحسب ، کما کنت اظن من قبل ، بل لك تحقیق و رأی صائب فیهم . فیا اختی ! اما کنت امتحنك فی انده تتطلعین علیهم ام لا ؟ ، و لهذا ما اخبرتك عن اسم قبیلتی الصحیح ، لعلك فهمت من استمرار تنقلی من حدیث الی اخر انی کنت اخفی علیك نسبی ، و لم یکن غرضی منه الا امتحانك ، فی معلولاتك الحقة . الآن قد نجحت فی الامتحان ، فاقول لك الحق و تق بانی من « بنی عبس »

و فی هذه الاثناء کانت البنت تصغی الی کلامه و تسمعه بلهفة و شوق زائد وضایة تامه و تسعی فی ان لا یفهم الضیف انها تحمل حدیثه علی الکذب الصریح . و کانت مطمئنة النفس . بشوشة الوجه . کانها تصدق کلامه بکل قلبها ، فقالت : یابن عمی عرفت انك من « بنی عبس » و اظنك مطلعا علی قائل هذا الشعر :

اذا صبیة ولدت غلاما ٭ فبشرهـا بلوم مستفـاد

الى الآن لم يترك الضيف طريقا للكذب الا و سلكه ، و لم يجد سبيلا حتى اختاره و لم يبق الان عنده جواب يخلص به نفسه ، فجمد فى مكانه حتى كاد ان يتمر فى الارض ، و اراد ان يتسال من عند البنت ، و لكن ناجاه قلبه . « ان فعل ذلك يفقد عزته كلها ففزع و قال منزعجا » : عـــزيزتى ! انت اخطات فى سماع حديثى . فانا لم اذكر لك قط اسم « بنى عبس ، انى ذكرت لك اسم « بنى فزارة » ، و والله انى منهم ، و اما بنو عبس فانا على بعد منهم مسافة مئات الاميال .

الصبية : حسن : يمكننى الخطاء فى السماع و يمكنك السهو فى قولك ، فهل قبيلك « بنو فزارة » التى قيل فيها هذا الشعر :

لا تامنن « فزاريا » خلوت به ۞ عـــلى قلوصك و اكتبها باسيار

خرج هذا الشعر من لسان البنت و اثر عليهـا تاثيرا عميقا كانه سيف قاطع يكاد يقضى عليه ، و اخذ يتفرس فى وجهها و يندهش من جرأتها ، و عقد النية على ان يذكر فى هذه المرة اسم قبيلة لم يهجها احد . فحرك لسانه قائلا : و الله يا اختى ! انى لست من بنى فزارة .

ـــ الصبية : فمن اى قبيلة انت ؟

الضيف : (مستحيا ذاكرته) انا من قبيلة « بجيلة » .

الصبية : اتعرف يا اخى المحترم لمن هذه الاشعار :

سالنا عن « بجيلة » حين جاءت ۞ لتخبر اين قربهـا القرار

فما تدرى بجيلة اذ سالنا ۞ أقحطان ابوهـا ام نزار

فقد وقعت بجيلة بين بين ۞ و قد خلعت كما خلع العذار

ــ الضيف : (فى نفسه) اللهم : ما هذا المضيقة ؟ ما من قبيلة فى العرب الا لدغتها هذه الصغيرة الحديثة السن بلسانها النضناض ، انا اتاخر فى تذكرة اسم القبيلة ، و لكنها لا تحس انى مشقة فى قرض الاشعار البديعة ، و ينشده مرتجلة بطلاقة مدهشة و الآن ليس لى مفر الا فى الكذب ، (مخاطبا لها) لله اختى ! اقسم عز و جل انى لست من قبيلة « بجيلة » الصبية : فما هو اسم قبيلتك ؟

الضيف : انا من « بنى نمير » ــ الصبية : لعلك تعرف قائل هذين الشعرين :

فغض الطرف انك من نمير ٭ فلا كعبا بلغت و لا كلابا

و لو وضعت فقاح « بنى نمير » ٭ على خبث الحديد اذا لذابا

طار لب الرجل و ذهل عقله و تعطل دماغه عن عمله ، فان الكذب ما اغناه عن شئ و عجز عن بيان اسبابه ، و لكن خوف الذل اغراه على الكذب فاعمل جرأته و قال : و الله ليس بينى و بين « بنى نمير » اية علاقة .

و انما كنت اتلذذ بالاستماع الى ابياتك بهذه الحيلة و تنقلى فى الانتساب من قبيلة الى اخرى .

الصبية : اتق الله ايها الرجل ! ما اغناك كذبك عن شئ فتب الى الله و لا تهج قبيلة تنزل فيهم و ان لا فينزل بك ما نزل الآن .

خجل الضيف و رجع معتذرا نادما قاضيا العجب على طلاقة البنت و بداعة اشعارها و ارتجالها فى الكلام .

رجل فقدته دار العلوم

الاستاذ الكبير الشيخ فخر الدين احمد رئيس هيئة المدرسين
و شيخ الحديث بدار العلوم فى ذمـــة الله
فراغ لا يسد... شخصية لن نجد لها بديلا ـ خسارة لا تنسى

* * *

كانت المجلة على وشك الطبع اذ فوجئنا بنبأ مفجع يلتاع له القلب و تبكى له العيون . اظلم جو دار العلوم و ساد الحزن و الغم على سماء العلم اذ سقط نجم لامع من نجومها توفى الى رحمة الله مولانا و امامنا الاستاذ الشيخ فخر الدين احمد رئيس هيئة التدريس لدار العلوم و رئيس جمعية علماء الهند . طار خبر وفاته من مرادآباد (وطن اقامته) فى سنة ابريل الماضى الى ارجاء الهند فهلعت القلوب و تقطعت ـ فكانت كارثة ذات وقع كبير و اثر عمـــيق فى قلوب تلاميذه و محبيه المنتشرين فى انحاء الهند و خارجها اذ تتلمذ عليه عدد كبير من عطاش علم الحديث

من بقاع الهند و خارجها ـ مدة طويلة و كان رحمه الله قدوة صالحة لاسلافه و بقية باقية لافاضل علماء دار العلوم . جاهد لتحرير الوطن جهادا مريرا و كافح للاسلام كفاحا متواصلا و خدم الدين و العلم خدمة يعجز عن الاحاطة بها القلم واللسان . عطلت دار العلوم و اكثر المدارس العربية فی ذلك اليوم و ختم القرآن الكريم عدة ختمات لايصال الثواب كما انعقدت حفلات التابين فی انحاء الهند رحمه الله رحمة واسعة و ستره و شمله بغفرانه و اسكنه فراديس جنانه . و اسرة دعوة الحق تحمل الى انجال الفقيد و اسرته الكريمة عزاء من صميم القلب و تدعو لهم بالصبر و السلوان ـ

انبـاء عن دار العلوم بديوبند

الوفد الثقافى المصـــرى فى دار العلوم

فى عشرة يونيو وصل الى دار العلوم وفد ثقافى مصرى تحت رئاسة الاستاذ الدكتور محمد توفيق عويضة رئيس المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة فاستقبله النائبان للمدير سماحة الاستاذ الشيخ معراج الحق و سماحة الاستاذ الشيخ نصير احمد خان و جرى الحديث فى موضوع خدمة الاسلام فى العصر الحاضر و اطلع سادة اعضاء الوفد عـــلى اعمال و خدمات دار العلوم و تاثروا بهـا كثيرا و اعترفوا بفضلهـا فى حقل الدعوة الاسلامية و نشر علوم الدين و قد تكرم الوفد الكريم باهداء مجموعة من اسطوانات القرآن الحكيم للشيخ المقرى محمود النباء و نسخة قيمة مذهبة من القرآن الحكيم كما وعد رئيس الوفد بارسال الف نسخة من القرآن الحكيم و الفى كتاب فى موضوعات الدين التى يقوم بنشرها المجلس الاعلى للشئون الاسلامية . و قد رافق الوفد الشيخ اسعد المدنى الامين العام لجمعية علماء الهند ، و غادر الوفد دار العلوم فى نفس اليوم مغتبطا و مسرورا .

عدة وفود من العرب

زارت دار العلوم فى فترات متقطعة عدة جماعات عن اخواننا العرب

من مختلف البلدان : المملكة العربية السعودية و الاردن و لبنان و سوريا و مصر و الجزائر و تحدثوا مع رجال دار العلوم و اجتمعوا مع الاساتذه و الطلبة و التى بعض منهم مواعظ على الطلبة و حثهم على الخروج فى جماعات التبليغ .

حفلة توذيـــع الجوائز

انعقدت فى شهر جمادى الاول حفلة توذيع الجوائز على الطلاب المشتركين فى الامتحان السنوى الماضى و دامت يومين اشترك فيها الاساتذة و المدرسون و الطلاب جميعا و كانت هى فرصة طيبة لفرح الاساتذة و الطلاب اذ نالوا تشجيعا و تقديرا و مكافاة من ايدى المشيخة فكان لهم يمنا و سعادة و نورا للمستقبل .

نتائج الامتحان السنوى لعام ١٣٩١ ھ

مجموع عدد الطلاب المشتركين فى الامتحان - ١٢٥٢

عدد الناجحين	١٠٠٢
عدد الغائبين	٥٠
عدد الساقطين	٢٠٠

التفصيل

عدد الطلاب في دورة الحديث (قسم الحديث العالي)	٣٠٢
» » في المرحلة الثانوية و العالية	٦٤٢
عدد الطلاب في قسم تكميل التفسير (بعد دورة الحديث)	٣
» » » تكميل الدين	٢
» » » تكميل الادب العربي	٢٤
» » » تكميل المعقولات	٢
» » » الافتاء	٥
» » » التجويد	٥٢
عدد الطلاب في المراحل الابتدائية ،	
» في مدرسة تحفيظ القرآن	٩٤
» في مدرسة مبادئ الدين الابتدائية	١١٧
» القسم الفارسي	٤١

تحت اشراف صاحب الفضيلة الشيخ مولانا محمد طيب رئيس الجامعة

مجلة

دعوة الحق

مجلة اسلامية تصدر عن دار العلوم بديوبند كل ثلاثه اشهر

رئيس التحرير المسؤل

وحيد الزمان الكيرانوى

المدرس بدار العلوم بديوبند

ثمن العدد الواحد
روبيتان

الاشتراك السنوى

فى الهند : تسع روبيات

، الخارج : ما يعادلها عدا اجرة البريد

لدارس الاسلامية : ست روبيات

العدد الرابع ـ المجلد الثامن

رمضان سنة ١٣٩٢ هـ

نوفمبر سنة ١٩٧٢ء

صفحة

يرسل الاشتراك السنوى ٩ روپيات فی باكستان الى العنوان التالى :

الحاج شوكت علی ، يوپی سوڈا فكٹری ـ نابهہ روڈ ـ لاهور

ملحوظة : يرسل الايصال بعد تحويل المبلغ على البريد .

بسم الله الرحمن الرحيم

الناحية الاجتماعية

لشهر رمضان

ان شهر رمضان شهر البركات و الحسنات و موسم للبر و الاحسان تتكامل فيه صورة المجتمع الاسلامى و تظهر بملامحها الاصيلة ، خصه الله بفضله فانزل فيه القرآن هدى للناس ، و ميزه عن سائر الشهور بما فيه من فضائل و خصائص و ذكريات و آثار ليست لغيره من شهور العام .

جعل الله هذا الشهر المبارك الميمون موسما عالميا و مهرجانا عظيما على وجه الارض لعباده يتقربون فيه الى الله بالصوم بما فيه طاعات و التزامات ويتدربون على الخصال الحميدة و العادات الكريمة التى يبتنى عليها المجتمع الفاضل و يقوم عليها صرح الاسلام الشامخ ، اراد الله لنا ان يجعل هذا الشهر شهر التدريب الروحى و الجسدى ليخرج من عباده النماذج الربانية القوية فى ارادتها و الشفافة فى صفاء روحها المتغلبة على نزواتها و نزعاتها التى لا تستكين لاعدائها من الانس و الشيطان .

اصبح رمضان موسما عالميا للعبادة و الذكر و التلاوة و الورع و اعمال البر و الطاعة يلتقي على صعيده المسلم الشرقي مع المسلم الغربي و المؤمن العامل مع المقصر ، و الجاهل مع العالم ، و الغني مع الفقير ، و توحدت اغراضهم و تالفت قلوبهم . فتتجلى في هذا الشهر المبارك مظاهر الوحدة الاسلامية عبادة و تعاملا ؛ اذ ان الله قد فرض على المسلمين صوم هذا الشهر ليربيهم تربية روحية و مادية تتقوى بها صلتهم بالله و ارتباط بعضهم ببعض .

فان الصوم الذي وقت بهذا الشهر شهر رمضان المبارك ، ركن من اركان الاسلام الاربعة التي يقوم عليها بناءه . و عبادة من جملة العبادات الاخرى الا ان الصوم يمتاز عن غيره من العبادات فانه لايربط العبد بربه فحسب بل هو مع ذلك يربط الانسان باخيه الانسان و يقرب المسلم من اخيه المسلم و ينشئ بينهم تالفا و تقاربا و تعاشرا سلميا و تعايشا وديا فانه يحمل في طياته من مكارم و فضائل اذا تحلت بها نفس المسلم صار عضوا نافعا في المجتمع الاسلامي و اصبح قدوة للناس نموذجا للانسانية الفاضلة .

ان الصوم عبادة يملك بها الانسان زمام نفسه و يتغلب عليها فيقدر على ان يكفها عن رغباتها و شهواتها و يكبح جماحها و يهذب سلوكها و و يدربها على الخير و البر و يوجهها الى الرشد و الهداية .

فالصوم له فوائد جمة ، منها مايخص صاحبه و يصلح بها نفسه و منها ما يتعدى الى الاخرين فينفعهم نفعا عاما في الحياة الاجتماعية .

و ما من شك في ان صلاح النفس و لوكان في الظاهر محدود النفع لصاحبه و لكنه في الحقيقة يتعدى الى الاخرين فان كل انسان عضو في

المجتمع و الجماعة فاذا فسد تأثر به الجميع و تطرق اليه الفساد ، و اذا صلح صلحت الجماعة كلها و لم يجد الفساد اليها سبيلا ، فضلا عما اذا كان لا من المنافع المتعدية التى تصلح بها نفوس الاخرين فيكون صلاح الجماعة او المجتمع اضعافا مضاعفة .

فالصوم يهدف الى تطهير النفس و تزكية القلب و تقوية الروح و تهذيب الاخلاق و تعديل السلوك ، و يأتى بخيرات كثيرة ، و حسنات عظيمة اذا كان مصحوبا بكامل حقوقه و آدابه و روحه فى اوساط الصائمين و غير الصائمين ، فيسير صاحبه على نهج قويم و خلق كريم بصدر واسع و نفس راضية مطمئنة يميل الى الخير و يصنع المعروف و ينأى عن الفحشاء و المنكر و يترفع عن كل ما يحط من قيمه الانسانية و خصائصه الاسلامية فلا يخوض فى البحث عن مثالب الناس و معايبهم ، و يتجنب كل رذيلة و دنية من الاغتياب و النميمة و الكذب و الفسق و الفجور و الخيانة و الخدع و الغش و البغض و الحسد و الاستعثار و الاحتقار ، و هذه كلها رذائل لا ينحصر ضررها فى شخص صاحبها و انما يتضرر بها افراد المجتمع و بها يعم الفساد اليهم جميعا .

و ليس الصوم عبارة عن مجموعة امور سلبية فقط بل هو فوق ذلك ، مجموعة رفيعة من فضائل و اوصاف حميدة ايجابية ، فهو يطهر الروح و يزكى النفس و يربى فى الانسان الارادة الحرة ، و يقوى العزيمة الصادقة كما يورثها العواطف السامية ، فيعودها الصبر و التسامح و التصافح و التصافى و تحمل الشدائد و احتمال المشقات ، و يحث على البر و الاحسان الى غيره

و الرحمة و الشفقة ، و العطف على الفقراء ، و الرفق بالضعفاء و المساكين و صلة الرحم و احترام شعور الاخرين و احاسيسهم و عواطفهم ·

و الصوم من اعظم العوامل التى تسوق صاحبه الى الخير و يكون سببا لتحول النفس من الشر الى الخير . و من الفساد الى الصلاح ، و يكون وسيلة من اقوى الوسائل لتنشئة النفوس و بناءها على اسس من الفضيلة و الكرم و الاخلاق الفاضلة و الآداب الرفيعة ·

و الصوم كما له بركة لصاحبه كذلك بركة لغيره من رفاقه و بنى جنسه و اعضاء مجتمعه . و نظرا الى كثرة جوانب الصوم الافادية فى بناء المجتمع و اصلاحه جعل الله له شهرا كاملا . و ذلك هو شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن ، هذا الشهر الكامل مجال كبير للامة الاسلامية تتدرب فيه على اعمال البر و التقوى فتنال رضاء الله و تستحق بطاعتها له مرضاتة و توفيقاته و تكتسب لها قوة و وحدة متماسكة و حياة مثالية تعيش بها عيشا محمودا فى مصاف الامم كما قد شهد بذالك تاريخها الحافل بالامجاد ·

ظاهرة الوحدة فى رمضان

ان شهر رمضان فى منهاج الاسلام و حياة المسلمين مظهر من مظاهر الوحدة . و وحدة الباعث الذى هو الايمان و وحدة الوسيلة التى هى الصبر على آلام الجوع و الظمأ ووحدة الغاية و هى ابتغاء رضوان الله ·

و تتجلى فى هذا الشهر المبارك معانى الوحدة و المساواة الكاملة التى ينه

رسول ﷺ فى قوله : « كلكم من آدم و آدم من تراب ، لافضل لعربى على عجمى الا بالتقوى و التقوى ههنا و اشار عليه السلام الى الصدر » .

و هذا لان تساوى الانسان بالانسان فى معناه الحقيقى يظهر فى هــذا الشهر حيث لايبقى فيه فــرق بين غنى و فقير ، و ثرى و معوز ، و بين حاكم و محكوم ، فان كلهم يجوعون و يظمئون و يمسكون عما يجب الامساك عنه لفترة معينة من الزمن بنية واحدة و لغرض واحد و بشكل واحد و فى وقت واحد و فى كل بقعة من بقاع الارض .

قد جعل الله الغنى بالصوم و حرمانه الاكل و الشرب مــع تهيئه و توفره له مساويا للفقير الذى طالما جاع و ظمأ لاعوازه مايشبع به و يقتات ، وليس الجوع و الظمأ هذا للفقير و الغنى الا لرضاء الله و اكتساب مرضاته فهيهنا فى فريضة هذا الشهر تتضح المساواة الكاملة و الوحدة التامة بين المسلم و اخيه المسلم فى الاسباب و الغايات و الظواهر و الاشكال ، و ذلك تطبيق عملى للمبادئ السامية التى جاء بها القرآن الحكيم الذى بدأ نزوله فى هذا الشهر المبارك فترى فى رمضان ذ ى الشرف و الترف و ذوى الجاه و السلطان مشتركين فى الحرمان المشروع طول اليوم مع الفقراء و المساكين دون امتياز لفريق .

المواساة —

ان حرمان الغنى ذوى اليسر و الرخاء من الطعام و الشراب المتيسرين له يحمله على الشعور بما يقاسيه اخوه الفقير طوال العام ، و لولا حرمانه هذا و ذوقه طعم الجوع و العطش طول هذا الشهر لما علم مدى ما يشكوه الفقير و المعوز من الم المجاعة و فقد ما يسد به حاجته ، فتتحرك فى هذا الغنى الصائم العاطفة الانسانية من الرحمة و الرقة و المواسات بعد ان يسلمه الصوم امانية و كبره ، فتقوى فيه دوافع الغيرة فيعمر قلبه بعاطفة البذل و الاعانة و الاغاثة . و تمتلئ نفسه بالخير فيمد يده بالاحسان الى اخوانه ليخفف عنهم عبء الحياة و شظف العيش و يزيل عنهم آلام الجوع و الحرمان و تنفتح قلوب التجار و الاغنياء و ذوى اليسار للعطف على الفقراء و بذلك ينشأ بين جماعة المسلمين تراحم بالغ و تواد كامل و ترابط قوى و تكافل فى الخير و تساند فى العمل و تعاون فى جميع نواحى الحياة فيصير مجتمع المؤمنين كله مجتمعا متماسكا متينا قويا كما اراده الله و كما قال ﷺ : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، او كما قال ﷺ : مثل المؤمنين فى توادهم و تراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى .

و من مميزات رمضان و صومه ان المقصرين فى العبادات حتى تاركى الصلوة يصومون اوعلى الاقل يتظاهرون بالصوم لاياكلون و يشربون الاسرا فى خجل و ندم اللهم الا ان بلغت وقاحتهم آخر مبلغها فهذه ظاهرة

لا توجد فى عبادة اخرى . و هناك من بركات رمضان الاجتماعية هو عمران المساجد بالمصلين و احياء الليالى ، و من اكبر بركات رمضان المبارك فى الحياة الاجتماعية هو ظاهرة التسامح و التعاطف و التراحم و التزاور و التقرب بين الاقربين و الابعدين و الاغنياء و الفقراء .

و بركاته كذلك ان المسلم يتعلم الدرس العملى من صومه لحياته كيف يسير مع اخوانه متكافقا ، متساندا ، متعاضدا ، متعاونا ، متعاطفا ، متراحما و كيف يقاوم شدائد الحياة اذا واجهته و كيف يخرج من الازمات اذا اصابته ، فهو يستعد بصومه انفراديا و اجتماعيا لمجابهة شدائد الحياة و المكافحة التغلب عليها و لقد شهد بذلك كثير من الاجانب كمثل ،، ديدلى رائت ،، و ،، آرنلد ،، فقالوا : ان للصوم اسهاما كبيرا فى رقى المسلمين ، فانهم تعودوا بذلك الصبر على المكاره و الآلام فتغلبوا على كل صعوبة حتى فازو و ظفروا بما اراد الله لهم بالنصر و الفتح المبين ؟!

فرحبا بشهر رمضان ، مرحبا بشهر القرآن ، و مرحبا بشهر الغفران اعاده الله الامة الاسلامية فى كل عام هم فى امن و سلام .
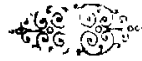
آفاق تکوین الانسان

الاستاذ بہی الخولی

لا نرید بالتکوین هنا ترکیب جسم الانسان و تصویره من لحم و دم و عظام و جوارح و تقاسیم ؛ و لکنا نعنی الخطوط الجامعة التی فطر الله علیها هذا الکائن الممتاز فی صفات خلقه ، و مشاعره و ادراکه و عقله المعجز الخطیر . . . نعنی ذلك التقویم الروحی المادی الذی سوی علیه الانسان ، فکان کما اخبر الله سبحانه فی قسمه : « لقد خلقنا الانسان فی احسن تقویم » . . او بعبارة اقرب الی فهمنا الحاضر ، نرید معنی « التصمیم » الذی یذکر فی لغة المهندسین عندنا و یراد به الخطوط التی یقام علیها بناء بیت او مصنع او نحوهما لیودی الغرض منه علی احسن حال

و لقد کان الانسان فی علم الله القدیم — قبل ان یخلق — معنی جامعا للاوصاف التی یتالف منها کیانه المادی و الروحی . او کان « تصمیما » — و لله المثل الاعلی — ینتظر الوقت الذی یظهره الله فیه الی حیز الحس و المشاهدة .

و لقد خلقه الله من طین ، و نفخ من روحه ؛ فاذا هو بشر سوی یمثل الاوصاف التی سبقت له فی علمه سبحانه

و لقد قلنا فى الفصل السابق : ان طينة الانسان اذا امدته بشئ فانما تمده بخصائص الصلصال و الحمأ المسنون ؛ اما صفات القوة و الخير و النور فلا ؛ اذ هى فى ذلك كالارض الميتة .. فاذا رؤى على الانسان اثر من هذه الصفات فهو من خصائص السر الذى نفخه الله فيه من روحه .

فللانسان بازاء الحق و الخير ناحيتان : احداهما سلبية ميتة ، و هى طبيعة الطين و الاخرى ايجابية حية ، و هى طبيعة الروح . . فاذا امدت الاولى بمدد من الاخرى حيت و ربت و اثمرت ما شاء الله سبحانه من فضائل .

هذا هو تصميم الانسان . او التقويم الالهى الذى سويت عليه فطرته ؛ و لكن هل فرغنا بعد من كل ما يتعلق «بالتكوين» او يتصل به ؟

انا نعوذ بمقام الله نسأله تعظيم شانه حتى لا نكون ممن يتدلونه له حرمه . . اقول ذلك حين خطر لى ان استعين على تقريب ما انا بصدده بضرب مثل : فان المهندس الذى يضع « تصميم » قصر من القصور لا يقتصر فى تقدير « التصميم » على ما يجب ان يكون فى هذا القصر من حجر النوم و الطعام و الضيافة و مرافق المطبخ و دورات المياه و نحوها . بل يدخل فى حسابه — حتما — صلة هذا القصر بما يجاوره من طرق و شوارع ، و جيران . ومناظر طبعية ، و اقبال الرياح و ادبارها ، و مساقط النور و مداخل الشمس و نحو ذلك .

و اقول - و لله المثل الاعلى - ان الانسان خلق لمهمة يوديها

فى هذا الكون و قد نص و سبحانه على هذه المهمة و اوضحها بجلاء حين قال : « و اذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة » فكان من مقتضى حكمة الله ان يسوى هذا الكائن على المثل الذى يتكافأ مع تلك الخلافة و تودى به مطالبها .

و لو قدر للانسان ان يعيش وحده فى هذا الكون ، لا يتصل بشئ من حقائقه و لا يتصل به شئ من تلك الحقائق ؛ لالفينا انفسنا ازاء افق محصور و كائن مغلق عما حوله ، لا يمتاز فى ادراكه و مواهبه عن اى بهيمة مطموسة و لكان « تصميمه » حينئذ كتصميم القصر المصمت الذى لا نوافذ له و لا مداخل و لا ابواب . . و لكننا نقرأ فى القصة الكريمة اشارات عن الروح التى امد بها كيان الانسان . . و اشارات عن الجن اذ فسق احدهم عن امر ربه ، و قام يعارض الله عز و شانه ، و يقسم و يتوعد ان سيفعل كذا و كذا بآدم و بنيه . . . و اشارت عن الملائكة اذ امرت ان تسجد لآدم فسجدت . . و اذ امر آدم ان يتصل بهم لينبئهم بما يعلم من اسماء الاشياء فاتصل بهم و انبأهم بما امر به .

و فى القصة ـ الى ذلك ـ نصوص كريمة أخر تدل على ان آدم كان يتلقى من الله سبحانه أمره و نهيه و كلماته : « اسكن انت و زوجك الجنة » . « و لا تقربا هذه الشجرة » . «ان هذا عدو لك و لزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى » . « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم » .

فنحن — اذن — بازاء آفاق متعددة اتصل بها آدم و اتصلت به :

١ — افق الروح .

٢ — افق الجن .

٣ — افق الملائكة .

٤ — و ثمت افق رابع لابد من النص عليه هو افق المادة او افق الارض التى خلق منها ، وجعلت ميدانا لرسالته فى قوله سبحانه : « انى جاعل فى الارض خليفة » .

* * *

ولانستطيع — و نحن بصدد تكوين الانسان او تصميمه — الا ان نقول ان آدم عليه السلام ما كان ليتصل بتلك الافاق الا لان لها اتصالا مباشرا بمهمته التى اسندت اليه . . . وان الله سبحانه اذقدر — فى القدم — ان يخلق لتلك المهمة الجليلة انما قدره — كما قلنا — على المثال الذى يتكافأ معها ، وقدر له من المواهب و آفاق المدارك مايستطيع به ان يتصل بكل افق من الافاق المختلفة التى تتصل بمهمته العتيدة .

ان كلام الله سبحانه محكم الايات ، مسدد الاشارات : ما منه كلمة او حرف الا و قد فصله الله لمعناه ، و اراده منذ الازل رمزا لما شاء من علم : « كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير »

و انا لنظلم انفسنا اشد الظلم اذا مررنا بتلك الاشارات الدقيقة دون ان نقف لنتامل ما وراءها من آفاق هذا الكون الوسع الرهيب ! .

هذه واحدة و الاخرى التى يجب ان نقدرها قدرها، فى هذا المقام ان الله سبحانه اذ يحيى و يميت . او يعطى و يمنع لا يفعـل ذلك جزافا دون تقدير او دراية لمواقع ما يفعل : بل هى الارادة القدسية التى لا تتعلق الا بالتقدير ، و الاحكام البالغ : فتعطى بميزان، و تخلق بقدر و تمنع لحكمة : و ليس قدر من هذه الاقدار الا و هـو مصيب محله لا محالة ، لايزيد عنه و لاينقص و لا يجاوز موضعه و لا يحيد عنه قيد شعرة « و كل شئ عنده بمقدار » .

فاذا كان الله سبحانه قد اراد للانسان ان يكون خليفته فى هذه الارض ، فانه قد براه و قدره على وفق ما تودى به هذه الخلافة افضل اداء .

و اذا كان سبحانه قرن لنا فى قصة تكوين الانسان بين خلافته فى هذه الارض ، و بين الآفاق التى قدر له ان يتصل بها ، فان بين تلك الآفاق و تلك الخلافة علاقة اوجبت ذكرهما فى معرض « التصميم » الذى سوى عليه الانسان . . . و اذا كان الله عن شانه قد أمـد الانسان بطاقات من المواهب و آفاق من المدارك . فان ذلك هو مقتضى التصميم الذى تعددت آفاقه . و تنوعت جوانبه ، و اريد به للانسان ان يواجه كل افق بما يلائمـه من الخصائص التى يصلح بها امر الخلافة .

فليس فى مواهب المرء شئ يزيد مثقال ذرة او ينقص عن مقتضيات الوفاء بحقوق تلك الخلافة ؛ فاذا هو ادى الذى عليه . و نهض بحق ما القى اليه و تعرض لكل افق بحسنه . و اعطاه من نفسـه كل حقه

فقد انصف نفسه . و كان عند ما اراد الله من كرامــة . . . و اذا ارادها ماكلة و شهوة و ملهاة ، او اتصل بافق دون سواه ، و عطل بعض مواهبه دون بعض . فقد اغلق من نوافذ نفسه ، و غير خلق الله فيه ، و انسلخ عما اراد له سبحانه من كرامة . . . و اليك الكلام عن كل افق من هذه الآفاق بما يتسع له المقام فى تلك الرسالة . .
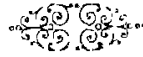
و ينبغى للعاقل ان يكون لهوه متهما ؛ و لا يقبل من كل أحد حديثا ؛ و لا يتمادى فى الخطأ إذا ظهر له خطؤه ؛ و لا يقدم على امر حتى يتبين له الصواب ، و تتضح له الحقيقة . و لا يكون كالرجل الذى يحيد عن الطريق . فيستمر على الضلال ، فلا يزداد فى السير الا جهدا . و عن القصد الا بعدا ؛ و كالرجل الذى تقذى عينه فلا يزال يحكها ، و ربما كان ذلك الحك سببا لذهابها .
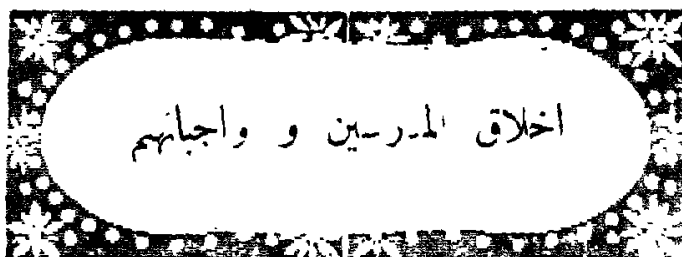
الدكتور احمد شلبي

عقد القلقشندى فى «صبح الاعشى» فصلا طويلا للكلام عن صنعة الكلام و معرفة كيفية انشائه ، و نظمه و تأليفه و لم يستعمل القلقشندى لفظ المدرس فى ذلك الفصل مما قد يوحى بانه غير مقصود ، و لكن النظرة الفاحصة تنبئ بان المدرس مقصود فى هذا الفصل دون تردد و السبب فى ذلك ان القلقشندى استعمل لفظ الخطيب و الخطابة ، كما استعمل عبارة صانع الكلام . و قد مر بنا فى حديثنا عن المعيدين ان كلمة الخطبة كانت تطلق على ما نسميه الان المحاضرة فالخطيب اذاً هو المحاضر ؛ ثم ان عبارة صانع الكلام تشتمل المدرس دون عناء .

فاذا كنا سنعد ذلك الحديث المفيد شاملا المدرس فان الاوصاف

التى اوردها القلقشندى له قريبة جدا من الشروط التى تتطلبها معاهد التربية فى الاختبارات المهنية التى يجرونها لراغبى الالتحاق بها ليعدوا انفسهم لوظيفة التدريس .

يشترط القلقشندى فيه من الصفات الجسمية حسن القد . و وضوح الجبين ، وسعة الجبهة ، و انحسار الشعر فيها .

و يشترط له من الصفات العقلية العقل . ثقافة الذهن وحدة الفهم و العمل يدرك بالابصار ، و ارباب الابصار اكثر (١)

ثم على المعلم ان يشفق على المتعلمين . و ان يجريهم مجرى بنيه ، و الا يدع من نصح المتعلم شيئا ، و ان يمنعه من التصدى لرتبة قبل استحقاقها ثم ينبهه ان الغرض من طلب المعلم الثقافة و القرب من الله دون الرياسة و المباهاة و المنافسة ، و ان يهتم باخلاق التلاميذ اهتمامه بعقولهم ، و ان يزجرهم عن سوء الاخلاق بطريق التعريض ما امكن . و لا يصرح بالزجر الا عند الضرورة (٢) .

و عليه ان يختار للمبتدئ المسائل البسيطة كثيرة الوقوع ، لان ذلك اقرب الى الفهم و الضبط (٣) و قد قال الرسول : من حدث الناس بحديث لا يفهمونه كان فتنة على بعضهم (٤) و على المتكفل ببعض العلوم الا يقبح علوم الاخرين فى نفس المتعلم (٥) و على المعلم الا

(١) الغزالى ، الاحياء ١ : ٤٨ ، ٤٩ ؛ (٢) الغزالى . الاحياء ١ ٤٦ ، ٤٧ .
(٣) الزرنوجى : تعليم المتعلم ص ٣٢ (٤) الغزالى : الجام العوام من علم الكلام : ٣٣ (٥) الغزالى : الاحياء ١ ص ٤٨ .

يتردد فى ان يقول : لا ادرى اذا كان لا يدرى (١) .

و على المدرس ان يربى فى التلميذ ملكة الاجتهاد و النظر لا مجرد التقليد و التسليم حتى ينشأ مستقلا لانسخة من معلمه (٢) .

و ينصح ابن جماعة المدرس الا يدرس وقت جوعه او عطشه او همه او غضبه او اضطرابه او قلقه ، و ينصحه كذلك الا يطول الدرس تطويلا يمل و لا يقصره تقصيرا يخل ، و يراعى فى ذلك مصلحة الحاضرين

و يشترط من الصمات الخلقية العدل ، و العفة . وسعة البال . فى الفضل و يضع القلقشندى له دستورا قويما لاعداد الفكرة و القائها كما يلى :

اذا اردت ان تصنع كلاما فاخطر معانيه ببالك . و نق له كرائم اللفظ فاجعلها على ذكر منك ليقرب تناولها و لا تتقدم الكلام تقدما و استعمل جزل الالفاظ ، و سهلها ، و فصيحها ، و سلسلها ، و تجنب كل ما يكسب الكلام تعمية .

و فى كتاب منهاج المتعلم (٣) ذكر لكثير من هـــذا الصفات و الارشادات مع نسبتها نسبة صريحة للمدرسين .

و بالاضافة الى هذه المراجع السابقة نجد كثيرا من المؤلفين المسلمين مثل الزرنوجى و ابن جماعة و الغزالى و العبدرى يهتمون اهتماما كبيراً باخلاق المدرسين و واجباتهم . و من هذه المصادر جميعا يمكن كتابة

---

(١) الغزالى: رسالة الادب فى الادب ص٤٣ من الجواهر الغوالى (٢) كتاب الارشاد و التعليم لبعض رجال الصوفيه ص: ٩٠ (٣) ٩.ب مخطوط مجهول المؤلف بحاب

نبذة موجزة عن اهم مايجب ان يتصف به المدرسون .

ينصح ابن المقفع (١) من نصب نفسه للناس اماما فى الدين ان يبدأ بتعليم نفسه وتقويمها فى السيرة و الرأى واللفظ ، فيكون تعليمه بسيرته ابلغ من تعليمه بلسانه . و معلم نفسه و مودبها احق بالاجلال و التفضيل من معلم الناس و مؤدبهما . قال الله تعالى : « اتامرون الناس بالبر و تنسون انفسكم » (٢) و قال الحسن . لا تكن ممن يجمع علم العلماء و طرائف الحكماء و يجرى فى القول مجرى السفهاء ، و ليذكر المعلم ان العلم يدرك بالبصائر ثم عليه الا يجاوز صوته مجلسه . و لا يقصر عن سماع الحاضرين .

و عليه الا يكون فى مجلسه مكان مميز لاحاد الناس بل كان من سبق لموضع فهو اولى به ، هذا مع استثناء ما تدعوا اليه الضرورة العلمية من جلوس العلماء و المعيدين فى امكنة خاصة (٣) .

و قد ذكر الغزالى فى رسالة « الادب فى الدين » آدابا خاصة لمعلم الصبيان اذ انهم لم يكونوا فى هذه السن استقلالهم . فهم ينظرون الى مدرسهم على انه نموذج صالح يقلدونه ؛ فعليه ان يدرن دلك فاعين التلاميذ اليه ناظرة و آذانهم اليه مصغية ؛ فما استحسن فهو عندهم الحسن . ما استقبح فهو عندهم القبيح (٤)

و اخيرا يجب على المدرس ان ينظر الى تلامبذه نظرة مساواة ، و انصاف و عدل ، و الا يميز بحال من الاحوال بين اولاد الاغنياء و اولاد الفقراء (٥) .

---

(١) الادب الصغير ص ١٤ من رسائل البلغاء الذى جمعه كرد على . (٢) سورة ٢ آية ٤١ .
(٣) العبدرى : المدخل ١ : ١٩٩ . (٤) الادب فى الدين ص : ٤٣ من الجواهر الغوالى .
(٥) العبدرى : المدخل ٢ : ١٥٨ .

الاستاذ عبد الحليم عباس

عكرمة صحابى جليل . له مواقف فى نصرة الاسلام بالغة الروعة ، ثم هو شهيد من شهدائه ، اراق دمه الزكى . فى نصرته ، على الوهاد و الجبال ، التى يحتلها اليوم ــ العدو ــ الجولان على اليرموك . فى الوقعة التى سميت باسمه .

و لكن ابوه عمرو بن هشام ، من يكن هذا ؟ ؟

هو سيد من سادات قريش . هو فى الذوابة من بنى مخزوم هو ابو الحكم و هو بعد « ابو جهل » عدو المسلمين و الاسلام ، و من ناصبهما العداء حتى موته ، و عفى التاريخ اسمه ، و بقى له لقبه . « ابو جهل » رمز الشر و الجهل . و كان بعض المسلمين يعيرون الولد

مالولد ، و يقولون هيه ، هذا عكرمة بن ابى جهل عدو الله و الاسلام .
فيشكوهم الولد الى الرسول فينهاهم عن ذلك . و ينتهون .

و عند فتح مكة سلما دون حرب . يابى عكرمة ، و فيه نخوة جاهلية ـ ان يلق سلاحه ، كما القته عتاة مكة .

انه فارس مقدام ، له جراءة و شجاعة نادرة ، فيقاتل المسلمين ، و معه نفر قليل ، انه يعرف أنه ـ المغلوب ـ و لكنه يلق عند جاهليته و جبلته العذر دقتاله اليائس هذا .

و يرى رفاقه بسلاحهم ، و يفرون . و يلق هو سلاحه ، ويترك مكة ، و فيها الاهل و العشيرة . و قد ظنها غربة الى رجعة ماله و مكة ، و ماله و الاهل و العشيرة ، و قد كان فيها و بين اهلها الرجل ذا الشان و ها هو . بعد فتحها و غلبة المسلمين عليها لا شان له انه ابن عدو الله و المسلمين ، ابن ابى جهل ، و ذلك عار سيلحق به حتى نهاية الدهور و تلحق به الزوجة الوفية ، و قد اخذت له الامان ، من الانسان الكامل الذى لم تعرف الانسانية فى حلمه و اناته .

و يعود عكرمة و قد اخذ الاسلام يخالط قلبه . و يعلن اسلامه بين يدى النبى الكريم . فيقول له هذا القول ، الذى اذهب ما فى نفسه من خوف . و افاء عليه سكينة و رضى . اهلا بالراكب المهاجر .

* * *

و طويت بهذه ـ الصفحة المظلمة من تاريخ هذا الصحابى ، و نشرت الصفحة المضيئة فى حياته انه مقبل على الاسلام ، بكل روحه

يتلو اجزاء القرآن . ليل نهـار ، و فى المسجد يمضى ساعات نهـاره و
اجزاء من ليله ، انه تارك لحياة اللهو و الترف التى عاشها ، و لـكن
ثراءه و هو واسع و عريض ، و ثروته و هى طائلة اين يضعها . و
كيف ينفقها لقد كان - كما يقول - انفق الكثير منها ، انا و ابى على
مناهضة الرسول و دعـــوته ، و الآن يجب ان انفقها فى سبيل نصرة
الاسلام و الرسول .

و يتوفى الرسول و هو راض ، و قد حـدثت ، ام سلمـة من
امهات المومنين ، ان الرسول قال لها قبل ان يسلم عكرمة ، و يحسن
اسلامه لقد رائت لابى جهل عذقا ، اى فرعا ، فى الجنة .

فلما اسلم الولد ، قيل هذا هو — عذق ابى جهل — الذى فى الجنة
ويا ما اطيب هذا العذق ، ويا ما اجمل خضرته و نضرته .

و امضى السنوات فى المسجد الجـامـع و لـكن نفس الفـارس
الاصيل تحن الى مكانها فى الحياة . و هو ساحة الحرب و القتال ، انه
يتحرق شوقا الى ذلك . و تلوح الفرصة فلا يدعهـا تضيع ، و تفلت
من بين يديه ، لقد توفى الرسول فارتد من الاسلام مـن فى قلوبهم
مرض . و بقايا من نزوة جاهلية . فيخرج مع من خرج من المسلمين
الى قتال مسيلمة و قبائل بنى حنيفة . و هناك يبلى البلاء الحسـن ، و
يكون المثال للشجاعة النادرة . ثم يسير الى اطراف الجزيرة الى عمان ،
يطلب الشهادة التى لم تكتب له بعد ، لقد كان المسلمون معه و هم يرون
اقدامه ، يقولون : ان قتاله و اقدامه على الموت غير عابئ به ، هو قتال

و اقدام من يطلب الموت و يشتهى الاجر و الشهادة .

هل آن لهذا الفارس بعد كل الذى صنع فى سبيل الله ان يستريح ؟ لا ! ، لن يستريح حتى يرزقه الله الشهادة .

ان ماضيه و ماضى ابيه ليلوح له بعض الاحيان ظلمة على نور ، و جهل مطلق على نور المعرفة و الهداية ، و انه ليالم من ذلك اشد الالم . لقد اشتد فى عداء الاسلام فليشتد فى نصره ، لقد انفق الكثير من ماله على ذلك ، فلينفق اليوم الكثير فى سبيل الاسلام و المسلمين .

و يلتم شمل العرب فى الجزيرة . و يصبحون امة و لا كالامم ، انهم الامة التى تدعو الى كل خير و مكرمة بعد ان كانوا قبائل متعادية يلعق الاخ دم اخيه .

و لكن هذا الخير الذى فى دينهم الذى جمعهم — يجب ان يكون للناس كافة . فعليهم واجب الدعوة له و ايصاله الى الناس ، كل الناس ايما كانوا ، و اينما حلوا ، و هكذا تخرج الدعـوة الخيرة و الدعاة الاحرار من نطاق الجزيرة الضيق . الى الدنيا الوسيعة .

و اذن فالى الشرق و الغرب . و الى كل ركن من اركان هذه الدنيا ان قدرو على ذلك و تسير الجيوش المسلمة .

و يسير — عكرمـة بن هشام المغيرة — تحت راية ابن عمه — خالد بن الوليد بن المغيرة — يسير لا كرجل من عرض المسلمين . كل ما معه سيفه ، و راحلته . ان قدر على ذلك و انما هو فى ركاب الامير و عـدته .

يراه ابو بكر و قد خرج الى ظاهر المدينة - يودع الجيش الراحل ، فى خيام رقعة ، و اوراس اعدها له ، و لجلة من اصحابه ، فيثنى عليه ، و يدعو له بكل خير . و يسير الجيش و فيه عكرمة .

و على ضفاف اليرموك يطلب من يبايعه على الموت . فتبايعه المئات ، يتقدمهم إبنه و يكون النصر فى المعركة . و تكون الشهادة للبطل و إبنـــه .

هذه لمحة من تاريخ بطل واحل ، و لكنه جيش فى بلائه و شجاعتـــه .

هكذا تصنع العقيدة ؟
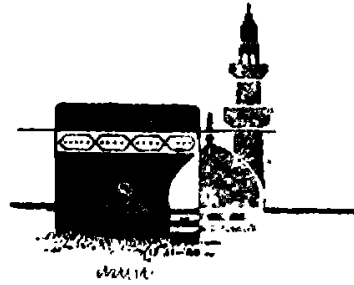
الدين و الحقائق الكونية

بقلم الاستاذ وحيد الدين خان
رئيس تحرير الجمعية الاسبوعية (الهند)

« ان الطبيعة حقيقة (من حقائق الكون) و ليست تفسيراً (له) » لان ما كشفتم ليس بيانا لاسباب وجود الدين ، فالدين يبين لنا الاسباب و الدوافع الحقيقية التى تدور « وراء الكون » و ما كشفتموه هو الهيكل الظاهر للكون . ان العلم الحديث تفصيل لما يحدث ، و ليس بتفسير لهذا الامر الواقع . فكل مضمون العلم هو اجابة عن السوال : « ما هذا ؟ » و ليس لديه اجابة عن السوال : « و لكن لماذا ؟ » . و ان التفسير الذى نحن بصدده هنا يتعلق بالامر الثانى .

لنفهم هذا من مثال بسيط . فالكتكوت يعيش ايامه الاولى داخل

قشرة البيضة القوية و يخرج منها بعد ما تنكسر مضغة لحم ، كان الانسان القديم يؤمن بان الله اخرجه . و لكنا شاهدنا اليوم بالمناظر انه فى اليوم الحادى و العشرين يظهر قرن صغير على منقار الكتكوت ؛ يستعمله فى تكثير البيضة لينطلق خارجا منها ، ثم يزول هذا القرن بعد بضعة ايام من خروجه من البيضة .

هذه المشاهدة ، كما يزعم المعارضون . ابطلت الفكرة القديمة القائلة : بان الاله يخرج الكتكوت من البيضة ؛ اذ قد رأينا يقينا ان قانونا لواحد و عشرين يوما يحدث هذه العملية . و الحقيقة ان المشاهدة الجديدة لا تدلنا الا على حلمات جديدة للحادث . و لا تكشف عن سببه الحقيق ، فقد تغير الوضع الآن فاصبح السوأل لا عن تكسر البيضة بل عن (القرن) ؟ . ان السبب الحقيق سوف يتجلى لا عيننا حين نبحث عن العلة التى جاءت بهذا القرن ؛ العلة التى كانت على معرفة كاملة بان الكتكوت سوف يحتاج الى هذا القرن ليحرج من البيضة ، فنحن لا نستطيع ان نعتبر الوضع الاخير (و هو مشاهدتنا بالمظار) الا انه « مشاهدة للواقع على نطاق اوسع » ، و لكنه ليس تفسير له .

يقول البروفسور (سيسيل بايس هامان) ، و هو استاذ امريكى فى البيولوجيا :

كانت العملية المدهشة فى صيرورة الغذاء جزءا من البدن تنسب من قبل الى الاله فاصبحت اليوم بالمشاهدة الجديدة تفاعلا كيماويا ، هل ابطل هذا وجود الاله ؟ فما القوة التى اخضعت العناصر

الكيماوية لتصبح تفاعــلا مفيدا ؟ . . . ان الغذاء بعد دخوله فى الجسم الانسانى يمر بمراحل كثيرة خلال نظام ذاتى . و من المستحيل ان يتحقق وجود هذا النظام المدهش باتفاق محض . فقد صار حتما علينا بعد هذه المشاهدات ان نؤمن بان الله يعمل بقوانينه العظمى التى خلق بها الحيـاة !

كان الانسان القديم يعرف ان السماء تمطر ، لكننا نعرف اليـوم كل شئ عن عملية تبخر الماء فى البحر ، حتى نزول قطرات الماء عـلى الارض ، و كل هذه المشاهدات صـور للوقائع ، و ليست فى ذاتها تفسيرا لها ، فالعلم لايكشف لنا كيف صارت هـذه الوقائع قوانين ؟ و كيف قامت بين الارض و السماء على هذه الصورة المفيدة المدهشة . حتى ان العلماء يستنبطون منهـا قوانين علمية ؟ و الحقيقة ان ادعاء الانسان بعد كشفه لنظام الطبيعة انه قد كشف تفسير الكون ـــ ليس سواء خدعة لنفسه فانه قد وضع بهذا الادعاء حلقه من وسط السلسة مكان الحلقة الاخيرة .

ويضيف العالم الامريكى سيسيل قائلا :

"Nature does not explain, she is henself in need of explanation.,"

ان الطبيعة لا تفسر شيأ (من الكون) و انما هى نفسها بحاجة الى تفسير ».

فلو انك سألت طبيبا ما السبب وراء احمرار الدم ؟

لاجاب : لان فى الدم خلايا حمراء ، حجم كل خلية منها ١/٧٠٠ من البوصة !

ـــ حسنا . و لكن لماذا تكون هذه الخلايا حمراء ؟

ـــ فى هذه الخلايا مادة تسمى (الهميوجلوبين) و هى مادة تحدث لها

الحمرة حين تختلط بالاكسجين فى القلب .

ـــ هـــذا جميل . و لكن من اين تاتى هـــذه الخـــلايا التى تحمل الهميوجلوبين ؟

ـــانها تصنع فى كبدك

ـــ عجيب ! و لكن كيف ترتبط هـــذه الاشياء الكثيرة من الدم و الخلايا و الكبد و غيرها . بعضها ببعض ، ارتباطا كليا ، و تسير نحو اداء واجبها المطلوب بهذه الدقة الفائقة ؟

ـــ هذا ما نسميه بقانون الطبيعة

ـــ و لكن ما المراد بقانون الطبيعة هذا . ياسيدى الطبيب ؟

ـــ المراد بهذا القانون هـــو الحركات الداخلية العمياء للقوى الطبيعية و الكيماوية .

ـــ و لكن لماذا تهدف هذه القوى دائما الى نتيجة معلومة ؟ و كيف تنظم نشاطها ، حتى تطير الطيور فى الهواء ، و يعيش السمك فى الماء ، و يوجد انسان فى الدنيا ، بجيع ما لديه بجمع الامكانات و الكفاءات العجيبة المثيرة .

ـــ لا تسالنى عن هذا . فان علمى لا يتكلم الا عن : (ما يحدث) و ليس له ان يجيب (لماذا يحدث ؟) .

يتضح من هذه الاسئلة مدى صلاحية العلم الحديث لشرح العلل و الاسباب وراء هذا الكون . و لا شك انه قد ابان لنا عن كثير من الاشياء التى لم نكن على معرفة بها ، و لكن الدين جواب لسوال اخر ،

لا يتعلق بهذه الكشوف الحديثة العلمية ، فلو ان هذه الكشوف زادت مليون ضعف عما اليوم فسوف تبق الانسانية بحاجة الدين ؛ ان جميع هذه الكشوف « حلقات ثمينة من السلسلة » . و لكن ما يحل محل الدين لا بد ان يشرح الكون شرحا وافيا . فما الكون على حاله هذه الا كمثل ماكينة تدور تحت غطائها ، لا نعلم عنها الا انها (تدور) ، و لكننا لو فتحنا غطاءها فسوف نشاهد كيف ترتبط هذه الماكينة بدوائر و تروس كثيرة ، يدور بعضها ببعض ، و نشاهد حركاتها كلها .

هل معنى هذا انا قد علمنا خالق هذه الماكينة بمجرد مشاهدتنا لما يدور داخلها ؟ هل يفهم منطقيا ان مشاهدتنا هذه اثبتت ان الماكينة جاءت من تلقاء ذاتها ، و تقوم بدورها ذاتيا ؟ لو لم يكن هذا الاستدلال منطقيا فكيف اذن نثبت بعد مشاهدتنا بعض عمليات الكون — انه جاء تلقائيا ، و يتحرك ذاتيا ؟ . . . .

لقد استغل البروفيسور هريز (A. Haris) هـذا الاستدلال حين نقد فكرة داروين عن النشوء و الارتقاء فقال :

« ان الاستدلال بقانون الانتخاب الطبيعي يفسر عملية (بقا الاصلح) و لكنه لا يستطيع ان يفسر حدوث هذا الاصلح » .

* * *

ثانيا : الاشعور و دليل علم النفس :

لنعالج الآن الدليل الذى يقدمه علم النفس و القائل بان الاله و الآخرة قياس للشخصية الانسانية و إمانيها على مستوى الكون .

لست بمستطيع ان ادرك نقطة الاستدلال فى هذا الدليل ، و لو انى دعيت — بدورى — ان الشخصية الانسانية و امانيها مــوجودة فعلا عــلى مستوى الكون فلست ادرى ما عسى ان يبطل ادعائى هذا من منطق المعارضين ؟ !

* * *

نحن نعرف ان مادة الجنين التى لا تشاهـد الا بالمنظار تنبئ فى ذاتها من انسان طوله ٧٢ بوصة ، و ان (الذرة) التى لا تقبل المشاهدة تحتوى نظاما رياضيا كونيا يدور عليه النظام الشمسى ، فلا عجب اذن ان يكون النظام الذى نشاهده على مستوى الانسان فى الجنين ، و على مستوى النظام الشمسى فى الذرة ، موجودا ايضا ، و بصورة اكمل . على مستوى الكون ان ضمير الانسان و فطرته ينشدان عالما متطورا كاملا ، فلو كان هذا الامل صدى لعالم حقيق فلست ارى فى ذلك اى ضرب من ضروب الاستحالة .

* * *

١ - لا شك فى قول العلماء : ان الذهن الانسانى يحتفظ بافكار قد تظهر فيما بعد فى صورة غير عادية . و لكن سوف يكون قياسا مع الفارق ان نعتمد على هذه الفكرة كى نبطل الدين . فهو قياس فى غير محــله ، و هو يعتبر استدلالا غير عادى من واقع عادى . فهو اشبه بمن يشاهد مثالا يصنع صنما فيصرخ : هـذا هـو الذى قام بعمليـة خلق الانسان .

و من معائب الفكر الحـــديث انه يستنبط من حادث عادى دليلا غير عادى ؛ فهذا الدليل لا وزن له من الناحية المنطقية و لو افترضنا ان رجلا يسير فى شارع اخذ يهذى بكلام غريب نتيجة لافكار مختزنة فى ذهنه ، فهل يمكن ان نستغل هذا الحادث فى البحث فى كلام الانبياء ، و هو الكلام الذى يكشف سر هذا الكون . . ؟ ؟ . . . . سوف يكون هذا الاستدلال غير علمى ، و غير منطقى . و لسوف يدل عـــلى ان صاحبه يفتقر الى القيم حتى يستطيع التفرقة بين كلام رجل الشارع و كلام الانبياء ، فلا يدعى ان هـذا الهذيان هـو المسئول عما جاء به الدين .

فالقيم تتغير ذاتيا بتغير الاوضاع . و من الخطاء الظن بانها لاتوجد الا عند اصحاب الفكر الحديث .

و لنتخيل ان رهطا من سكان بعض النجوم هبط الارض ، و هم يسمعون و لكنهم لا يقدرون على الكلام ، و لنتصور انهم يذهبون فيبحثون عن الاسباب المؤديه الى تكلم الانسان ، و بينما هم فى طريقهم الى هذا البحث هبت الرياح ، و احتك غصنان . احدهما مع الآخر ، فنتج صوت . و تكررت العملية غير مرة حتى توقفت الرياح ، و اذا بهم يعلن كبيرهم : لقد عرفنا سر كلام الانسان ، و هو ان فمه يحتوى على فكين من الاسنان ، فاذا احتك الفك الاعلى بالاسفل صوت ! و لا شك انه اذا احتك شئ بالآخر يحدث صوتا ، و لكن هذا الواقع لا يكشف عن سر الكلام الانسانى . كما لا يصح تفسير اسرار النبوة

بكلام غريب — كهذيان رجل الشارع ، فى حال الجنون و الهستريا .
ب — و اللاشعور الانسانى — من الوجهة العلمية — فراغ فى
اصله ، لا شئ فيه قبل مولد الانسان . و انما يستقر فيه عن طريق
الشعور ما يشغله الآن . الآن (الاشعور) ليس سوى مخزن للمعلومات
و المشاهـدات التى شاهـدها الانسان فى حياته و لو مرة و من
المستحيل ان يختزن حقائق لم يعلمها من قبل . و الذى يثير الدهشة ان
الدين الذى جاء على لسان الانبياء يشتمل على حقائق ابدية لم تخطر على
بال احد من الناس فى اى زمان . فلو كان الاشعور هو مخزن هـذه
المعلومات ، فمن اين ياتى بها هولاء الذين يتكلمون عن اشياء لا طريق
لهم الى العلم و المشاهدة بها ؟

ان الدين الذى جاء به الانبياء يتصل من ناحية او اخرى بجميع
العلوم المعاصرة — الطبيعة و الفلك ، و علم الحياة ، و على الانسان
و علم النفس ، و التاريخ و الحضارة و السياسة و الاجتماع و غيرها
من العلوم . و كل حديث فى التاريخ الانسانى مصدره (الشعور) ،
فضلا عن اللاشعور ، لا يخلو عن الاغلاط و لا اكاذيب و الادلة الباطلة .

اما الكلام النبوى فانه برئ و لا شك من كل هـذه العيوب ،
رغم اتصاله بجميع العلوم ، و لقد مرت قرون اثر قرون . ابطل فيها
الآخرون ما ادعاه الاولون ، و ما زال صدق كلام النبوة باقيا على
الزمان ، و لم يستطـع احد ان يدل عـلى باطل جاء به ، و كل
من حاول ذلك اخفق .

و اليكم مثالا من قبيل ذلك اعتمد عليه فلكى كبير ، حتى ادعى انه كشف غلطة علمية فى القرآن الكريم .

يقول جيمز هنرى بريستد :

« لقد راج التقويم القمرى فى الدنيا لكثرة تداوله فى غرب آسيا و لغلبة الاسلام سياسيا بوجـــه خاص . و لقد مضى محمد (ﷺ) بالاختلاف بين التقويم القمرى و الشمسى الى اقصى حد من العبث يمكن تصوره ، حتى انه ابطل اضافة الشهور الكبيسة .

ان السنة القمرية المزعومة تشتمل على ٣٥٤ يوما ، و تقل احد عشر يوما عن السنة الشمسية . و هكذا تزيد السنة القمرية سنة واحدة كل ٣٣ سنة ، و ثلاث سنين فى كل قرن . فلو حل رمضان فى يونيو فى هذه السنة فسوف يحل بعد ست سنين فى ابريل » .

« و لقد مضى ١٣١٣ عاما منذ الهجرة ، حيث ان قرننا (الميلادى) هو بمثابة مائة سنة و ثلاث ســـنين فى تقويم المسلمين ، و قد سجل تقويمهم واحدا و اربعين عاما زائدا فى هذه المدة من قرننا ، و قد الغت كنيسة اليهود الشرقية هذه السخافة و اختارت طريقة اضافة الشهور لجعل تقويمها مثل التقويم الشمسى ، و هذا هو السبب فى ان غرب آسيا يعانى حتى الآن لعنة هذه الطريقة القديمة — التقويم القمرى » .

لسنا هنا بصدد مناقشة الفرق بين التقويم القمرى و الشمسى و لكن لا بد من توضيح ان ما نسبه المؤلف الى رسول الاسلام هو فى الحقيقة غفلة شديدة ترجع الى المؤلف نفسه . و لم يمنع القرآن الكريم

ضافة الشهور الكبيسة ، و انما حرم النسئ (التوبة : ٣٨) ، و معناه في اللغة (التاخير). و منه (نسأ الدابة) عن الحوض لكى تشرب الاخرى و معناه فى الاصطلاح (تاخير شهر و تقديم شهر اخر عليه) .

لقد كان من بين عادات الكريمة التى دعا اليها ابراهيم عليه السلام العرب تحريم اربعة اشهر لا قتال فيها و لاجدال . و هى : ذو القعدة ، و ذو الحجة ، و المحرم ، و رجب ، و كان العرب يسافرون فى هذه الاشهر بكل حرية ، لكى يودوا فريضة الحج و العمرة ، و حين دب الفساد فى بعض القبائل ، اخترعوا بدعة (النسئ) ، و هى ان يضعوا شهرا غير حرام محل الشهر الحرام ، كان يجعلوا صفر فى مكان المحرم و ذلك لكى يحاربوا قبيلة يلزم قتالها فى الشهر الحرام و هذه هى البدعة المقيتة الى وصفها القرآن الكريم بانها : (زيادة فى الكفر) .

و قال العلماء : ان الشهور الكبيسة كانت رائجة فى العرب ، و كانوا يضيفون عدد الشهور فى السنة للتقويم .

و قال مفسر للقرآن الكريم فى هذا الموضوع و هو مولانا شبير احمد العثمانى فى تفسيره :

(ان بعض القبائل تضيف الشهور الكبيسة كل ثلاثة اعوام . ليستقيم التقويم القمرى . و لا يدخل هذا العمل فى النسئ) .

ان ما قاله عليه السلام فى عهد الظلام لم يكن من الجهالة . و لا يدخل قطعا فى نطاق ما اورده (جيمز هنرى بريستد) طعنا عليه

و لو كان كلامه ﷺ صادرا عن الشعور او اللاشعور لوقعت فيه اخطاء ، ما من ذلك بد .

ثالثا — الاستدلال بالتاريخ و الاجتماع

ان الذين يستدلون بالتاريخ او الاجتماع خطأهم الاساسى انهم لا يدرسون الدين من وجه صحيح ، و لهذا يبدوا لهم الدين شيا غريبا .
و مثال ذلك ان ترى شيئا مربعا من زاوية منحرفة فيتراءى لك مثلثا .
ان الخطأ الذى يقعون فيه هو انهم يتناولون الدين على انه « مشكلة موضوعية » ، فهم يجمعون فى سلة واحدة كل ما اطلق عليه اسم (الدين) ، من رطب و يابس . فى اى مرحلة من التاريخ ، ثم يتاملون فى ضوء هذا المحصول حقيقة الدين !!

ان موقفهم ينحرف من اولى مراحلة ، فيبد لهم الدين — جراء هذا الموقف الفاسد — عملا اجتماعيا ، لا كشفا لحقيقة .

و من المعلوم ان لكل ما يكشف عن حقيقة من الحقائق مثلا اعلى . و لا بد عند البحث عن هذه الحقائق ان ندرس مظاهرها و تاريخها فى ضوء مثله الاعلى .

اما الامور التى تاتى بها اعمال اجتماعية فليس لها مثل اعلى ، و بقاءها رهن بحاجة المجتمع اليها .
و الدين يختلف عن ذلك كل الاختلاف ، فليس من الممكن بحثه

عن حقائقه ، كما يبحث عن تطورات فنون العمارة و النسيج و الحياكة و السيارة ، لان الدين علم على حقيقة يقبلها المجتمع او يرفضها . او يقبلها فى شكل ناقص . و يبقى الدين فى جميع هـــذه الاحوال حقيقة واحدة فى ذاتها ، و انمـا يختلف فى اشكاله المقبولة ، و لهذا لا يمكن ان نفهم حقيقة (الدين) بمجرد فهرسة مماثلة لجميع الاشكال الموجودة فى الدين باسم الدين .

و لناخذ على سبيل المثال ـ لفظ (الجمهورية) ، فهى قيمة سياسية لنظام خاص بالحكم و فى ضوء هذه القيمة نستطيع ان نحكم عـلى بلاد بانها جمهورية ، او بانها ليست كذلك .

لكنا لو ذهبنا نبحث عن معانى (الجمهورية) فى النماذج السياسية التى توجد عبر القارات ، و يلتصق بها لفظ الجمهورية ثم زعمنا ان كل هذه البلاد قائمـــة عـلى (اسس جمهورية) ، فسوف تصبح كلمـــة الجمهورية بلا معنى .

فى هذه الحالة ستختلف جمهورية الصين عن (جمهورية) الولايات المتحدة الامريكية ، و ستعارض (جمهورية) انجلترا (الجمهورية) العربية المتحدة ، كما ان جمهورية باكستان ستصطدم (بالجمهورية) التى تلتزم بها الهند فاذا تاملنا كل هـــذه المشاهدات فى ضوء (فلسفة التطور) فان هـــذه الكلمة سوف تفقد معنـاها حتما ؛ لان فرنسا التى انجبت النظام الجمهورى سوف تبرهن على ان (الجمهورية) بعد (نشوئها و ارتقائها) تتمثل فى ديكتاتورية ديجول العسكرية .

و هذا النهج فى التناول يودى الى نتيجة غريبة ، هى انه لا حاجة الى (الاله) فى الاديان !! اذ يوجد مثال لهذا فى الاديان و هو مثال البوذية التى تخلو تماما من فكرة (الاله) ، و من ثم آمنت جماعة من الناس بضرورة البحث عن دين مجرد من الاله . و لو اننا سلمنا بالفكرة القائلة بان شيئا مثل الدين لا بد منه للانسان . لحاجته الى الوعى الخلقى و التنظيم الاجتماعى ، فلا داعى اذن للاله ان يوجد ، و ربما قيل « ان الدين الذى يصح لهذا العصر يلزم ان يكون مثل البوذية . فان اله العصر الحاضر هو (مجتمعه و احداثه السياسية) ، و رسول هذا الاله هو « البرلمان » الذى يوجه الشعب الى ما يرضيه ، و معابد هذا الاله العصرى ليست المساجد او الكنائس القديمة ، و انما هى المصانع الكبيرة و السدود العظيمة »

ان لهولاء الباحثين الاجتماعيين المزعومين قدرة كبيرة على خلق هذه الافكار الجديدة ، التى تنتقل من (دين الاله) الى فكرة (الدين بغير الاله) و ذلك ناشئ عن الطريق المعوجة التى سلكها بحثهم ، و هم يغمضون عينهم عن جميع النواحى العلمية الاخرى التى تلقى ظلالا من الشكوك ول جداولهم الارتقائية .

و مثاله ان علماء الاجتماع و الانسان قد توصلوا بعــد ابحاثهم بة الدقيقة الى ان (نظرية الاله) شكل ارتقائى لفكرة تعدد الالهة ان هــذا الارتقاء ضل طريقه و اتجه الى طريق غريبة ، و حير كا شوس امره على نفسه ، بارتقائه الباطل من فكرة تعدد الالهة

الى فكرة الاله الواحد .

ان فكرة تعدد الالهة كانت تحمل قيما اجتماعية مؤداها ان يعيش مؤمنو الالهـــة المختلفة فى سلام باعتراف متبادل ما بينهم ، » و لكن فكرة الاله الواحد ابطلت حتما هذا الامكان بخلقها نظرية الدين الاعلى (Higher Religion) و نتيجتها ان بدأت حروب ضارية لا نهاية لها بين شعوب الدنيا و هكذا سعت فكرة الاله الواحد الى حتفها بظلفها ، بارتقائهـا فى اتجاه مناقض وهذا هو قانون النشوء . الارتقاء » .

و لكننا - فعلا - قد تركنا الواقع الحقيقى فى هـــذا الجدول ، فالتاريخ المعلوم يثبت ان اول رسول معلوم كان سيدنا نوح عليه السلام ، و كان يدعو الى الله الواحد . كما ان تعدد الالهة Polytheism ليس فى درجة واحدة ، وانما معناه : ان يشرك الانسان مع الاله الاكبر آلهة آخرين ، يقربونه اليه ، و يشفعون له .

و فى وجود هذه الحقائق تتحول نظرية النشوء و الارتقاء الى ادعاء لا دليل عليه .

و فكرة (ماركس) هى اكثر نظريات هذه المجموعة عبثا ، فهى تقول : ان الاحوال الاجتماعية هى التى تقوم ببناء الانسانية و تكميلها . و من ثم كان العصر الذى وحد فيه الدين عصر الاقطاع و الرأسمالية ، و هو عصر الانتهاز اللصوص . كما ان الافكار الدينية و الاخلاقية التى تولد فى هـــذا العصر تحمل نفس الطابع الانتهازى الاستعمارى . .

و الحق ان هـــذه الفكرة ليست لها قيمة من الناحية العلمية ، كما انه

عند التحليل العلمي و التجربة العلمية لا طريق الى تصديقها .

فالفكرة الماركسية تنفي بشدة ارادة الانسان ، و هي تحيل الاحداث الى تاثير عوامل الزمن الاقتصادية ، و معنى ذلك ان الانسان لا شخصية له فهو يصاغ في مجتمعه . كما يصاغ الصابون في المصنع و لا طريق امامه كي يشق افكارا و طرقا جديدة ، و انما هو ينطلق مفكرا على النهج الذي سمحت له به حياته الاقتصادية . فاذا كانت هـذه القضية صحيحة . فكيف تمكن كارل ماركس — وليد النظام الراسمالي — من ان يفكر ضد العوامل الاقتصادية الرائجة في عصره ؛ هل صعد القمر لكي يبحث في احوال الارض ؟

و بعبارة اخرى : لو صح ان الدين وليد عصر مخصوص فكيف لم تكن المـاركسية وليدة النظام الاقتصادي لعصرها ؟؟ . . . و اذا لم نسغ هذا الوضع فيما يتعلق بالماركسية فكيف نسيغه بالنسبة الى الدين ؟ . .
الحق ان هذه الفكرة عبث مثير لا يحمل على ظهره اي دليل علمي او عقـلي .

هذا و قد اتضحت اخطاء هذه الفكرة بالتجارب العلمية . و حسبنا روسيا . هنالك حيث سادت الماركسية نصف قرن من الزمان ، إدعت روسيا خلاله أن أحوال البلاد المـادية قد تغيرت تمـاما ، و أن النظام الزراعي ، و المبادلة ، و تقسيم الاموال ، قد جرت على أسس غير استغلالية ، و لكنا وجدنا حين مات ستالين أن قاده الروس أنفسهم قد أقروا بأن الظلم و الفساد كانا رائجين في عهده ، و أنه كان يستغل

الشعب كما ايستغله لحكام فى البلاد الاستعمارية ، و لو وضعنا فى إعتبا
واقع الرقابة الشديدة على الصحف و وسائل الاعلام و هى التى تم
بها ستالين من أن يذيع على العالم أن عهده عهد العدل و الانصاف
فلا ريب أن هذه الرقابة موجودة هناك اليوم أيضا .

و من هنا نستيع ان نفهم ان الامور تجرى وراء ستائر الد
الجميلة على ماكانت عليه فى عهـــد ستالين . و اذا كان الموتمر العشر
(١٩٥٦) الحزب الشيوعى الروسى قد افشى مظالم ستالين ، فلا
ان يجئ الموتمر الاربعون للحزب الشيوعى بافشاء اسرار
روسيا اليوم .

ان هـــذا النظام الذى استغرقت تجربته نصف قرن من ا
ليدلنا على ان الانسان لا يتغير بتغير نظام الزراعة و المبادلة المز
و لو كان العقل الانسانى تابعا للنظام الاقتصادى فلماذا نجد الظلم و
و الاستغلال فى نظام روسيا الشيوعى ؟

* * *

ادب الزيارة و الضيافة فى الاسلام

الاستاذ ابو الوفا مصطفى الرفاعى

الاسلام دين الاخوة ، ينهى عن التقاطع و التدابر ، و يدعوا الى التواصل و التراحم باى وسيلة من الوسائل : بالمال ، و بالكلمة الطيبة و بالمعروف و بالمعروف ، و بالنصيحة ، و يجعل التواصل بهذه الوسائل و اشباهها فى منزلة التصدق بالمال .

و من وسائل التواصل : الزيارة ، فقد ندب الاسلام المسلمين ان يتزاوروا تحقيقا لمعنى الاخوة و دعما لروح المحبة الا انه جعل للزيارة آدابا تدور كلها حول رعاية ظروف المزور ، فمن آدابها تخير الوقت المناسب لها و عدم مضايقته بالاطالة فيها و الاكثار منها و عدم التفحص فى بيت المزور و التفتيش عما فيه مما لا يحب ان يطلــع عليه غيره

و يعرف عنه ، كما ان من آدابها ان تكون مسبوقة بالاستئذان كما بيناه و اعل هذه الآداب هي خلاصة ما وصلت اليه ارقى المجتمعات الحديثة في رسوم الزيارة .

و من طريف ما جاء في شان الزيارة ما ذكره المفسرون من ان الله تعالى انزل في الثقلاء من الزائرين آيه خاصة من سورة الاحزاب سنذكرها بعد ، فقد زار جماعة النبي ﷺ قبل ان يعد الطعام و انتظروا حتى اعد ثم اكلوا و لم ينصرفوا بعد الاكل و اطالوا الجلوس حتى ضاق بهم النبي ﷺ و ضاق بهم أهله ونزلت الآية .

و لا يحل لمسلم ان يقاطع اخاه فوق ثلثة ايام الا ان يكون ممن يجب مقاطعته لسوء سلوكه او سوء عقيدته فهـؤلاء تجب مقاطعتهم زجرا لهـم و اتقـاء لشرهم — و شر النـاس من يتركه النـاس اتقـاء شره .

الايات و الاحاديث

قال الله تعالى :

« يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا و تسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون » .

« عن انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : « لا تباغضوا و لا تحاسدوا و لا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا ولا

يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلثة ايام » .

و عن ابى هريرة رضى الله عنه « زر غبا تز ددحبا » رواه الطبرانى و البيهقى .

و عن ابى ايوب الانصارى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاثة ايام يلتقيان فيصد هذا و يصد هذا و خيرهما الذى يبدأ بالسلام » رواه البخارى .

و من حديث اخرجه البخارى تبسمك فى وجه اخيك صدقة . . امرك بالمعروف و نهيك عن المنكر صدقة ، و ارشادك الرجل من ارض الضلال لك صدقة . و اماطتك الاذى و الشوك و العظم عن الطريق لك صدقة . و افراغك من دلوك فى دلو اخيك لك صدقة ، و بصرك للرجل الردئ النظر لك صدقة . رواه البخارى .

و عن ابن عمر ان النبى ﷺ قال : « اذا اتاكم الزائر فاكرموه » اخرجه ابن ماجة . . .

الضيافة ضرورة انسانية و ظاهرة اجتماعية يتعرض لها الانسان بحكم انسانيته و بحكم علاقته بجماعته . بالنسب ، او بالمعاملة او بالمشاركة ، و لا مناص لها منها احيانا كما اذا نزل بلدة لا ماوى فيها و لا طعام ، فحينئذ تكون واجبة على المسلم كما نص على ذلك بعض العلماء .

و اشتهر العرب بين الشعوب بكرم الضيافة حتى كان احب شئ الى العربى ان يقال : انه مضياف و أخبارهم فى ذلك مشهورة و طالما تغنى شعراءهم بكرم الضيافة حتى شغل مديحهم بها فصولا من

الادب العربی

و قد اقر الاسلام هذا السلوك الكريم و رسم للضيافة آدابا من حيث وقتها و سلوك كل من الضيف و المضيف نحو الاخر حتی لا يقع احدهما فی الحرج و حتی لا تثقل الضيافة علی المضيف و يستوحش الضيف .

و اهم رسوم الضيافة الضيفة وقتها و ان تكون فی وقت مناسب و ان يستقبل المضيف ضيفة ببشاشة و طلاقة و ترحاب و ان يطعمه مما يمكنه فی غير جهد و لا مشقة و ان يتفقد حاجاته و ينشط فی خدمته و يقوم له بمظاهر التكريم كما يجب علی الضيف ان يتجنب الاثقال علی مضيفه بكثرة الرغبات و المطالب و يتقی مواقف الريب فی ضيافته و لا يعيب ما يقدم له من الطعام فان شاء اكله و ان شاء انصرف عنه .

و لقد كان اروع مثل فی كرم الضيافة ما صنعه الانصار باخوانهم المهاجرين حين قدموا اليهم من مكة فارين من اضطهاد قريش لهم علی ايمانهم بمحمد ﷺ ، فقد آثروهم علی انفسهم و وضعوا ديارهم و اموالهم و ما يملكونه تحت تصرفهم و اعلن بعضهم استعداده للتنازل عن بعض نسائه يطلقها ليتزوجها المهاجرون ، و قد خلدها الله ذلك المثل فی القرآن الكريم حيث قال : و الذين تبوؤا الدار و الايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم و لا يجدون فی صدورهم حاجة مما اوتو و يوثرون علی انفسهم و لو كان بهم خصاصة ، :

و من طريف ما روى عن الامام مالك فى الضيافة انه قال « ليس على اهل الحضر ضيافة » .

و عن تلميذه سحنون انه قال :

« انما الضيافة على اهل القرى و اما الحضر فالفندق ينزل فيه المسافرون » .

و لكن الاحاديث فى الضيافة عامة تتناول البدو و الحضر على ما سياتى :

الآيات و الاحاديث

قال الله تعالى :

« هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال الا تاكلون » .

و عن ابى جريح ان النبى ﷺ قال : « من كان يومن بالله و باليوم الاخر فليكرم ضيفه ، جائزته يومه و ليلته ، و الضيافة ثلاثة ايام فما بعد فهو صدقة و لا يحل له ان يثوى عنده حتى يحرجه » . اخرجه البخارى و فى رواية لمسلم : حتى يوثمه .

و عن سلمان الفارسى رضى الله عنه ان النبى ﷺ قال : « لا يتكلف احد لضيفه ما لا يقدر عليه » . . اخرجه البيهقى و اخرجه الحاكم و

العسكرى بنحو هذا اللفظ .

و عن ابن مسعود رضى الله عنه : ان النبى ﷺ قال اذا دعى احدكم الى طعام فليجب فان كان مفطرا فليأكل و ان كان صائما فاليدع بالبركة . . . احرجه مسلم و غيره .

و عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى ﷺ قال ان من السنة ان يخرج الرجل مع ضيفه الى باب الدار . احرجه ابن ماجة .

و كان ابو هريرة اذا استثقل رجلا قال « اللهم اغفر لنا و له و ارحمنا منه » و قال على بن الحسين رضى الله عنه : من تمام المروءة ، خدمة الرجل ضيفه كما خدمهم ابونا ابراهيم الخليل عليه السلام . ؟

من الحجاب الى السفور

للمنفلوطي

* * *

ذهب شاب الى اوربا و ما ننكر من امره شيئا ، ولبث فيها بضع سنين ، ثم عاد و ما بقي مما كنا نعرفه منه شيء ·

ذهب بوجه كوجه العذراء ليلة عرسها ، و عاد بوجه كوجه الصخرة الملساء تحت الليلة الماطرة ؛ و ذهب بقلب نقي طاهر يانس بالعفو ، و عاد بقلب لا يفارقه السخط على الارض و ساكنها ، و النقمة عــلى السماء و خالقها ؛ و ذهب بنفس غضة خاشعة ترى كل نفس فوقها ، و عاد بنفس ذهابة نزاعة لا ترى شيئا فوقها ، و لا تلقي نظرة واحدة على ما تحتها ؛ و ذهب برأس مملوءة حكمة و رايا ، و عاد براس كراس التمثال المثقب لا يملؤها الا الهواء المتردد ؛ و ذهب و ما عــلى وجه

لارض احب اليه من دينه و وطنه ، و عاد و ما على وجهها اصغر فى عينيه منهما .

و كنت ارى ان هـــذه الصورة الغربية التى يتراءى فيها هؤلاء الضعفاء من الفتيان العائدين من تلك الديار الى اوطانهم انما هى اصباغ مغفرة على اجسامهم افراغا لا تلبث ان تطلع عليها شمس المشرق حتى تنصل و تتطاير ذراتها فى اجواء السماء ، و ان مكان المدنية الغربية من نفوسهم مكان الوجه من المرآة ؛ اذا انحرف عنها زال خياله منها ، فلم اشأ ان افارق ذلك الصديق و لسته على علاته وفاء بعهده السابق و رجاء لغده المنتظر محتملا فى سبيل ذلك من حمقه و وسواسه و فساد تصوراته و غرابة اطواره ، ما لا طاقة لمثلى باحتمال مثله . حتى جاءنى ذات ليلة بداهية الدواهي و مصيبة المصائب ، فكانت آخر عهدى به .

دخلت عليه فرايته واجما مكتئبا ، فحييته فاومى الى بالتحية ايماء فسألته ما باله ؟ فقال : ما زلت منذ الليلة من هـــذه المرأة فى عناء لا اعرف السبيل الى الخلاص منه ، و لا ادرى مصير امرى فيه ، قلت و اى امرأة تريد ؟ فقال : تلك التى يسميها الناس زوجتى ، و اسميها الصخرة العاتية فى طريق مطالبى و آمالى . قلت : انك كثير الآمال يا سيدى فعن اى آمالك تحدث ؟ قال : ليس لى فى الحياة الا امل واحد و هو ان اغمض عينى ثم افتحها فلا ارقعا على وجه امرأة فى هـــذا البلد قلت ذلك ما لا تملكه و لا ارى لك فيه ، قال ان كثيرا من الناس فى الحجاب رأيى و يتمنون فى أمره ما اتمنى ، و لا يحول

بينهم و بين نزعه عن وجوه نسائهم و ابرازهن الى الرجال يجالسهم
يجلس بعضهن الى بعض — الا العجز و الضعف و الهيبة التى لا ت
تلم بنفس الشرقى كلما حاول الاقدام على امر جديد ورائت ان اكو
اول هادم لهذا البناء العادى القديم الذى وقف سدا دون سعادة الامة
ارتقاءها دهرا طويلا ، و ان يتم على يدى ما لم يتم على يد احد غير
من دعاة الحرية و اشياعها ، فعرضت الامر على زوجتى فاكبرته و اعظمه
و خيل اليها انى جئتها باحدى النكبات العظام و الرزايا الجسام ، و زعمت
انها ان برزت الى الرجال فانها لا تستطيع ان تبرز الى النساء بعد ذلك
حياء منهن و خجلا . و لاخجل هناك و لا حياء و لكنه الموت و الجمود
و الذل و الذى ضربه الله على هولاء النساء فى هذا البلد ان يعيش فى
قبور مظلمة من خدورهن و خمرهن حتى ياتيهن الموت فينتقلن من مقبرة
الدنيا الى مقبرة الآخرة فلابد لى ان ابلغ امنيتى ، و ان اعالج هذا الراس
القاسى المتحجر علاجا ينتهى باحدى الحسنيين اما بكسره او بشفائه .

فورد على من حديثه ما ملا نفسى هما و حزنا و نظرت اليه نظرة
الراحم الرائى و قلت : اعالم انت ياصديقى ما تقول ؟ قال : نعم اقول
الحقيقة التى اعتقدها و ادين نفسى بها واقعة من نفسك و نفوس الناس
جميعا ، حيث وقعت .

قلت : هل تاذن لى ان اقول لك انك عشت فترة طويلة فى ديار
قوم لاحجاب بين رجالهم و نسائهم ، فهل تذكر ان نفسك حدثتك يوما
من الايام و انت فيهم بالطمع فى كل شئ مما لا تملك يمينك من اعراض

نسائهم فنلت ما تطمع فيه من حيث لا يشعر مالكه ، قال : ربما وقع شئ من ذلك فماذا تريد ؟ قلت : اريد ان اقول لك انى اخاف عـلى عرضك ان يلم به من الناس ما ألم باعراض الناس منك ، قال : ان المرأة الشريفة تستطيع ان تعيش بين الرجال من شرفها و علتها فى حصن حصين لاتمتد اليه المطامع ، فتداخلى ما لم املك نفسى معه و قلت له : تلك هى الخدعة التى يخدعكم بها الشيطان ايها الضعفاء ، و الثلمة التى يعثر بها فى زوايا رؤوسكم فينحدر بها الى عقولكم و مداركم فيفسدها عليكم ، فالشرف كلمة لا وجود لها الا فى قواميس اللغة و معاجمها ، فان نفتش عنها فى قلوب الناس و افئدتهم فقلما نجدها ، و النفس الانسانية كالغدير الراكد لايزال صافيا رائقا حتى يسقط فيه حجر فاذا هو مستنقع كدر ، و العفة لون من الوان النفس لا جوهر من جواهرها ، و قلـما تثبت الالوان على اشعة الشمس المتساقطة ·

قال : اتنكر وجود العفة بين الناس ؟ قلت : لا انكرها لانى اعلم انها موجودة بين البله و الضعفاء و المتكلمين : و لكنى انكر وجودها عند الرجل القادر المختلب و المرأة الحاذقة المترفقة اذا سقط بينهما الحجاب و خلا وجه كل منهما لصاحبه ·

فى اى جو من اجواء هذا البلد تريدون ان تبرز نساؤكم لرجالكم الى جـو المتعلمين و فيهم من سئل مرة : لم لم يتزوج ؟ فاجاب : نساء البلد جميعا نسائى .

ام فى جو الطلبة و فيهم من يتوارى عن اعين خلانه و اترابه حياء

و خجلا ان خلت محفظته يوما من الايام من صور عشيقاته و خليلاته او اقفرت من رسائل الحب و الغرام ؟

ام في جو الرعاع و الغوغاء و كثير منهم يدخل البيت خادما ذليلا و يخرج منه صهرا كريما ؟

و بعد : فما هذا الولع بقصة المرأة ، و التمطق بحديثها ، و القيام و القعود بامرها و امر حجابها و سفورها ، و حريتها و اسرها ، كما انكم قمتم بكل واجب للامة عليكم فى انفسكم ، فلم يبق الا ان تفيضوا من تلك النعم عـــلى غـــيركم .

هذبوا رجالكم قبل ان تهذبوا نساءكم ، فان عجزتم عن الرجال فانتم عن النساء اعجز .

ابواب الفخر امامكم كثيرة ، فاطرقوا ايها شئتم و دعوا هذا الباب موصدا فانكم ان فتحتموه فتحتم على انفسكم ويلا عظيما و شقاء طويلا .

اروني رجلا واحدا منكم يستطيع ان يزعم في نفسه انه يملك هواه ، بين يدى امرأة يرضاها ؛ فاصدق ان امرأة تستطيع ان تملك هواه بين رجل ترضاه .

انكم تكلفون المرأة ما تعلمون انكم تعجزون عنه و تطلبون عندها ما لا تعرفون عند انفسكم ، فانتم تخاطرون بها فى معركة الحياة مخاطرة لا تعرفون ا تربحونها من بعدها ام تخسرونها ؟ و ما احسبكم الا خاسرين .

ما شكت المرأة اليكم ظلما ، و لا تقدمت اليكم فى ان تحلوا قيدها و تطلقوها من اسرها ، فما دخولكم بينها و بين نفسها .

انها لا تشكوا الا فضولكم و اسفافكم و مضايقتكم لها و قوفكم فی وجهها حیثما سارت ، و اینما حلت ، حتی ضاق بها وجه الفضاء فلم تجد لها سبیلا الا ان تسجن نفسها بنفسها فی بیتها فوق ما سجنها اهلها فاوصدت من دونها بابها ، و اسلت استارها . تبرما بکم و فرارا من فضولکم . فوا عجبا لکم تسجنونها بایدیکم ثم تقفون علی باب سجنها تبکونها و تندبون شقاءها ! ..

انکم لا ترثون لها بل ترثون لانفسکم ، و لا تبکون علیها بل علی ایام قضیتموها فی دیار یسیل سفورا . و یتدفق خلاعة و استهتارا . و تودون بجدع الانف لو ظفرتم هنا بذلک العیش الذی خبرتموه هناک .

لقد کنا و کانت العفة فی سقاء من الحجاب موکوء فما زلتم به تثقبون فی جوانبه کل یوم ثقبا و العفة تتسلل منه قطرة قطرة حتی تقبض ، ثم لم یکفکم ذلک منه حتی جئتم الیوم تریدون ان تحلوا وکاءه حتی لا تبقی فیه قطرة واحدة .

★ ★ ★

عاشت المرأة حقبة من دهرها هادئة مطمئنة فی بیتها ، راضیة عن نفسها و عن عیشها ، تری السعادة کل السعادة فی واجب تؤدیه لنفسها او وقفة تقفها بین یدی ربها . او عطفة تعطفها علی ولدها او جلسة تجلسها الی جارتها . و تری الشرف کل الشرف فی خضوعها لابیها و ائتمارها بامر زوجها و نزولها عند رضاهما ، و کانت تفهم معنی الحب

و تجهل معنى الغرام ، فتحب زوجها لانه زوجها ، كما تحب ولدها لانه ولدها . فان رأى غيرها من النساء ان الحب اساس الزواج رأت هى ان الزواج اساس الحب ؛ فقلتم لها ان هولاء الذين يستبدون بامرك من اهلك ليسوا باوفر منك عقلا ، و لا افضل رايا . و لا اقدر على النظر لك من نظرك لنفسك ، فلا حق لهم فى هذا السلطان الذى يزعمونه لانفسهم عليك ، فاردرت اباها . و تمردت على زوجها و اصبح البيت الذى كان بالامس عرسا من الاعراس الضاحكة مناحة قائمـــة لا تهدأ نارها ، و لا يخبو اوارها .

و قلتم لها : لا بد لك ان تختارى زوجك بنفسك حتى لا يخدعك اهلك عن سعادة مستقبلك فاختارت لنفسها اسوأ ممـا اختار لها اهلها ، فلم يزد عمـــر سعادتها عـــلى يوم و ليلة ثم الشقاء الطويل بعد ذلك و العذاب الالـــيم .

و قلتم لها : ان الحب اساس الزواج فما زالت تقلب عينيها فى وجوه الرجال مصعدة مصوبة حتى شغلها الحب عن الزواج فغنيت به عنه .

و قلتم لها : ان سعادة المرأة فى حياتها ان يكون زوجها عشيقها و ما كانت تعرف الا ان الزوج غـــير العشيق . فاصبحت تطلب فى كل يوم زوجا جديدا يحيى من لوعة الحب ما امات الزوج القديم فلا قديما استبقت و لا جديدا افادت .

و قلتم لها : لا بد ان تتعلمى لتحسنى تربية ولدك ، و القيام على شئون بيتك . فتعلمت كل شئ الا تربية ولدها ، و القيام على شئون بيتها .

و قلتم لها : نحن لا نتزوج من النساء الا من نحبها و نرضاها و يلائم ذوقها ذوقنا ، و شعورها شعورنا ، فرأت ان لا بد لها ان تعرف مواقع اهوائكم ، و مباهج انظاركم لتتجمل لكم بما تحبون ، فراجعت فهرس حياتكم صفحة فلم تر فيه غير اسماء الخليعات المستهترات و الضاحكات و اللاعبات و الاعجاب بهن ، و الثناء على ذكائهن و فطنتهن ، فتخلعت و استهترت لتبلغ رضاكم ، و تنزل عند محبتكم ، ثم مشت اليكم بهذا الثوب الرقيق الشفاف تعرض نفسها عليكم عرضا ، كما تعرض الامة نفسها فى سوق الرقيق فاعرضتم عنها و نبوتم بها ، و قلتم لها : انا لا نتزوج النساء العاهرات كانكم لا تبالون ان يكون نساء الامة جميعا ساقطات اذا سلمت لكم نساؤكم ، فرجعت ادراجها خائبة منكسرة و قد اباها الخليع ، و ترفع عنها المحتشم ، فلم تجد بين يديها غير باب السقوط فسقطت .

و كذلك انتشرت الريبة فى الامة جميعا و تمشت الظنون بين رجالها و نسائها ، فتحاجز الفريقان و اظلم الفضاء بينهما ، و اصبحت البيوت كالاديرة لا يرى فيها الرائى الا رجالا مترهبين و نساء عانسات .

ذلك بكاؤكم على المرأة ايها الراحمون ، و هذا رثاؤكم لها و عطفكم عليها ! !

نحن نعلم كما تعلمون ان المرأة فى حاجة الى العلم ، فليهذبها ابوها او اخوها ، فالتهذيب انفع لها من العلم ؛ و الى اختيار الزوج العادل الرحيم ؛ فليحسن الاباء اختيار الازواج لبناتهم و ليجمل الازواج عشرة

نسائهم ؛ و الى النور و الهواء . تبرز اليهما و تتمتع فيهما بنعمة الحياة فلياذن لها اولياءها و اليرافقها رفيق منهم فى غدواتها و روحاتها كما يرافق الشاة راعيها خوفا عليها من الذئاب فان عجزنا عن ان ناخذ الآباء و الاخوة و الازواج بذالك فلنفض ايدينا من الامة جميعها نسائها و رجالها فليست المرأة باقدر على اصلاح نفسها من الرجل على اصلاحها .

اعجب ما اعجب له من شئونكم انكم تعلمتم كل شئ الا شيئا واحدا و هو ادنى الى مداركم ان تعلموه قبل كل شئ و هو ان لكل تربة نباتا ينبت فيها ، و لكل نبات زمنا ينمو فيه .

رايتم العلماء فى اوربا يشتغلون بكماليات العلوم بين امم قد فرغت من ضرورياتها فاشتغلتم بها مثلهم فى امة لا يزال سوادها الاعظم فى حاجة الى معرفة حروف الهجاء !

و رايتم الرجل الاوربى حرا مطلقا يفعل ما يشاء و يعيش كما يريد لانه يستطيع ان يملك نفسه و خطواته فى الساعة التى يعلم فيها انه قد وصل الى حدود الحرية التى رسمها لنفسه فلا يتخطاها فاردتم ان تمنحوا هذه الحرية نفسها رجلا ضعيف الارادة و العزيمة يعيش فى حياته الادبية فى راس منحدر زلق ان زلت به قدمه مرة تدهور من حيث لا يستطيع ان يتمسك حتى يبلغ الهوة و يتردى فى قراراتها .

و رايتم الزوج الاوربى الذى اطفأت البتة غيرته و ازالت خشونة نفسه و حرشتها يستطيع ان يرى زوجته تخاصر من تشاء ، و تصاحب من تشاء ، و تخلو بمن تشاء ، فيقف امام ذلك المشهد موقف الجامد

المتلد ، فاردتم من الرجل الشرقى الغيور المتلهب ان يقف موقفه ، و يتمسك استمساكه .

و رايتم المرأة الاوروبية الجريئة المتفتيه فى كثير من موافقها مع الرجل تحتفظ بنفسها و كرامتها فاردتم من المرأة الشرقية الضعيفة الساذجة ان تبرز للرجل بروزها ، و تحتفظ بنفسها .

و كل نبات يزرع فى ارض غير ارضه ، او فى ساعة غير ساعته اما ان تاباه الارض فتلفظه ، و اما ان ينشب فيها فيفسدها .

انا نضرع اليكم باسم الشرف الوطنى و الحرمة الدينية ان تتركوا تلك البقية الباقية من نساء الامة آمنات مطمئنات فى بيوتهن ، و لا تزعجوهن باحلامكم و آمالكم كما ازعجتم من قبلهن . فكل جرح من جروح الامة له دواء الاجرح الشرف ، فان ابيتم الا ان تفعلوا فانتظرو بانفسكم قليلا ريثما تنتزع الايام من صدوركم هذه الغيرة التى ورثتموها عن آبائكم و اجدادكم لتستطيعوا ان تشيعوا فى حياتكم الجديدة سعداء آمنين .

* * *

فما زاد الفتى ان ابتسم فى وجهى ابتسامة الهزء و السخرية و قال : تلك حماقات ما جئنا الا لمعالجتها فلنصبر عليها حتى يقضى الله بيننا و بينها فقلت له : لك امرك فى نفسك و فى اهلك فاصنع بهما ما تشاء و ائذن لى ان اقول لك : انى لا استطيع ان اختلف الى بيتك بعد اليوم ابقاء عليك و على نفسى لانى اعلم ان الساعة التى ينفرج لى فيها جانب ستر من استار بيتك عن وجه امرأة من اهلك

تقتلى حياء و خجلا ، ثم انصرفت . . . و كان هذا فراق ما بينى و بينه .

و ما هى الا ايام قلائل حتى سمعت الناس يتحدثون : فلانا هتك الستر فى منزله بين رجاله و نسائه و ان بيته اصبح مغشيا لا تزال النعال خافقة ببابه . . فذرفت عينى دمعة لا اعلم هل هى دمعة الغيرة على العرض المذال ، او الحزن على الصديق المفقود ؟

مرت على تلك الحالة ثلاثة اعوام لا ازوره فيها و لا يزورنى و لا القاه فى طريقه الا قليلا فاحييه تحية الغريب للغريب من حيث لا يجرى لما كان بيننا ذكر ثم انطلق فى سبيلى . .

فانى لعائد الى المنزل ليلة امس و قد مضى الشطر الاول من الليل ، اذ رايته خارجا من منزله يمشى مشية الذاهل الحائر و بجانبه جندى من جنود الشرطة كانما هو يحرسه او يقتاده فاهمنى امره و دنوت منه فسالته عن شانه فقال :

لا علم لى بشئ سوى ان هذا الجندى قد طرق الساعة بابى يدعونى الى مخفر الشرطة ، و لا اعلم لمثل هذه الدعوة فى مثل هذه الساعة سببا و ما انا بالرجل المذنب و المريب ، فهل استطيع ان ارجوك يا صديق بعد الذى كان بينى و بينك ان تصحبنى الليلة فى وجهى هذا على احتاج الى بعض المعونة فيما يعرض لى هناك من الشئون ؟

قلت : لا احب الى من ذلك ، و مشيت معه صامتا لا احدثه و يقول لى شيئا ثم شعرت كانه يزور فى نفسه كلاما يريد ان يفضى به الى فيمنعه الخجل و الحياء ففاتحته الحديث و قلت له : الا تستطيع

ان تذكر لهذه الدعوة سببا ، فنظر الى نظرة حائرة و قال : ان اخوف ما اخافه ان يكون قد حدث لزوجتى الليلة حادث . فقد رابنى من امرها انها لم تعد الى المنزل حتى الساعة ، و ما كان ذلك شأنها من قبل .

قلت اما كان يصحبها احد ؟ قال : لا ! قلت : الا تعلم المكان الذى ذهبت اليه . قال لا قلت و مما تخاف عليها ؟ قال لا اخاف شيئا سوى انى اعلم انها امرأة غيور حمقاء فلعل بعض الناس حاول العبث بها فى طريقها فشرست عليه فوقعت بينهما واقعة انتهى امرها الى مخفر الشرطة — و كنا قد وصلنا الى المخفر فاقتادنا الجندى الى قاعة المامور فوقفنا بين يديه فاشار الى جندى اشارة لم نفهمها ثم استدنى الفتى و قال له :

« يسوءنى ان اقول لك يا سيدى ان رجال الشرطة قد عثروا الليلة فى مكان من امكنة الريبة برجل و امرأة فى حال غير صالحة فاقتادوهما الى المخفر فزعمت المرأة ان لها بك صلة فدعوناك لتكشف لنا الحقيقة فى امرهما فان كانت صادقة اذنا لها بالانصراف معك اكراما لك و ابقاء على شرفك . و الا فهى امرأة عاهر لا نجاة لها من عقاب الفاجرات ، و ها هما وراءك فانظرهما » — و كان الجندى قد جاء بهما من غرفة اخرى — فالتفت وراءه فاذا المرأة زوجته و اذا الرجل احد اصدقائه ! . . .

فصرخ صرخة رجفت لها جوانب المخفر و ملأت نوافذه و ابوابه عيونا و آذانا ، ثم سقط فى مكانه مغشيا عليه .

فاشرت المامور ان يرسل المرأة الى منزل ابيها فقعل و اطلق سبيل صاحبها ، ثم حملنا الفتى فى مركبة الى منزله فدعونا له الطبيب فقرر انه مصاب بحمى دماغية شديدة ، و لبث ساهرا بجانبه بقية الليل يعالجه حتى دنا الصبح فانصرف على ان يعود متى دعوناه ، و عهد الى بامره ، فلبثت بجانبه ارثى لحاله ، و انتظر قضاء الله فيه حتى رأيته يتحرك فى مضجعه ، ثم فتح عينيه فرانى شاخصا الى هنيهة ، كانما يحاول ان يقول لى شيئا فلا يستطيعه ، فدنوت منه و قلت له : هل من حاجة يا سيدى ؟ فاجاب بصوت ضعيف خافت : حاجتى ان لا يدخل على من الناس احد قلت : لن يدخل عليك الا من تريد فاطرق هنيهة ثم رفع راسه فاذا عيناه مخضلتان بالدموع ، فقلت : ما بكاءك يا سيدى ؟ قال : اتعلم اين زوجتى الان ؟ قلت : و ماذا تريد منها ؟ قال : لا شئ سوى ان اقول لها انى قد عفوت عنها ، قلت انها فى بيت ابيها ، قال : وا رحمتاه لها و لابيها و لجميع قومها فقد كانوا قبل ان يتصلوا بى شرفاء امجادا فالبستهم مذ عرفونى ثوبا من العار لا تبليه الايام ، من لى بمن يبلغهم عنى جميعا انى مريض مشرف ، و انى اخشى لقاء الله ان لقيته بدمائهم و انى اضرع اليهم ان يصفحوا عنى و يغتفروا زلتى قبل ان يسبق الى اجلى ، ؟

لقد كنت اقسمت لابيها يوم اهديتها ان اصون عرضها صيانتى لحياتى ، و ان امنعها مما امنع منه نفسى ، فحنثت فى يمينى فهل يغفر لى ذنبى فيغفر لى الله بغفرانه .

لعم انهـا قتلتنى ! و لكن انا الذى وضعت فى يدها الخنجر الذى اغمدته فى صدرى فلا يسألها احد عن ذنبى .

البيت بيتى ، و الزوجة زوجتى ، و الصديق صديقى ، و انا الذى فتحت بيتى لصديق الى زوجتى ، فلم يذنب الى احد سواى .

ثم امسك عن الكلام هنيهة و زفر زفرة خلت كانها خرقت حجاب قلبه ثم انشأ يقول :

آه ! ما اشد الظلام امام عينى و ما اضيق الدنيا فى وجهى ! فى هذه الغرفة على هذا المقعد تحت هذا السقف كنت اراهما جالسين يتحدثان فتمتلئ نفسى غبطة و سرورا و احمد الله على ان رزقنى بصديق و فى يونس زوجتى فى وحدتها و زوجة سمحة كريمة تكرم صديقى فى غيبتى ، فقولوا للناس جميعا : ان ذلك الرجل الذى كان يفخر بالامس بذكائه و فطنته و يزعم انه اكيس الناس و احزمهم قد اصبح يعترف اليوم انه ابله الى الغاية من البلاهة ، وغبى الى الغاية التى لا غاية وراءها .

و الهفا على ام لم تلدنى ، و اب عاقر لا نصيب له فى البنين ؟

اخبار دار العلوم ديوبند

اجتمعت اللجنة الاعدادية لقضية القانون الشخصى للسلمين التى كونتها دار العلوم فى الاجتماع الماضى لهذا الغرض لوضع الترتيبات اللازمة لبحث هذا الموضوع الهام و جمع المراد الفقهية فى ضوء الاسئلة التى اعدتها اللجنة من قبل و ارسلتها الى مشاهير علماء الهند فدرست اللجنة جميع الاجوبة التى وصلت اليها فى شكل مقالات حول هذا الموضوع و الفت لجنة تابعة اخرى لتمحيص و تنقيح الاجوبة ، واطمأن اعضاء اللجنة بما ورد اليهم من قبل العلماء من الاجوبة المستوعبة لجميع نواحى هذه القضية فى ضوء الفقه الاسلامى و احكام الشريعة الاسلامية و تقرر فى اجتماع اللجنة ان يعقد موتمر عام للعلماء المسلمين من مختلف مدارس الفكر لبحث هذه القضية بصورة نهائية فى بومباى نظرا الى توسيع نطاق هذا الموتمر و تعميم نفعه ، و يرجى ان يعقد هذا المؤتمر فى المستقبل القريب .

* * *

انعقدت الدورة السنوية لمجلس الشورى فى شهر رجب و اتخذت فى جلساتها عدة قرارات ، و استعرضت الاعمال و الاحوال التعليمية

و الإدارية . و عين اربعـــة اعضاء جدد للجلس فی مناصب العضوية الشاغرة و هم السادة : مولانا حكيم محمد زمان الحسينى (كلكتا) و مولانا عبد الحليم الجونبورى ، و مولانا ابو مسعود مدير مدرسة الباقيات الصالحات (ويلور) ، و حكيم افهام الله (عليگره) ترحب ادارة دعوة الحق بهولاء السادة الاعضاء و تدعـو لهم الموفقية فی خدمـــة دار العـــلوم . .

٭ ٭ ٭

الشيخ عبد الحكم الخطيب مفتى حلب
فی دار العـــلوم

زار دار العلوم فی شهر رجب سماحة الشيخ المفتى عبد الحكيم الخطيب مفتى حلب و عضو البرلمان السورى فوصل فی الساعة الحادية عشر فی . . رجب و معه صهره الاستاذ منضدر السكريتر الاول فی السفارة السورية فاستقبلهما نائبا مدير د ر العلوم الشيخ معراج الحق و الشيخ نصير احمد خان و الشيخ مولانا فخر الحسن رئيس المدرسين و الاساتذة و المدرسون فجرى الحديث الودى فی جو ملاه الاخوة و المحبة فی شئون إسلامية شتى ، و بعد تناول الشاى قام الضيف المحترم بجولة فی دار العلوم و شاهد مبانيها و اطلع على نظامها ، و كان اكبر موضع لاهتمامه مكتبة دار العلوم الذاخرة بالكتب ، فقضى فيها زمنا يتفقد الكتب فی مختلف الفنون و اظهر اعجابه و سروره بما رأى من حسن تنسيق و نظام .

و بعد تناول الغذاء اقيمت حفلة تكريم عامة فى قاعة دار الحديث الكبرى فازدحمت بالطلاب و المدرسين و الاساتذة ؛ و بعد تلاوة القرآن الحكيم قدم الضيف المحترم الى الحاضرين الاستاذ وحيد الزمان ثم القى الشيخ خطبته البليغة الحماسية اثار فيها هم الطلاب لخدمة الدين فى الوقت الحاضر و ذكرهم بواجباتهم و مسئولياتهم فى اسلوب بليغ جذاب و كان الحاضرون متاثرين غاية التاثر عارضته و حماسته و قوة بيانه ، ثم شكر الاستاذ وحيد الزمان الكيرانوى الضيوف . و انتهى الحفل بالدعاء . و بعد ان تناول الضيوف الشاى فى حفلة اقيمت فى مكتب المدير غادر دار العلوم في الساعة الرابعة مسرورا مما لاقى من الحفاوة البالغة و التكريم .

★ ★ ★

ابتدأ الامتحان السنوى شفويا من ٢٧ رجب و تحريريا من ٥ شعبان فى جميع الاقسام الثانوية و العالية و الكلية الطبية عدا قسم الافتاء فان امتحانه يجري فى آخر رمضان و انتهى الامتحان بفضل الله و عونه فى ١٩ شعبان على احسن ما يرام ، و عطلت دار العلوم عطلة سنوية من ٢٠ شعبان الى ١٠ شوال . ؟

الى الجندى المسلم

فضيلة الشيخ الحبيب المستاوى (تونس)

٭ ٭ ٭

ايها الجندى يا ابن الاكرمين	احمل الدعوة و اصدع باليقين
انت (عمار و قذاف) لمن	ينشر الالحاد و الافك المبين
زادك الرحمن صدقا و رضا	و وقاك الله شر الحاسدين

٭ ٭

دينك السمح ضياء مشرق	ينشر الانوار بين العالمين
صاغه الرحمن من اعجازه	و به قد جاءنا الوحى الامين
فيه كل الخير ان دانت له	هذه الامة فى دنيا و دين
انه العدل الذى ينشده	من اذيق العسف و الذل المهين
انه التوحيد من حققه	عاش فى أمن و فى حصن حصين
ويح قوم نبذوا ملتهم	و اشتروا بالحق زيف المبطلين
فلسفات العصر ظل زائل	و سراب ليس يروى الواردين
ايها الشعب الذى اجداده	انقذوا الانسان بالدين المتين
ايها الشعب الذى استخلفه	منزل القرآن باللفظ المبين

ارجع الدين الى اشراقه

و التزم نهج الهداة الفاتحين

٭ ٭ ٭ ٭ ٭

طبعت بالمطبعة الكوثر

سرائے میر۔ اعظم گره (الهند)

قام بالطبع و النشر وحيد الزمان الكيرانوى من دار العلوم بديوبند
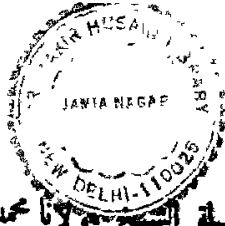
تحت إشراف صاحب الفضيلة الشيخ مولانا محمد طيب رئيس الجامعة

مجلة

دعوة الحق

مجلة إسلامية تصدر عن دار العلوم. ديوبند

كل ثلاثة أشهر

***

رئيس التحرير المسؤول :

وحيد الزمان الكيرانوي

المدرس بدار العلوم ديوبند

الاشتراك السنوي
عشر روبيات هندية
وما يعادلها في الخارج

ثمن العدد
روبيتان ونصف

العدد الأول . المجلد التاسع
محرم الحرام سنة ١٣٩٣ هـ
فبراير سنة ١٩٧٣ م

صفحة

عنوان المراسلة وارسال بدل الاشتراك :

مدير مجلة دعوة الحق

دار العلوم . ديو بـــنـــد . الهـــنـــد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العلمين و الصلوة و السلام على سيد المرسلين و على آله و اصحابه الى يوم الدين .

ان مجلة دعوة الحق تبدأ بهذا العدد سنتها التاسعة بعون الله و فضله ، و تخطو خطوة تقدمية حيث زيدت على عدد صفحاتها السابقة ١٦ صفحة فتكون محتوية على ثمانين صفحة منذ هذا العام الهجرى ؛ و قد حرصنا فى هذه الفترة الطويلة على الجمع بين رغبات متضادة من قراء المجلة .

فمنهم من شاء ان نجعل لغتها سهلة حتى تكون فى متناول الجميع من اصحاب المستويات المتوسطة علما و لغة ، و تكون وسيلة لتعلم اللغة العربية و الاطلاع على نفثات اقلام الكتاب من العرب و العجم فى الهند .

و منهم من الحوا على ان نرفع مستواها علما و ادبا و نجعلها ناطقة بلسان دارالعلوم حسب مكانتها الرفيعة فى البحوث الدينية و العلمية ، و نجعلها واسطة لنقل التفردات العلمية لعلماء الدار الافاضل التى حفلت بها مؤلفاتهم و مقالاتهم

و على كل حال كان من الصعب النزول على جميع الرغبات كليا فى الوقت الواحد . فسلكنا طريقا وسطا فى تحريرها وتنسيق مقالاتها و بحوثها ، وتنويع مادتها مع ما واجهنا فى ذلك من صعوبات كثيرة لضيق نطاق المجلة من حيث عدد الصفحات وطول فترة الصدور ، كما عانينا من سوء النظام المطبعى حيث لم نوفق فى اصدار المجلة فى معيادها المقرر مهما سعينا فى ذلك و طمعنا فيه و بذلنا من الجهود لعدم تملكنا مطبعة خاصة لنا وفى اقرب مكان من عندنا .

و الحمد لله على انه قد وفق اولى الامر من رجال دار العلوم المسئولين باقامة مطبعة لدار العلوم خصيصا ، وعما قريب تباشر هذه المطبعة ان شاء الله عملها فيكون حينئذ بامكاننا ان نصدر كل عدد من المجلة على ما نشاء من تنسيق و تشكيل طباعى وفى الوقت المحدد .

و لا يخفى ان اصدار مجلة عربية فى الهند فى ظروف قاسية تعشها اليوم اقتصاديا ليس امرا ميسورا يستغنى عن لفت انظار القراء وجميع المحبين للخدمات الثقافية الى ان يمدوا يد المساعدة و يسهموا فى مجلتهم اسهاما ملموسا ماديا و ادبيا وعلميا ، ونحن اذ نؤكد لقرائنا الكرام و محبى المجلة اننا سنقوم باداء واجبنا ان شاء الله على احسن ما يلزم ، و نسعى لرفع مستواها فى المخبر و المظهر ، و نبذل ما فى مستطاعنا من تنويع موضوعاتها وتبويب محتوياتها على نسق يلائم الذوق العلمى السليم .

نرجوهم رجاء ملئه الثقة و التأكد ان يتفضلوا بتقديم اقتراحاتهم فى اخراج المجلة فى ثوب قشيب يشف منه ماوراءه من روح

وثابة وعاطفة جياشة لنشر دعوة الاسلام وتبليغ رسالة الله وبناء النفوس . وتربية الضمائر على اسس متينة من تعاليم الكتاب وسنة النبي الأكرم عليه الصلوة و السلام .

و من المعلوم ان دار العلوم معهد اسلامي عظيم يعد من كبرى المدارس الجامعة الاسلامية في الهند و باكستان ، لاتعتمد في اداء خدماتها الجليلة ذات اطراف وجوانب متعددة الا على التبرعات المالية التي تستوفى من الشعب المسلم ، و ليس لها املاك واوقاف كذلك مجلتها لا تعتمد على ثروة ثرى و اعانة غنى ، و انما هي تمضي في سبيل خدمتها الصحافية معتمدة على الله وعلى قرائها ، و على الذين غرس الله في قلوبهم حب العلم و الدين ، فيبذلون ما يبذلونه خالصة لله و ابتغاء لمرضاته ... جزاهم الله خير الجزاء ووفقهم توفيقا متزايدا على مر الايام .

و قد اضفنا الى عناوين المجلة عنوانا جديدا في هذا العدد « افكار وخواطر » نقدمها المجلة في اعدادها التالية . و وددنا ان نبدأها بذكر نبذة من الافكار و الاراء التي سجلها دار العلوم من قاموا بزيارتها بين آونة ... و اخرى من كبار شخصيات و رجالات و علماء البلاد العربية ، و ستكون هذه خير فاتحة لهذا العنوان الجديد ان شاء الله تعالى .

دار العلوم بديوبند :

- قلب الهند الحي النابض .
- رئة الاسلام الصادقة الناطقـــة .
- شجرة الدين الوارفـــة .
- موئل العلم و التقوى .
- زيارتها من امانى العمر و احلام الليل و النهار .
- تفيض انوار العلم من جنباتها
- تقرأ فيها احاديث الرسول م بنظام تام وخطة رشيدة وغاية مثلى .
- لا تخلو مؤلفات الشيوخ الاماجد علماء الهند من جديد و مفيد و في كثير منها مالم يوجد في كتب اكابر العلماء المتقدمـــين مفسرين او محدثين او حكماء .
- من اوجب الواجبات العلمية ان تترجم تلك الكتب النفيسة الى اللغة العربية
- هذا الحق الثقيل لاينهض به الا علماء هذا المعهد .

الشيخ عبد الفتاح بن محمد ابوغده

من علماء حلب ـــ الشام .

كانت من نعمة الله تعالى على العبد الضعيف راقم هذه السطور انه زار بلاد الهند ، و فى طليعتها بلدة ديوبند و جامعتها قلب الهند الحي

النابض بالعلم و التقوى و الزاخر الفياض بالعلماء و المؤلفـين ، و المواج بطلاب المعرفة و المدين .

وكانت هذه الزيارة عندى من امانى العمر و احلام الليل والنهار، فيسر الله ذلك على اطيب حال ، و له المنة .

و لما زرتها وجدتها على القرب اطيب حال منها على البعد، تفيض انوار العلم من جنباتها ، و تقرأ احاديث الرسول البشير صلى اللّـه عليه وسلم فـى عرصاتها ، و تبين احكام الدين للمسترشدين ، مع النظام التام و الخطة الرشيدة ، و الغاية المثلى مصحوبا كل ذلك بروح اولى الروح ، و عبقات اصحاب الفتوح .

و كان من تمام السعد و فضل الله علـى ان شهدت بعضا من مجلس الحديث الشريف لمولانا الاجل بركة الامة ذى الانفاس الطاهرة سيدى الشيخ المحدث محمد فخر الدين المراد آبادى (١) ،وقد تفضل مراعاة لوجود العاجز الضعيف ، و اجابة لرغبة الاخوة الطلبة المحبين الكملة ؛ فقرر بالعربية حديث بنى سلمة الذين رغبوا ان يتركـوا ديارهم و يتحولوا الى جوار مسجد الرسول صلى الله عليه وسـلم . فقال لهم الرسول ﷺ : دياركم تكتب آثاركم لكم ، فكان تقريره الدرر الغوالى و الكوكب المتلالى ، و فيض البارى ، و عمدة القارى مضافا اليه ارشاده السارى فى الطلبة المستمعين سريان الطيب فى الهواء والحياة فـى الماء فجزاه الله عن السنة المطهرة واهلها خيرا ، و ادام هذا المعهـد باركانه و دعائمه الائمة الاجلة بدور الهدى و مصابيح الدجى امثال سماحة الشيخ صدر المدرسين مولانا-العلامة ابراهيم البلياوى (٢) و

---

(١) توفى فى العام الماضى تغمده الله بغفرانه .

(٢) توفى قبـل ست سنوات رحمه الله رحمة واسعة .

اخوانه ، و فی مقدمتهم مولانا قاری محمد طیب[1] حفظهم الله تعالی و بارك فی انفاسهم الصالحة و اوقاتهم الرابحة .

و الذی ندین الله به ان هذا المعهد بعلمائه وطلابه الیوم هو رئة الاسلام الصادقة الناطقة ، و شجرة الدین العارفة ، وموئل العلم و التقوی ، فنسأل الله له الدوام و الازدهار ، و لاساتذته الاعلام النفع بطول الاعمار .

و فاتنی ان اذکرهناك و انا ابین الایادی التی قام بها علماء هذا المعهد الجلیل العامر باساطین العلم و الدین و التقوی ان لنا منهم طلبة و ان تطاولت قلت : انا لنا علیهم حقا ، و ذلك الحق هو ان یقوموا لنا بترجمة نتائج عقولهم الفریدة و فیوضاتهم العلمیة البارعة . فان کل عالم یقرأ شیئا لجهابذة العلم فی الهند یجد فیه علما جدیدا و غنیا بالفائدة و الفتوحات العلمیة التی عمادها التقوی و الصلاح و الانهماك فی العلم مع الانقطاع عن کل ما سواه ، فلذلك لاتخلو مؤلفات الشیوخ الاماجد علماء الهند من جدید و مفید . و ذلك فضل الله یوتیه من یشاء ، و فی کثیر منها مالم یوجد فی کتب اکابر العلماء المتقدمین مفسرین او محدثین او حکماء ، و لکن نقول و الاسف یحز فی النفس و یاخذ بالتلابیب ان جمهرة تلك المؤلفات النادرة او کلها قد الفت باللغة الاردویة وهی لغة بلاد الهند ، ولیست هی لغة العلوم الاسلامیة المنتشرة و هی اللغة العربیة[2]

وهذه العلوم و الکشوفات التی فاز بها اخواننا علماء الهند اذا بقیت فی قوالبها الاردویة بقیت محجورة عن اعیننا ـ نحن معشر الناطقین بالعربیة ـ

ـ البقیة علی الصفحة (٤٠)

---

(١) المدیر الحالی لدار العلوم

ملامح الفلسفة الاسلامية

في علوم الشيخ الامام النانوتوى

بقلم : فضيلة الشيخ مولانا محمد طيب ... مدير دارالعلوم ، ديوبند

• • •

ولد حجة الاسلام الشيخ مولانا محمد قاسم النانوتوى قدس سره العزيز مؤسس دارالعلوم، ديوبند ١٢٤٩ هـ . وانتقل الى جوار ربه سنة ١٢٩٧هـ وهوفي التاسع واربعين من عمره .

وكان آية من آيات الله فيما وهبه الله تعالى من المقدرة العلمية والقوة العملية والقيم الاخلاقية الكبرى ، وقد ادى بكل ما اوتى من قوة واخلاص تلك الامانة العظيمة التى اودعها الله قلبه من علوم النبوة فى القرن الثالث عشر، واظهر من ابدع البحوث و التحقيقات العلمية و المعارف الملهمة حول حقيقة الاسلام وتفضيله على سائر الاديان ماحمل شيوخه الذين تربي تحت عنايتهم الى الاعتراف بنبوغه و تفرده ، وشهدوا بفضله .

قال مولانا الشيخ حسين احمد المدنى تلميذ تلميذه : ان الشيخ النانوتوى قدبلغ منه كل شئ منتهاه ، فالاخلاق و الشجاعة و الكفاح تجده قد بلغ فيها ذروة الكمال ، فهو الى جانب كونه نموذجا فى الاخلاق ومثالا فى الورع و التدين ، تراه يخوض المعارك الدامية ، و يكافح كفاحا مثاليا لمقاصد عظمى ، واهداف نبيلة ، ففى معركة «شاملى» يقود القافلة و يواجه العدو ببسالة ومهارة منقطعة النظير ، فقوة من الجيش البريطانى متحصنة فى مركز «شاملى»

مستولية عليه ترش وابلا من الرصاصات على المجاهدين المسلمين" فى وابل من الرصاص وفى ذلك الموقف الخطير يتقدم هذا البطل ، و يقترب من باب المركز بعد ان اقتلع كوخا قائما بجنبه فالصقه بالباب الخشبى الضخم و اشعل به النار ، فاحترق الباب وتخلى السبيل للمجاهدين فتمكنوا بهذه الحيلة من دخول المركز ، وهناك قامت المعركة الدامية بين الطائفتين حتى انتصر المجاهدون ، وانهزمت تلة الجيش الانكليزى و تم استيلاء المسلمين على المركز تحت قيادته و بفضل شجاعته و مهارته .

و اما سخاؤه وكرم طبعه و قناعة نفسه فكان ذلك ايضا منقطع النظير ، وكلما قدمت اليه او وصلت الهدايا او العطايا امربتوزيعها على من حضر المجلس من غير ان يخص منها لنفسه اولبيته شيئا ولاجل ماجبل عليه من السخاء و القناعة وزع جميع ممتلكاته على الآخرين ، لم يذر منها شيئا لنفسه ، فجل ماكان يمتلكه هو حلة ثياب فى غاية البساطة ، يغسلها و يلبسها حتى تبلى ، و لاتعود صالحة للبس .

و قد انعم الله عليه بغزارة العلم و التضلع و الرسوخ فيه مما اضطر للاعتراف به اساتذته و شيوخه ، كما يدل عليه كثير من الاقوال التى نطقت بها عنه بعض المشائخ ، والاحوال التى مربها فى حياته .!

و يلخص القول ان علومه كانت حكمية ، وحقائقه عرفانية ، وحقا انه كان مصداقا لقوله سبحانه وتعالى : « و علمناه من لدنا علما »

فقام بحل الغوامض فى معرفة الذات و الحقائق الالهية ، و الصفات الربانية ، وكشف القناع عن المعانى و المقاصد التى لايتيسر الوصول اليها الالمن آتاه الله من فضله . و تقصر افهام الخاصة من العلماء

عن ادراكها عـــادة ..!

و مصنفاته الحافلة بالعلوم و البحوث الدينية القيمة بناء جديدا للفلسفة الاسلامية ، و المعارف التي قدمها الشيخ الامام ولي اللـه الدهلوي قدس سره في اسلوب الهامي او في اطار التفكير الذاتي ، تجلت هي نفسها عند الشيخ النانوتوي رحمه الله في لون استدلالي منطقي تقوم حجة على العوام و الخواص.

و قال الشيخ مولانا عبيد الله السندهي (المفكر الاسلامي الهندي) ان الحكمة القاسمية سلم لعلوم الشاه ولي الله الدهلوي يتعسـر الوصول بدونه الى ذروتها بالمعنى الصحيح .

و قد نقل عن الشيخ النانوتوي تلميذه الخاص شيخ الهند مولانا محمود الحسن رحمة الله عليه انه قال : ان في هذه الامة اربعة اذا ماحصلت لاحد مزاولة علومهم و ممارستها يتوقد ذكاءه وينفتح ذهنه و يتسع افق عقله ، و لوكان غبيا وهم : الامام الغـزالي ، و الشيخ محي الدين ابن العربي ، و الشاه ولي الله الدهلوي ، والشيخ المجدد للالف الثاني رحمهم اللـه ، ثم قال شيخ الهند : و انا اضيف الى هولاء الاربعة خامسا ، و هو استاذي (الشيخ النانوتوي) رحمه الله ، و السبب في ذلك ان ما ينكشف له العلوم و الحقائق انما يكون كليا ، حتى اذاما تناول الجزئية ايضا بالذكر و البيان فانما يكون بمثابة اصل كلي ، و تلك الجزئية تلوح في اشعاع بيانه مصدرا لكثير من الاصول و الكليات الاخرى التي تنحل به مآت الجزئيات فترسـخ في ذهن الطالب السامع ، فتنقشع عن عقله الغشاوة ، و تنفتـح امامه عشرات الطرق الاصولية ، و مثال ذلك مسألة القهقهة في نقض الوضوء ، فهي مسألة جزئية تامة الفقه ويكرون ملة لكنها ...

ناقضة للوضوء و يقررون ذلك خــلافا للقياس ، و يكتفون بقولهــم انها امر تعبدى ، و لكن الشيخ النانوتوى رحمة الله عليه لايرضىعقله الواسع و ذهنه الوقاد بذلك ، فقال :

ان كون القهقهــة ناقضة للوضوء ليس خلافا للقياس بل هو على عكس ذلك مطابق للقياس الجلى و موافق لمايقتضيه العقل السليم ، ثم بين العلة القلية لكونها من النواقض،وقال: ان قول الفقهاء بان نقض القهقهة للوضوء خلاف للقياس فهو بالنسبة الى عقول العلماء العوام وقياساتهم ، و الا فان الحقيقة انه من المستحيل ان يكون حديث من احاديث الانبياء عليهم الصلوة و السلام مخالفا للعقل ، بل لابد من ان يكون وفقا للعقل السليم "و الذين اوتوا العلم درجات" ، "و فوق كل ذى علم عليم"

و ان علوم الشيخ رحمة اللــه عليه و لو انها بظاهرها منطقيـة استدلالية اللون ، و لكنها فى الحقيقة لب العلوم القرآنية ،وجوهرها الاصيل .

فربما يوجد التصريح بالآية القرآنية ، يجرى الـكلام فى ضوئها و احيانا لايصرح بالآيات و الاحاديث ، و لكن صوغ الكلام واتجاه البحث و الاسلوب كل ذلك يقرر الآية او الرواية التى تفيض الدقائق العلمية من منبعها على لسـانه ، و يظهر لمن امعن المنظران استدلالـه ايضا يبتنى على المقدمات القرآنية ، الا انه فى ثوب فلســـفى و اسلوب استدلالى منطقى .

وكان مولانا الشيخ عبيدالله السندى قد لقب الشيخ مولانا رشيد احمد الگنگوهى رحمة الله عليه " بفقيه الاسلام " و اطلق على الشيخ النانوتوى كلمة "حكيم الاسلام" نظرا الى ما امتازبـه مـن

الحكمة و الفلسفة الدقيقة فى علومه ، و ذلك لان الشيخ رشيد احمد الگنگوهى صرف اهتمامه نحو تربية من دخل فى حظيرة الاسلام واعتنى بالدفاع عنهم و الاحتفاظ بهم من جهات مختلفة ، و اما الشيخ النانوتوى فقد كان اكبرهمه هو الذود عن الاسلام ،والدفاع عن حوزته و صد الاجانب عن الزحف و التقدم نحو ثغور الاسلام، لتبق شوكة الاسلام مصونة عن كل هدم و تصديع ، وكان ذلك عملا يستدعى اسلوبا عموميا واسع المجال و متسع النطاق ، فحيث ان مجال العمل للشيخ الگنگوهى رحمة الله عليه كان افراد الامة المسلمة انفسهم، لذلك اشتغل بما يؤدى به الى الغاية بصرف الاهتمام الى توجيه المسلمين ، و تزويدهم بالاحكام الشرعية والتعليمات الاسلامية على اسس متينة .

و اما الشيخ النانوتوى رحمة الله عليه فحيث ان مرماه كان الاجانب وغير المسلمين فى الغالب ، لذلك اختار لعرض مبادئ الاسلام و شريعته و احكامه اسلوبا منطقيا استدلاليا يقنع المسلم و الكافر، و يفحم المجادل و المنازع فيكون حجة على الجميع ، و لذا اذا درسنا بحوثه العلمية الدينية وجدنا انه اذا تكلم عن المسائل الفرعية يذكر المآخذ من الآيات القرآنية و الاحاديث النبوية على صاحبها الصلوة و السلام ؛ لان ذلك الكلام انما يوجه الى من يعتقدها و يؤمن بها بحكم اسلامه .

و لكن عندما يتناول بالبحث المبادئ و الاصول الاسلامية ويريد اثباتها على وجه المعاند او المخالف فيلتجئ الى الاسلوب الاستدلالى والجدلى مع صبغة اقناعية فان المخاطب اذ ذاك انما هم الجاحدون او الفلسفيون ممن لايكفى لاقناعهم الاستدلال بالقرآن و الحديث،

اولوا النصح و التوجيه مع قطع النظر عن مسلماتهم وابطالها بالحكمة و الدليل المقنع القاطع .

و اذا استقرينا الفلسفة القاسمية من حيث التقسيم المذكور وجدناها تتفرع الى ثلثة اقسام من المسائل :

(١) المسائل الاساسية و المبدئية التى تبتنى عليها العقيدة الاسلامية كوجود البارى ، و التوحيد ، و الصفات الالهية ، و العرش و الكرسى ، و اللوح و القلم ، و العذاب و الثواب ، و القبر و الحشر و النشر ، و القيامة و يوم الاخرة ، و العقاب و الجزاء الحسن ، و الجنة و النار ، و الملائكة وارواح الاجنة و الشياطين ، ثم رؤية الله سبحانه و تعالى و تجلياته المختلفة فى عرصات الحشر ، ثم النبوة و الرسالة ، و الوحى و المعجزات و الارهاصات ، و ما الى ذلك .

(٢) المسائل الكلية التى لها علاقة بالعقيدة من وجه وبالاعمال البشرية من وجه آخر لمفهومها العمومى و الاصولى ، كعظمة الوحى و مراتب الانبياء و علومهم ، و انواع تلك العلوم و الوانها و التفاضل و التفاوت فيها و فضائلها و منا قبها ، و كذلك عظمة النبوة و احترامها ، ثم تقديس الصحابة رضى الله عنهم ، و اعتقاد التفاضل و التفاوت بين مراتبهم ، ثم تقدير الراسخين فى العلم والائمة المجتهدين و مراتبهم وحقوقهم ، و النظر الى العلاقة بين السلف والخلف ونوعيتها و الانتفاع بالسلف وآثارهم مع اتباع النبوة و التمسك بالسنة وما شابه ذلك .

(٣) المسائل الفرعية و الاجتهادية كتعين رتبة الحنفية وتشخيصها فى المسائل الفقهية و اصولهم للاجتهاد و نوعية استنباط الفروع ،

و الدقائق الفقهية ، وكواجب الامة الطبيعي نحو المسائل الفرعية ، و ارتباط المسائل الجزئية بالمسائل الكلية ، و ما الى ذلك .

و مجموع هذه الانواع الثلثة من العلوم هي التى يعبر عنها "بالحكمة او الفلسفة القاسمية" و من صرف قليلا من عنايته نحو دراسة مولفاته و بحوثه يتضح له جليا ان ما نطق به لسانه و نفث به قلمه انما هو فيض مما افاضه اللّٰه عليه ، و غيث ينهمر بلا انقطاع .

و الفلسفة القاسمية فلسفة جامعة تحوى جميع الالوان العلمية من الذوقى و الوجدانى و النقلى و العقلى و الاستدلالى والاستنباطى وتحيط بجميع الفروع للعلوم ، وهى بصيغتها الخاصة تمتاز بين سائر الفلسفات الاخرى للاسلام بلون تجديدى و اجتهادى ، حتى ندر وجود مثال لها فى كتب السلف و الخلف (المتقدمين و المتاخرين) .

واما الاساس الذى تقوم عليه هذه الفلسفة هى ان القرآن و السنة النبوية رسالة ابدية لسائر امم العالم ، و لذلك يحلى القرآن الكريم فى كل عهد بلون اقتضته طبيعة البشر و اذهان الانسان ، فاذا تغلب النقل و الرواية فى عهد من العهود اشرقت التعليمات القرآنية فى ذلك اللون من النقل و الرواية ، و قدمت من ذلك قوة هائلة تكفى للاستناد ، وتثير اعجاب الناس فاقروا بعجزهم عن الاتيان بمثله فى قوة الاستدلال و الاسناد ... !

و ان حفاظ القرآن الكريم و الحديث النبوى قد اقاموا على امم العالم حجة فى الاسناد و التوثيق بما آتاهم الله من قوة الحفظ و الضبط بصورة مدهشة معجزة ، حتى توالت على هذا النمط طبقات

المفسرين و المحدثين تحفظ لنا هذا التراث الخالد العظيم من كتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، و هكذا اذا تغلب على الناس التصوف فارشد القرآن الكريم باسلوب تصوفي وظهرت في العالم طبقات الصوفياء العارفين العاملين ، كجنيد وشبلي رحمهما الله. فانارو العقول البشرية بانوار من العلوم القرانية بلون التصوف ؛ و هكذا اذاكان العقل له السيادة الكاملة في جميع قضايا الحياة في عهد ، و استولت العقليات على مشاعر الناس . فظهرت الى منصة الحياة رجال العلم و الفضل في هذا الميدان كالغزالي رحمه الله تعالى، و الرازي رحمه الله تعالى ، فقدموا حقائق القرآن الكريم في اسلوب عقلي منطقي .

وفي وقت اشتغل الانسان بالتجارب و المشاهدات ولايؤمن الا بما يحسه ويدركه ، و فتنت الناس الاكتشافات الطبيعية التي كشف منها العلم الحديث فتعود الناس فهم المسائل الدينية في اسلوب طبيعي و فلسفي خالص ابرز الله من عباده من حقق هذا الغرض كالشيخ مولانا محمد قاسم النانوتوي رحمه الله تعالى ، فعرضوا على الناس الحقائق القرآنية بالشواهد الحية ،كما يلوح ذلك في مؤلفات الشيخ ، فانه يكثر من التمثيلات المحسوسة ، و المشاهدات ، و المسلمات العلمية في الفلسفة الطبيعية ، و يحلل المسائل الدينية المستنبطة من الكتاب و السنة في هذا اللون من الاستدلال ، و هذا منتشر في مؤلفاته التي يبلغ عددصفحاتها الالفين . و هي خيرشاهد و اقوى دليل على ما اسلفنا بالذكر .

٩

تأملات في غزوة بدر الكبرى

بقلم: سماحة الاستاذ القاضي زين العابدين
الأستاذ في القسم الديني للجامعة الملية ، دلهي .

« معرب »

كانت القافلة التجارية الضخمة لقريش قد عادت من مشارف الشام الى مكة غنية بالارباح الكثيرة ، و قد اشترت عُدَد الحرب عند عودتها للاستخدام ضد المسلمين في الحرب .

و من الظاهر ان الحية اذا ظهرت وهي تخرج لسانها و تكاد تلدغ فيكون من السفه انتظار لدغها في ذلك الوقت ، بل انما يكون هناك حكم العقل ان تقط رأسها قبل ان تصول .

فاستجابة لهذا الحكم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و معه ثلاثة عشر و ثلاث مائة من اصحابه المغامرين ، و ستون بعيرا ، و ثلاثة جياد ، و عدة سيوف و رماح .

بلغ نبأ قدوم النبي صلى الله عليه وسلم للهجوم على العير اباسفيان الذي كان زعيم تلك القافلة ، فارسل رسولا الى قريش يخبرهم بذلك ، و غيّر طريق قافلته الى غير جهة تسير فيها وحين قرع هذا الخبر مسامع قريش تململوا و اضطربوا ، فانطلق منهم الف مقاتل ممن عرفوا بالشجاعة و البسالة في زهو وخيلاء يتغنون باغاني الحرب ، وكانت معهم سبع مائة درع و سبعون

وسائل وكانت السيوف و الرماح فى عدد كبير .

ولما وصل المسلمون وادى وقران علموا ان اهل مكة يزحفون اليهم مع جيش جرار قوى لمقاومتهم ، و لم ينو المسلمون حين خروجهم من المدينة القتال و الحرب ، و لو ارادوا بالخروج القتال لما خرجوا بهذا العدد القليل من الاسلحة و المجاهدين ، بل خرجوا متأهبين بأهبة كاملة ، و مدججين باسلحة تامة ، و لايبقى رجل فى المدينة ، و على ذلك مع ضآلة عددهم كانت الاكثرية منهم للانصار الذين عاهدوا بمحافظة النبى صلى الله عليه وسلم و نصرته فى شعب العقبة اذا كان فى المدينة، و لم تكن معهم معاهدة بمحافظته اذا كان خارجها .

فجمع النبى صلى الله عليه و سلم اصحابه وقال : ان امامكم طائفتين احداها القافلة التجارية ، و اخرهما جيش قريش ، وقد وعدنى الله انكم ستغلبون على احداهما فالى اى قافلة تتقدمون ؟ .

فاشار بعض الصحابة إلى ان تطارد قافلة ابى سفيان ؛ لان المسلمين كان عددهم قليلا ، و لم تكن لديهم الاسلحة لكى يهاجموا بها على جيش قريش . و لكن الرسول عليه الصلوة و السلام ماكان موافقا على هذا الراى ، كان يميل الى ان يواجه جيش قريش .

فلما احس الصحابة بميلانه الى هذا الامر قام من المهاجرين ابوبكر و عمر و على رضى الله تعالى عنهم و قالوا : يا رسول الله نحن مستعدون للتضحية بنفوسنا فى سبيل الاسلام ، و نحن نريق دمائنا الحمراء حيثما يسيل عرقك .

و لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد ان يسمع ماذا يقوا الانصار فى هذا الامر بالسنتهم ، فقام معاذ الذى كان زعيما للانص

و قال : یارسول اللّٰہ آمنا بك ، و لبینا دعوتك ، و اعطیناك علی ذلك عهودنا و مواثقنا بالسمع و الطاعة ، فما هو الداعی للتردد فی التضحیة بالاموال و الانفس لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك.

ثم قال مقداد بن الاسود :

یا رسول اللّٰہ اننا لسنا بقوم موسی علیه الصلوة و السلام فلانقول ماقالوا لنبیهم : اذهب انت و ربك فقاتلا انا ههنا قاعدون.

نحن اولئك الذین تجدهم یخاطرون بنفوسهم لاجلك فی الدفاع عنك بكل جانب .... !

فاشرق وجه رسول اللّٰہ صلی اللّٰہ علیه وسلم بسماع هذا الكلام و قال : اذا كان الامر كذلك فاعلموا ان العدو الذی تقاومونه لیس قافلة قریش بل هو جیش قریش ، و اللّٰہ لاراهم صرعی فی ساحة القتال ثم امر المسلمین بالتقدم .

فی ساحة بدر

وقد علم اهل مكة بعد ان قطعوا مسافة قلیلة فی طریق المدینة ان قافلتهم التجاریة قد نجت من المسلمین و لكن ما رجعوا ، بل اتخذوا خطة برأی قائدهم ابی جهل وقرروا عدم رجوعهم الی مكة و التقدم الی بدر ، لیحتفلوا هناك بالفتح و التغلب علی المسلمین.

و بلغ المسلمین ایضا عند ما وصلوا الی بدر ــ ان الاعداء قد نزلوا فی میدان البدر فی ابهة و استعدادات حربیة ، فامر رسول اللّٰہ صلی اللّٰہ علیه وسلم بان یعسكروا فی وجه العدو . وحیث ان قریش وصلوا قبل المسلمین فاحتلوا مواضع جیدة ، و نزل المسلمون فی اسفل الوادی. لاتوجد فیه عین ماء ، وكانت ارضه رملیة تندس فیهـــا

الاقدام لايمكن المشى عليها بسهولة .

فمثل خباب بن المنذر الذى كان ماهرا فى فن الحروب بين يدى النبى صلى اللـــه عليه وسلم وقال : يا رسول الله ارائيت هذا المنزل ام انزلك الله ههنا فقال هذا رائى !! فقال خباب : يحسن بنا ان نتقدم و نستولى على العين ، و نغور فيما حولها حياضا و نملأها ماء حتى نطمئن به ، فاستحسن هذا الراى رسول الله صلى الله عليه وســـلم و امربالعمل به .

ثم تراكم السحاب على السماء ، و اصبحت تمطر السماء رذاذا ، و رطب حولهم الجو ، و تلبد ، و تماسك به الرمل ، فصارت حركتهم عليه ميسرة ، وكان ذلك مددا غيبيا كما ذكرفى القرآن :

" اذ نغشيكم النعاس امنة منه و ينزل عليكم من السماء ماءا ليطهركم به و يذهب عنكم رجز الشيطان و ليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام . "

وكان عريش قد اقيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الميدان فكان يصلى فيه ، و يستغرق فى الدعاء الخاشع ، ويستغيث بامداد الرحمن ليلة القتال ، و يقول : يا اللـــه ! يا رحيم ! يا كريم . !! انك وعدت بنصرة المسلمين ضد الكفار فانجز ما وعدت . . . . . اللهـــم ان تهلك هذه العصابة من عبادك المسلمين المخلصين فلايبق احدٌ يعبدك فى الارض .

فلما تنفس الصبح بدأ يستعد الفريقان للقتال ، فاراد رجلان مسالمان من مكة ان يدفع الحرب بحيلة . وقالا لقريش خذوا ثأر الحضرمى الذى اشتعلت نارالحرب بقتله ، و اقطعوا النزاع ، و لكن ما كان ابوجهل و رفقاءه الذين كانوا يحلمون

لقمع المسلمين ليوافقوا على ذلك فلم يقتنعوا و لم يرضوا بوضع اوزار الحرب ، فنظم رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوف المسلمين بيده ، و استغرق فى الدعاء فى عريشه .

الايفاء بالعهد

حدثت واقعة ايفاءالعهد التى تعد من نوادر التاريخ ، و من الواقعات التى لايوجد نظيرها و مثالها لاقبل و لابعد ، وهى ان حذيفة وحيلا من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين كانا يذهبان للاشتراك فى الحرب فمنعهما الاعداء فى الطريق ، و قالوا : انكما تريدان الاشتراك فى الحرب فلانخلى سبيلا ، فما اطلقوهما الا ان اخذوا العهد منهما ان لايشتركا فى الحرب .

فلما مثلا بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصا عليه قصتها فقال غيرمتأمل اوفوا عهودكم ؛ حسبنا الله و نصرته وان كان فى ذلك الوقت عند المسلمين للشخص الواحد قيمة لاتهمل .

المقاومة والفتح

كان من عادة العرب ان ينزل اولا عدة من المحاربين والابطال من الفريقين للتصارع و التظاهر بفنون الحرب فى بدئها فاذا فرغوا من ذلك بدأت الحرب عامة .

فبرز اولا عتبة زعيم قريش فى زهو وخيلاء ، وكان يصاحبه شيبة و ابنه وليد ؛ و تقدم ثلثة ابطال من الانصار من صفوف المسلمين للقائهم و لكن ابى عتبة لقائهم قائلا : انهم ليسوا اكفاء لنا فان اكفاءنا هم مسلمو قريش فليخرجو للقائنا ، فلما سمع ذلك حمزة و على ، وعبيدة بن الحارث نزلوا فى ساحة القتال ، وسقوا خصومهم

كأس الردى فى عدة ضربـات .

فبدأت الحرب عامة بعد ذلك ، وقامت على ساقيها ، وان اباجهل المعروف بشدة عداوه للمسلمين كان يقودجيشه فرآه معاذ و معوذ الفتيان حديثا السن من بعد فانقضا عليه كاشبال الاسد على الفريسة ، فصرعاه حتى سقط ابوجهل على الارض مضرجا بالدماء يلفظ انفاسه الاخيرة ، فلما رأى عكرمة بن ابي جهل سقوطه على الارض اسرع اليهما من خلف ، فضرب بسيفه عضد معاذ ضربة فصلته عن باقى الجسد ، الا انه بقى شئ من الجلد عالقا فوضع معاذ يده تحت رجله وقطع مابقى عالقا منه وجعله منفصلا من يده ، و استانف القتال ، و خاض الاخوان صفوف الكفار ، وجعلا يكتسحان الاعداء اكتساحا . فانهارت همم القريش من قتل صناديدهم ، و اخذوا يولون الادبار ، و يفرون من مواقع القتال .

و دارت على سبعين من رؤساء مكة كوُوس الردى فتجرعوها اذلاء وصاغرين ، و سقط فى الاسر سبعون كذلك . و استشهد من المسلمين اربعة عشر بطلا فقط ، وكانت هذه الوقعة فى شهر رمضان لسنتين من الهجرة .

المعاملة الحسنة مع الاسرى

عامل المسلمون اسرى قريش معاملة كريمة ، تلك التى تدل على اخلاقهم الصافية ، و كرامتهم العالية ، و اعتبروهم كضيوف لهم ، و اطعموهم ما اكلوا بل قراهم بعض الصحابة بالخبز واللحم حين اكتفوا بانفسهم بالتمر الذى كان غذاءمعتادا عندهم .

ولما نشأت التسائلات عن الاسرى بين الصحابة : ما يفعل بهم ، فاختلفوا فى ذلك ، وكان عمرُ خشنا فقال : تضرب اعناقهم

لانهم بذلوا اقصى جهودهم فى ايذاء المسلمين ، ولكن ابابكر كان لين الجانب فقال انى ارى ان توخذ منهم الفدية و يطلق سراحهم ، لانهم من قومنا فوافق رسول الله صلى الله عليه وسلم على راى ابى بكر الصديق و اطلق سراح الاسرى الذين ادى اقربائهم الفدية نقدا ، و الذين لم يستطع اقربائهم اداء الفدية وكان يعلم الاسرى القراءة و الكتابة فاطلقهم بشرط ان يعلم كل منهم عشرة اطفال من المسلمين القراءة و الكتابة ، و اما الاسرى الذين لم تقدروا على ذلك ايضا فاطلقوا مجانا .

وكان من جملة الاسرى عم رسول الله صلى الله عليه وسلم عباسا، فرغب الصحابة فى اطلاق سراحه دون ان يطالب بالفدية ، ولكن عباسا كان غنيا فلذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم بان يطالب ولم يبرز شيئا من التسامح مع عمه .

و كذلك كان من جملة الاسرى ابو العاص ، وكانت زوجته زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم آنذاك فى مكة فطولبت بان ترسل فدية زوجها و تستخلصه من الاسر فارسلت زينب بنت خديجة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم مال الفدية فكانت فيه القلادة التى اعطتها امها خديجة رضى الله عنها كهدية الزواج ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك القلادة تجددت ذكرى خديجة الكبرى رضى الله عنها فبكى مع ضبط نفسه . وقال لاصحابه :

ان وافقتم على ردها الى زينب فردوها .

فلم يكن هناك مجال الانكار لاحد ، فوافق الجميع على ردها فردت اليها

نظرة على غزوة بدر

كانت غزوة بدر اول غزوة قادم فيها المسلمون الكفار فى نظام و تشكيل حربى ، و لذلك فى اول الامر اخذهم بشئ من التردد و الاحجام فى التقدم ، و لكن لما استيقنوا ان الله يحب مقاومتهم الاعداء فنزلوا فى ساحة القتال متوكلين على الله ، و قالوا متوحدين فى الكلمة : ان امرتنا يا رسول الله ان نصادم امواج البحر لصادمناه

فاشتبكوا مع العدو الذى كان ثلثة اضعاف منهم دون احجام وتردد .

و هنا يجب ان نقف وقفة تاملات :

(١) ان اظهر هولاء عباد الله المخلصون المطيعون المجردون عن السلاح الضعف و الجبن فى تلك الحرب — لاسمح الله بذلك — و انهزموا لكانت خريطة العالم على غير ماعهدت ، ولما اطلع احد من خارج العرب على ان عبدا مباركا جاء لتبليغ رسالات ربه و للهداية الى طريقه ولجهلت الدنيا الاسلام ، و سار فيها ظلام الكفر والضلال

و لذلك لاتدانى تضحيات ابناء الاسلام المتاخرين الذين قدموها فى سبيل الدين الحنيف تضحيات اصحاب بدر ، و ان كانت تضحياتهم جسيمة و ثمينة ازاء تضحيات البدريين من اعتبارات اخرى ؛ ولاشك ان تضحيات المتأخرين ساعدت على ازدهار الاسلام و انتشاره ، فى العالم ، الا انه لم يكن فى ذلك الوقت خوف انطفاء مصباح الاسلام وضآلة نوره فان الاسلام كان فى ذلك الوقت راسخ الجذور بالنسبة الى ما قبل .

و الشئ الذى يفتخر به الصحابة الكرام و بخاصة اصحاب بدر

هو انهم سقوا بدمائهم غرس الدين الحنيف الذى تحول شجرا ضخما وارف الظلال فيما بعد ، و لذلك اصبحت لغزوة بدر صفحة مشرقة و اهمية كبرى فى تاريخ الاسلام ، و الصحابة البدريون رضوان الله عليهم اجمعين يفضلون على سائر الامـــة ، و يمتازون عنها علوا و شرفا .

(٣) لم يخرج المسلمون لهذه الحرب متأهبين ، ولم يكن هناك اى استعداد من قبل كما تدل على ذلك رواية كعب بن مالك التى رواها الامام البخارى فى صحيحه :

ان المسلمين ارادوا بالخروج من المدينة الهجوم على عير قريش فحسب ، و الحرب قد وقعت بصورة مفاجئة ، و الصحابة كانوا ثلث العدو عددا ، و كانوا شبه مجردين بالنسبة الى قلة السلاح ولذلك لما وصلوا الى وادى ورقان و علموا انهم سيواجهون جيش العدو الجرار بدلا من القافلة ففزع بعض منهم .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستغرقا فى الدعاء ، وجعل يدعو ربه و يناجيه مطرقا ساجدا امامه يقول : اللهم ان تهلك هـذه العصابة من اهل الاسلام فلايبقى احد فى الارض يعبدك . و ان اباجهل كان بدوره يدعو ايضا اللهم اهلك منا من يقطع الرحم و يفسد فى الارض .

و لما فتح المسلمون عيونهم فى تلك الحرب على بشاشة الفوز و الغلبة و اذعن المسلمون و الكفاران هذا الفتح ليس من المفاجأة بل فيه حكمة الله وكانت مشيته تقتضى ان يشتبك الباطل بجيشه واعوانه مع الحق ، و يظهر على العالم كيف ينهزم الباطل امام الحق و يعلو الحق امام الباطل ، و الى ذلك اشار سبحانه تعالى فى قوله :

" اذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق بكلماته و يقطع دابر الكافرين ليُحق الحق ويُبطل الباطل ولو كره المجرمون[1] "

(٣) ذكر الله فى كتابه الحكيم لما فاز المسلمون فى تلك الحرب بعض الآداب فعلّمهم كيف يكون سلوكهم اذا ارادو الانتصار امام الباطل فقال :

" يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكرو الله كثيرا لعلكم تفلحون ؛ و اطيعوا الله و رسوله و لاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ".

فمعنى الآية : ان ارغم العدو المسلمين على الحرب واضطر المسلمون الى الاشتباك معهم فعليهم ان لا يخافوا ولايترددوا ، بل لهم ان يتقدموا الى الدفاع عنهم بالهمة العالية ، و ان يكونوا مرتدين برداء الثبات و الاستقامة ، و ان يكونوا معتمدين و متوكلين على قوة الله و لا ينظروا الى قلة عددهم وضعفهم ، وان تكون افئدتهم عامرة بذكر الله ، و السنتهم ناطقة بتسبيحه وحمده لان مفاتيح الفوز و النصرة فى يد الله سبحانه و تعالى ، وهومالك كل شيئ .

و للمسلمين ان يثبتوا مع ذكرالله بالقلوب و الالسنة ، انهم عباده المخلصون المومنون به باتباع ما امرهم به ، و الامتناع عن ما نهاهم عنه ، و ان يطيعوا الرسول ، لان الرسول يامر بما هو كائن من الله عزوجل .

وكذلك يجب على المسلمين ان يكونوا مسلحين بسلاح الوحد

(١) سورة الانفال ...

الاسلاميه ، و ان يكونوا مؤتلفى القلوب و موصولى الاقدام ، ولا يسودهم الاختلاف ، فان اختلفوا وتنازعوا فتنهار هممهم ، وتنكشف اسرارهم و تذهب ريحهم فيمزقهم العدو شر ممزق منتهزا فرصة تنازعهم".

ولا شك ان هذا الطريق وعر شائك تعترض لهم فيه العراقيل و هم يضطرون الى التدرع بالصبر و الاحتمال ، فان صبروا و تحملوا المكاره و الشدائد فلينصرنهم الله ، و يكون النجاح لهم حليفا ، و يكونون مكللين بالغلبة و الفتح دائما .

(٤) حصلت للمسلمين النصرة الغيبية السماوية فى تلك الحرب ، و ان هذه النصرة ذكرت فى عدة آيات من القرآن الكريم فقال الله سبحانه و تعالى :

" اذ يوحى ربك الى الملئكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا . سالقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان"

"روى عن عدة صحابة رضى الله عنهم فى كتب الحديث أن احدا منهم يطارد احدا من العدو بفرسه ليقتله و يضرب عنقه ، و لكن ماكاد ان يضربه حتى يجد راسه ملقاة على الارض" .

و لكن هذه النصرة الالهية لم تشمل الصحابة الاحينما استعدوا للاستشهاد معتمدين على الله فى سبيل الحق ، و نظموا الصفوف ازاء العدو الذى كان ثلثة اضعاف منهم ، و ما تخلوا عن التضحية بنفوسهم الثمينة العزيزة

و تروى الاحاديث الشريفة ان النبى صلى الله عليه وسلم طرئت عليه رقة وخشية عند ما حمى الوطيس فى بدر و احتدم اهل الحق باهل الباطل .

وكان رسول الله صلی الله علیه وسلم یدعو ربه رافعا یدیه فی فزع و اضطراب ، و کان ردائه یتساقط عن منکبیه لشدة انابته الی الله ، و کان ابوبکر واقفا الی جواره فرق قلبه لمارای من حالة النبی صلی الله علیه وسلم فقال و هو یسوی ردائه علی منکبیه : یا رسول الله لاتفزع الی هذا القدر ، فان الله لینجزلك ما وعدك ... فغشی النبی علیه الصلوة و السلام النعاس ثم افاق فقال رافعا راسه :

"ابشر یا ابا بکر فان جبرئیل جاءکم بالفتح و النصرة".

فیدلنا هذا التفصیل علی ان الله سبحانه وتعالی لینصر اهل الحق عند اصطدام الحق مع الباطل ولکن اذا برزوا لاعلاء کلمته ورفع شانه بشرط ان یتهیأوا للخروج فی سبیل الله متفانین و متماوتین للحق و یبذلوا اقصی جهودهم فی اثباته ، و یوجهوا کل طاقاتهم لنصرته و ان لم یفعلوا مثل ذلك فما نالوا من النصرة شیئا ابدا کما لم تکن تحصل هذه النصرة لرسول الله صلی الله علیه و سلم و اصحابه الکرام وهم قاعدون فی بیوتهم .

ففی هذه الوقعة قد تجلت مواقف رجال اشرأبت نفوسهم بالایمان فکانت قاعدتهم القویة ، و دعامتهم المتینة و رکیزتهم الثابتة هی الایمان بالله وحب رسوله صلی الله علیه وسلم و تفانیهم فی سبیل الحق و صمودهم امام الباطل .

ففی ذلك عبرة لمسلمی الیوم الذین یالیتهم ادرکوا ما فقدوا و یالیتهم عادوا الی رشدهم و استیقظوا من سباتهم العمیق .
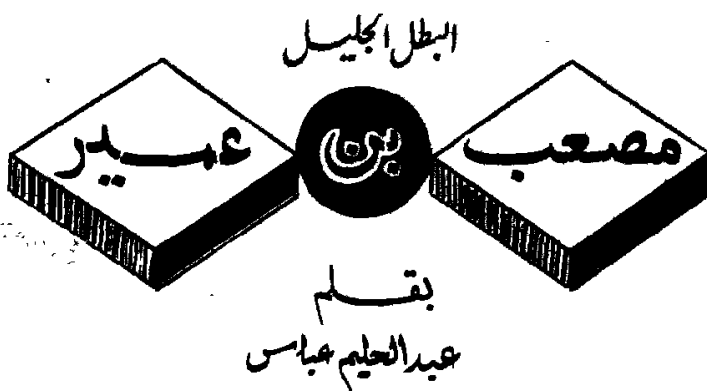
هو مصعب بن عمير ابوهشام بن عبد مناف . في الذؤابة من قريش ، نسبا و في الذؤابة منها غنى .

و امه "خناس" ليست دون ابيه غنى ، وهو بعد فتاهما المدلل يعطيانه كل شئ من الحب و المال فكان ازهى الشباب ثوبا في "مكة" يزهر وجهه كالقمر ، ريان الشباب و الفتوة ليس اجمل منه مختالا في مكة .

ثم هو ، يركب مهره و على المهر قطيفة سوداء من الجوخ الغالي و يغدو الى مزارع ابيه في الضريبة ، ياسر القلوب و يصبح شوقا الى كل فتاة في مكة . و لدني النعيم ، و ترعرع فيه صبيا .

و لكن الفتى الناعم المدلل كانت له نفس صافية فما هو الا ان يذهب الى دار الارقم بن الارقم ، و يتسمع الى حديث « محمد » و الى هذه الآيات الكريمة التي تنزل من السماء حتى تتشربها روحه و هو اذ يديرها في فكره يرى انها تدعو إلى غير ما الف قومه من حياة الدعوة الكريمة إلى الحياة المترفعة الكريمة ، يترقرق النبل والخير في حواشيها كما يترقرق الماء في خيوط الزهرة النضرة ، او النور يتسرب مترقرقا جميلا في حواشيها .

ان هذه الحياة هي النور .

وان الحياة التى يحياها و تحياها قريش لهى الظالمة .
و تتداعى فى نفسه العفة مثل هذه الافكار فاذا هو لايفكر الا فيها و
يشغل باله الا بما يدعو اليه — النبى الكريم — من عبادة واحد
حد هو الخير ، و الجمال و العدل ، و ما تدعو اليه قريش من
عبادة صنم ، لايدل على خير ، و لايشير الا الى بغى وضلال .
انه يوازن بين الدعوتين ، دعوة الخير ودعوة الشر ، هو مشغول
بهذا بالنهار ، و مشغول به فى الليل تطوف به الاحلام الغريبة التى
لم يعهدها . راى فى ليلة النار ، تأخذ على مكة جوانبها ، وهو يحاول
ان يبتعد عنها جاهدا لينجو بنفسه و لكن والده ياخذ عليه سبيله ، و
يحاول ان يلق به فيها
و يحلم فى ليلة اخرى ان الظلام يلف مكة فلايبين منها بيت ، ولا
يظهر فى عتمتها انسان ، ثم يطل البدر من وراء الأفق حاليا وصفحته
ريا من الحس و النور فينيرها و ينير شعابها و يدرك الفتى المرهف الحس
خلال مايعانيه من الحيرة اية طريق يجب ان يسلك فيذهب الى
حيث ينطق بالشهادتين وياخذ مكانه بين اخوته من المسلمين .
و تبدأ الماساة ، و يسمع الوالد و الوالدة بالخبر فيجن جنونهما ،
و يضربه الوالد الضرب المبرح ، و يحبسه ويقيده ، و يبقى الولد
صابرا محتسبا مقيما على عقيدته فيقسم الاب و الام على ان لا يمنحاه
شيئا من مالهما ، و بالقسوة القلوب فقد اذهب الشرك ما فيهما
من حنان .
و لايبالى الفتى فقد اصبح راضيا ، بما عند الله يجوع فلا يالم ولايراه
اصحابه الا فى الثوب الممزق ، و لقد راه رسول الله مرة وهو قادم
اليه فى اثوابه المهلهلة فالتفت اليه و ابتسم فى رضى وقال الحمد لله ،

لقد رأيت «مصعباً» وما في مكة فتى من قريش انعم عند ابويه نعيماً منه ثم اخرجه من ذلك كله ، الرغبة في حب الله و رسوله . .

و تفقه في الدين فقد كان قارئا و ذهب مع رجال البيعة الاولى من اهل يثرب الى "يثرب" يعلم اهلها الدين فانتشر به .

و لما عاد الى مكة مع رجال البيعة الثانية جعل وجهته اول مادخلها حيث الرسول الامين فعتبت عليه امه و اتهمته بالعقوق .

و لما ذهب الى لقياها قالت له تجئ الى مكة فلا تزورني ، اهناك من هو اولى بالزيارة مني ؟ فيرد عليها : نعم هناك — محمد — صلوات الله عليه اولى بالزيارة من كل احد .

و عند ماتقول له انظر الى نفسك الا ترى ما اورثك العناد ، ان اثوابك ممزقة ، و انك لاتاكل الا ارداً الاكل ، هذا ، ان وجدته اشفق على نفسك . . . فيرد عليها ، لقد اشفقت عليها كثيرا ، فاخترت لها الاسلام ، ان ماتتحدثين عنه لعرض زال ، اما الشئ الذى نسعى اليه ، فقد دق على افهامكم ، اننا نطلب رضى الله وجنة عرضها السموات و الارض اعدت للمتقين .

و تهدده الام ، التى اراق الشرك ، مافي قلبها من حنان ، بالقيد و الحبس ثانية و لكن الفتى و قد تصلب عوده يقول جادا اذن ساقتل كل من يقدم على حبسى ، و اعاقنى عن الدعوة للاسلام .

و يعود الى المدينة حيث يلتقى بعد ذلك بحبيبه رسول الله ص و اخوانه من المهاجرين عندما هاجروا .

لزم مجلس الرسول ص يسمع له ، و لايراه احد الا في اثوابه الممزقة ، و لا ياكل الا ارداً الاكل و قد عاف الجاه و المال ، و انه بحياته الحاضرة التى يملأها الاسلام مطمئن النفس و البال حسبه ماعند ربه ،

و ان من آيات الكتاب الكريم ،يتلوها فى الليل و قد رقت حواشيه لتسوى عنه كل ما خلف فى مكة من مزارع وضياع .

و تكون الخاتمة وقعة بدر،خاتمة رائعة من البطولة يستحقها هذا الفتى الرائع بايمانه لقد كان يحمل الراية فقطعت يمينه ثم يساره فانحنى عليها فدق صدره بالرماح ، و رفعه الله الى الجنة ،التى وعد .

و لما انتهت المعركة افتقده الرسول الكريم ﷺ اهو قتيل اوجريح ..؟ فاخذ المسلمون يبحثون عنه . وجئ بجثة الشهيد فترحم عليه الرسول ﷺ و المسلمون كثيرا ثم واراه اصحابه التراب .

وكان اصحاب الرسول الامين بعد ما افاء عليهم من الفتح يترحمون عليه و يقول كل منا اصحاب الرسول ﷺ وافاه الله نصيبا فى هذه الدنيا غير مصعب ، و سيجزل له العلى الكريم الثواب . استشهد فلم نجد ثوبا نكفنه به غير رداء قصير و قصر عن ان يغطيه كله ، فاذا ما غطينا وجهه به انكشفت رجله و اذا ما سحبناه الى تحته انكشف راسه .

و هكذا تكون النفوس المومنة .

انهم الرجال المسلمون الاولون باعوا عرض الحياة الدنيا بما عند الله ، و هو خير و ابقى ، و خلصت نفوسهم كلها الى الاسلام الذى هو الخير و الجمال و الحق ، فليس فيها مكان لمطمع ، او رغبة فى عرض من عروض هذه الدنيا الفانية .

و بهذا الايمان استطاعت جيوشهم التى كانت تجاهد فى الصيف وتغوب بالسيف ، وكل زادها حبات من تمر ان تراكض خيولها ،من المشرق الى المغرب ، وفى قارتين آسيا و افريقيا ،ثم تصهل على ابواب القارة الثالثة، اوربا عبر الاندلس حيث جعلوا رحالهم يحكون بكتاب الله حتى قيل عنهم ما عرف التاريخ فاتحا اعدل من العرب !!...

تعريب : ظهير انوار البستوى

القضاء والقدر

للمغفور له الشيخ محمد بدر عالم
من علماء دار العلوم

تعريب : ابوبكر الغازيبورى

مسئلة القضاء و القدر مسئلة عويصة معقدة جدا ، و من الصعب على من يقر بوجود الله و يؤمن به انكار القضاء و القدر، فيتحتم ان نتمسك بعروة الاعتدال وطريق الوسط ونتحرز من الافراط و التفريط ، و نسلك فيها مسلك الشريعة المعتدل ، لان الحياد عنه يؤدى بالانسان الى انكار القدر انكارا باتا ، و الانسان يصبح شريكا له فى خلقه ، او يعود فيعتقد بجبر الانسان المحض . ونظرا الى اهمية المسئلة اقدم هذه السطور عسى ان تنحل بها بعض نواحيها المعقدة الملتوية ، ان لم تنحل نهائيا .

ان جميع النحل الاسلامية قد اتفقت كلمتها على ان كل ما يجرى فى هذا الكون ، وجميع مايحدث على الكوكب الارضى والسماوى من احوال وشئون ، و وقائع ، وحوادث يعلمها الله من الازل ، و يدل الكتاب و السنة على ان كل ما هو الكائن الى يوم القيامة ،قدجف عنه قلم القدر ، و هو محفوظ و مضبوط فى السجل الالهى المعبر عنه بلوح المحفوظ . . . فقد اصبح الان من المستحيل ان تتحرك ذرة خلافه .

ومن هنا نشأ البحث عن افعال الانسان وحقيقتها . انعتقد بكونه مجبورا محضا في افعاله واعماله ، ام نعتقد بكونه مختارا ، واذا وصفناه بالاختيار فيعني هذا انا قد اقررنا له بكونه موصوفا بصفة القدرة و الاختيار ، ثم الاعتقاد بكونه مجبورا لايبقى له معنى ومفهوم ، فان ونه مجبورا يلزمنا ان ننفي عنه هذه الصفة ، فنقطة البحث ومجاله الآن افعال العباد .

و اذا افسحت نظرك و اجلته في السكون وجدت امامك ضربين من المخلوقات :

احدهما مسخر و تابع للارادة الالهية خاضع لها كل الخضوع ليس لقدرته تاثير في افعاله وحركاته اصلا ....و من هذا النوع الفلك وحركته و الارض وحركاتهـا ؛ فكل يعلم ان حركة الفلك والارض .. تابعة للارادة الالهية خاضعة لها ليس لحركاتهما دافع آخر .

و الضرب الثاني : خلق متصف بالقدرة و الاختيار ، وتتفرع من هذا الضرب ثلثة اضراب أُخَر :

الاول : مخلوق لايريد الا الخيرفحسب ، و ليست له قدرة على ان يرتكب الشر في حال ما ، وهم الملائكة فشأنهم كما بينه الله لا يعصون الله ما امرهم ، و يفعلون ما يومرون ، وقد جمع الله في هذه الآية النفي و الاثبات كليهما تاكيدا لحالهم وشانهم .

و الضرب الثاني : من خلق الله عكس هذا النوع ، و هم الشياطين فانهم لا يقصدون غير الشر

و الضرب الثالث : فهو يتصف بالصفتين المذكورتين كلتيهـا ... و انه يباشر الخير و الشر جميعا ، و هذا هو الذي نسميه بالانسان .

و للانسان ايضا انواع ثلثة ، فمنهم من يتغلب عقله و ايمانه و معرفته بالله على اهوائه و رغباتها النفسانية ، و هذا الذى يبلغ مقام الملائكة فى صفاته وكماله .

و منهم عكس هولاء وهم اخوة الشياطين ، و منهم من يكون عقله مغلوبا بالرغبات النفسانية ، وتتحكم فيه اهوائه الشيطانية وهم اللاحقون بالبهائم و الحيوانات ... !

و ان هذه الانواع من المخلوقات كلها كما ان وجودها فيض من الله ، كذلك ارادتها و قدرتها منحتان الهيتان لها .

و نحن لما ننظر الى هذه المسئلة نظرة عامة من غير تحرض للاصطلاحات و تفصيلات المذاهب فينشأ فينا اذعان ان الانسان قد جعله الله يوصف القدرة والاختيار ، وهذا امر لا مجال فيه للشك والانكار و من ينكر هذا فانه ينكر البداهة الوجدانية . و الحقيقة المقررة الثابتة ، و هذا لان كل شخص حتى الاطفال يميزون بين الحركة الاختيارية و بين الحركة الارتعاشية ، وهذا بين واضح ، وكذلك من الواضح ان صفة الاختيار و الارادة التى يتصف بها الانسان ضعيفة ضعف صفاته الاخرى وعرضة للاضمحلال و التعطل . . . فانك ترى الانسان يسمع و يبصر ولكن قوة سماعه و ابصاره تتعطل اذا كان هو فى مسافة بعيدة ، فمع انه يوصف بالسميع و البصير ولكن صفة سماعه وكذلك صفة ابصاره لواهنة جدا .

و من هنا قد اتضح ان هذه القوى تعمل بشرائط اذا انتفت لايستطيع الانسان ان يبصر و يسمع ، و حينئذ يكون الانسان عاجزا و معذورا .

و مع كونه معذورا فى هذا الحين هل يمكن لاحد ان يقول انه

لا يتصف بصفة السماع و الابصار...؟

ونعتقد ان الجواب يكون من الجميع بالنفي ، ولا يكون هنا رأيان متزاحمان وقولانان متضادان ، فان افراد الانسان جميعهم يتفقون على ان الانسان رغم هذا العذر انما يوصف بالسمع و البصر وان كانت هذه القوى تفقد تاثيرها لمانع خارجي .

و بعد ان ثبت هذا و تحقق فانه ان كانت صفة الاختيار كذلك ضعيفة ، و يظهر تاثيرها فی حد معين بشرائط مخصوصة ، و ينفقد اثرها عند انعدام هذه الشرائط ؛ فهل من المعقول و المسوغ ان نكر هذه الصفة مبدئيا ؟ ، و هل من الضروری لتحققها ان يكون تاثيرها وعملها فی كل شئ و فی كل حين ؟ ، فليس من المعقول ان نجحد هذه الصفة التی يتصف بها الانسان لاعتواء الضعف و الاضمحلال فيها ، مع ان وجداننا يشهد بوجودها ، وكذلك ليس من اللازم و الضروری بعد ان سلمنا و اقررنا بوجود صفة الاختيار فی نفوسنا علی شهادة الوجدان و العقل ان يكون لاختيار الانسان عمل فی كل شئ و يشاهد تاثيره فی كل مكان وفی كل حين و آن .

و بعد ان اصبح هذا محققا وثابتا نصارح عن اعتقاد و ايمان وعقيدة و اذعان ان الانسان قد حلاه الله و زينه بصفة الاختيار و القدرة ، و انه ليس عاجزا محضا كما يتخيله بعض الجهلة .

نعم نملك الاختيار و القدرة !! و لكن ليس لنا قدرة على اختيارنا وقدرتنا ، فانه ليس فی وسعنا ان نصرف هذا الاختيار و القدرة الی ما نشاء و نستعملها كيف ما نريد . فان اختيارنا خاضع لامر الله و حكمه ، و قدرتنا خاضعة لقدرته و اختياره

فمثل الاختيار الذی نوصف به مثل الحجارة المدحرجة ، فكما

ان هذه الحجارة ليس في امكانها وقدرتها ان تنحرف من الجهة التي دحرجت اليها باختيارها وقدرتها ، فكذلك الانسان ليس في وسعه واختياره ان يصرف اختياره عما اراد الله سبحانه وتعالى ان يستعمله فيه .

وجملة القول ان العبد كل ما يفعلـه يفعل بقدرته واختياره الا ان اختياره لا يشاء الا ما يشاء الله . وليس في قدرته ان يجعل جهة اختياره غير ما يشاء الله . فان العبد مع كونه مختارا في افعاله واعماله ليس هو بقادر على اختياره ، فاننا مختارون لاننا نستعمل اختيارنا في اعمالنا وتصرفاتنا ؛ ولكننا مجبورون لان اختيارنا ليست لنا قدرة عليه فانه لا يقتضي الا ما تقتضيه القدرة الالهية .

وتبين من هذا اننا لسنا بمعزل عن الجبر على الاطلاق ، ولكن هذا الجبر يمتاز عن الجبر المحض المطلق .

والفرق بينهما ينجلي واضحا فيما اذا كان المؤمن يسـر غم ان ينطق بكلمة الكفر فانه يتلفظ بها مكرها مرغما ، ولكنه يشعر في داخل نفسه بمزاحمة الجبر الخارجي ، اوكما ان المنافق يشهـد بالكلمة خوفا منـه ، الا ان هذا الخوف الظاهري يزاحم ارادته الباطنية ولكن الذي يفرق بين هذا وبين ما نحن بصدده هو ان الانسان مع انه يوجد في ارادته نوع من الجبر لا يشعر باية مزاحمة في ارادته واختياره وانه يتصرف في تصرفاته باختياره المطلق ، ويعمل مايشاء من غير شعور بضيق وحرج وتزاحم نفسلي ؛ حتى انه ان قيل له ان القـدرة الالهية هي التي تحكم على اختياره ، وان اختياره تابع للحكم الالهي وان الانسان يوجد في اختياره نوع من الجبر ؛ ....

.... فانه لايصغي الى هذا القول ، ولا يلتفت اليه بباله . فكمـا ان

جبر الانسان يتميز من الجبر المحض كذلك اختياره ايضا يختلف من الاختيار المطلق .

وهذا لانه قد تحقق فيما سبق ان الانسان ليس فى قدرته اختيار ما يشاء بل الذى فى قدرته ان يختار ما منحه الله القدرة على اختياره .

و ملخص القول ان الانسان حر فى افعاله و اعماله و اختياره يفعل ما يشاء ، و لكن اختياره هذا مقهور بالقدرة الالهية ومغلوب بمشية الله .

و بعد ان اتضح هذا فليقل من يشاء ان الانسان مجبور ولكنه ليعرف انه ليس مجبورا محضا ليعذر فى افعاله وتصرفاته .

و من عجيب شان الخالق انه خلق الانسان بقدرته الكاملة وجعل بيده و قدرته زمام اختياره من غير ان يشعر الانسان بادنى جبر فى نفسه او السر فى ذلك كما سبق تكرارا ان الانسان قد جعله الله حرا فى تصرفاته ، و مختارا فى افعاله و اعماله من غير ان تكون قدرته و اختياره تحت قدرته ، بل ان زمام اختياره بيد الله يصرفه الى ما يشاء ، و الانسان لا يستطيع مع كونه مختارا ان يتحرك حركة بارادته .

فالاختيار المطلق صفة خاصة بالله ، ليس له شريك فيها غيره ، و قد كتم الله من عيون الانسان الاسرار الغيبية من القضاء والقدر و من ذلك ترى الانسان يدعى — مع كونه مجبورا — انه مالك اختيار امره و قادر على افعاله لايرى حاجزا دون اختياره و قدرته ، و حيث انه لايشاهد شيئا يزاحم ارادته فلا يشعر بذلك الجبر الذى قد خلقه الله فيه .

وإذ أنه قد انكشفت حقيقة جبر الانسان واختياره انمحت من هنا عقدة كونه مسئولا عن اعماله و تصرفاته ، فانه اذا ثبت بحكم وجدانه و شعوره انه مختار فيما يفعل و يتصرف ، فهل ليس لـه ان يكون مسئولا عن اعماله ؟ .... لان الجبر الذى قد وضعه الله فى طبيعة الانسان لم يكن به علم له الا ان اطلعه عليه الانبياء و الرسل عليهم السلام .

و من الواقع الغريب ان الانسان إما ان يود ان يكون مختارا مطلقا ، و لا يحب ان يسمع كلمة من جبره ، و مع كونه مسلما و مؤمنا ياتى بالدلائل و البراهين لان يثبت انه مختار اختيارا كليا ... و اما ان يتطرف فيذعن لجبر القدر اذعانا ، و يخلع عن رقبته مسئولية اعماله على الاطلاق ، و يؤمن بكونه مجبورا محضا لا قدرة له و لا اختيار ، و انه عضو معطل منطاع للقدر يعمل به كيف يشاء ، و هو فى ذلك يسلك مسلك المعاندين ، و يخوض فى بحث العذاب و الثواب ، و لقد صدق الله حيث قال :

و كان الانسان اكثر شئ جدلا .

الناس والحق

اكثر الناس يحبون الحق، و يحبون نصرته ولكن ينتظرون من يجهر به ليكونوا اتباعه .

• • • •

ية المنشور فى الصفحة (٨)
فى هذا غبن كبير لنا و للعلم و الدين ، لان تلك الكتب ألفت لخدمة
الدين و الاسلام فلا يجوز قصرها على مجموعة من الناس ومنعها عن
مجموعة من الناس ، بل ان من اوجب الواجبات العلمية و اداء حق
المعرفة ان تترجم تلك الكتب النفيسة الى العربية لتستنير بها عيون و
قلوب ظمأى اليها جدا ، و هذا الحق الثقيل لاينهض به فيما اخال
الا علماء هذا المعهد العامر الزاخر بالعلماء و الطلبة النجباء.

و انا اذ اسجل شكرى لهم جميعا لما لقيت فى ظلهم الوارف من
الحفاوة و المحبة الفياضة اسجل لهم راجيا متطاولا : المطالبة
بالنهوض بهذا الحق اداء لخدمة الدين اذ ليست علومهم ملكا
للهند فقط بل هى ملك الاسلام و المسلمين على اختلاف اقطارهم ،
بل هى ملك للناس و البشرية جميعا ، فالحق ان تيسر للناس جميعا.

و قد استبشرت خيرا بما علمت ان ادارة المعهد بمجلس الشورى
فيه آخذة بهذا العبء العظيم و الحق العظيم المتوجب على علماء
الهند وطلابهم خاصة . فلهم خالص شكرى معجلا . و ارجوا من
الله عز وجل ان يعينهم على اداء هذا الحق و ايصاله مستحقيه
من افراد العالم ، و ليس بذلك على الله بعزيز . و لا على
همهم ببعيد .

وكتبه شاكر الايادى وضيف هذا النادى العبد الضعيف
عبد الفتاح بن محمد ابو غده ، خادم طلبة العلم بمدينة حلب
من بلاد الشام ، وتلميذ العلامة الإمام الكوثرى رحمه الله
تعالى و رضى عنه .

بقلم الاستاذ بهى الخولى

"و يسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربى و ما اوتيتم من العلم الا قليلا" .

هل يستطيع احد ان يصف لنا الصدق : ما لونه ، و ما وزنه ، و ما حجمه ، و ما طعمه ، وما هيئته ، و ما تركيبه ؟ .

ان احدا لايستطيع ان يفعل ذلك ؛ لان الصدق شئ لا لون له ولاطعم ، ولا وزن له ولاحجم ، و لاهيئة له ولا تركيب !! و مع ذلك فان احدا لايستطيع ان ينكر ان الصدق قوة فاعلة لها اثرها فى واقع الحياة !! و لست اعنى اثرها الاجتماعى حين يتخذها الناس دستورا لاقوالهم و اعمالهم ؛ انما اعنى اثرها الخاص فى نفس صاحبها باعتبارها قوة دافعة تجتاز السدود و تحطم القيود، وتهدر كل اعتبار يعترض سبيلها ، او يتعارض مع غاياتها و اهدافها ، فكم رأينا الصدق يهدر الصداقة و يتخطى بصاحبه كل الموانع والعوائق المعنوية ليقول الحق ضد مصلحة صديقه ؛ وكم رأيناه يهدر كل اعتبارات البنوة و يحطم موانعها العزيزة ليقول الواحد الحق ضد مصلحة ولده ؛ بل كم رأيناه يجتاز بصاحبه كل اعتبار للمصلحة الخاصة ليقول الحق على نفسه وهو غير آسف على ما يفوته من نفع ، ولا

وجل مما يلحقه من اذى .

فالصدق ـ اذا ـ قوة كامنة فى النفس لها اثرها الواقعى ، و هو مثل نفوته للعوامل الروحية التى لها آثارها الملموسة فى الحياة دون ان ترى بالعين ، او تلمس باليد ، او تدرك بحاسة من الحواس ، فاذا تقرر هذا سهل لنا ان ندرك شعاعا من اشعة معنى قوله سبحانه :

« و يسألونك عن الروح ، قل الروح من امر ربى ، وما اوتيتم من العلم الا قليــلا » . . . .

ولا اقول ان الروح كالصدق ، او ان الصدق كالروح : انمـــا اقول انهما يلتقيان فى ان لكل منهما وجوده الواقعى الذى لاينكر دون ان يكون له مادة تتألف منها اجزاءه .

و قد نفخ الله سبحانه فينا سرا من روحه ، فكان الصدق والامانة و الشجاعة و نحوها ثمر من ثماره . . . .

و محاولة الكشف عن حقيقة هذا السر ضرب من الجهود الذاهبة سدى مادامت حواسنا العادية هى سبيلنا الوحيد لما نحصل مـــن علم ومعرفة ؛ وحسبنا فى مقامنا هذا ان نتكلم عنه باعتباره افقا مـــن آفاق الانسان ، و موهبة من مواهبه الجليلة ، لها اكبر الاثر فيما اسند اليه فى هذه الارض .

و من الملاحظ ان الله سبحانه لم يقل فى الملائكة او الجن انه نفخ فيهم من روحه ، بل جعل ذلك خصوصية للانسان وحده ؛ فـــلماذا امده سبحانه بها ؟ ؟ !

هل وهبها له ليعبده بهـــا ؟

ان العبادة ليست هى العلة التى اوجبت اختصاص الانسان بتلـــك الخصوصية ؛ فالملائكة يعبدونه سبحانه دون حاجة اليها وكذلك الجن .

انما تظهر العلة اذا لاحظنا — الى جانب الملاحظة السابقة — ان الله جل شانه لم يقل فى الجن ولا فى الملائكة انه جاعلهم خلفاء فى الارض ، بل خص الانسان وحده بذلك ؛ فمن خلال الارتباط الوثيق بين خصوصية بالروح وخصوصية الخلافة تنقدح العلة الصحيحة ، ويسوغ لنا ان نقول ان تلك الروح هى الملكة الربانية ، او هى الجهاز الالهى — ولله المثل الاعلى — الذى جهز به الانسان ليؤدى به كثيرا من حقوق ما اسند اليه .

ان الخلافة ميدانها الارض ، وهى خلافة عن الله سبحانه وتعالى فلزم ان يكون للخليفة مواهب تناسب طبيعة العمل الارضى البحت ، واخرى ذات روح إلهية لاتمت الى الارض بصلة ، ولا تستفيد منطقها من العمل فى الارض ؛ بل من نور الله وفضله سبحانه

@★@

ولقد قلنا فيما سبق ان تلك الروح تحيى فى كيان الانسان كائنا روحيا له حياة تخالف طبيعة حياة البدن ... فاذا ساغ لنا ان نقول ان للرجل المومن كيانين : كيانا ماديا هو البدن ، وكيانا معنويا هو الكائن الروحى ، وان السر الذى يحيا به البدن غير السر الذى يحيا به الكائن الروحى ؛ اذا ساغ ذلك فان لنا ان نلتمس آثار الحياة ومظاهرها فى ذلك الكائن المعنوى . كما نلتمسها فى الكائن المادى ، فان للحياة فى كل شئ حلت به آثارا ومظاهرا !!

وان من آثار الحياة فى البدن الحركة ، او القدرة على الحركة وانجاز الاعمال ؛ فهو الذى يحرث الارض ، ويتعهد الزرع ، ويطرق الحديد ، ويتصرف بجوارحه فيما هذه الارض من ثروات : فهل للكائن

الروحي من اثر في محيطه المعنوى يقابل اثر البدن في محيطه المادي؟ نعم له في محيطه المعنوى آثاره الروحية الباهرة ؛ فالحب و الاخاء، و الوحدة و التعاون على البر و التقوى ، و الصدق والمواساة والشجاعة في الحق ، ذلك وامثاله من الصفات التي يثمرها الايمان في قلوب المومنين انما هو الاثر الواقعي لنشاط الحياة الروحية في الكائن المعنوى على ما اسلفنا في غير موضع ... بل ان سر تلك الموهبة يتعدى الميدان الروحي الى الميدان الحسي ؛ فيمد صاحبه في اعماله بطاقات من القوة — من مصدر غير منظور — يهون بها العسير ، ويقل في همتها الكثير ويمحي بها في ميدانه كل مشقة :

"ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا " .

و لقد شكت فاطمة رضي الله عنها لابيها عليه الصلوة و السلام ما تجد من مشقة الرحا حين تديرها لطحن طعامها و طعام بنيها ؛ فعلمها كلمات من ذكر الله سبحانه تقولها كلما امست ، قالت فاطمة : فلم اجد بعد ذلك ما كنت اجد من مشقة واذى .

هذا ، ومن آثار الحياة في البدن ان تهب له السمع و البصر وسائر الحواس . وكذلك حياة هذا الكائن الروحي تهب له سمعا و بصرا ، و لكنه سمع آخر ، و بصر على غير ما يعهد الناس من ابصار... فالسمع في البدن آلته الاذن ؛ و البصر آلته العين ؛ اما السمع و البصر الآخران فمركزهما جميعا القلب ، ولا آلة لهما ... و السمع و البصر الظاهران يتعلقان بادراك الصورة الظاهرة من كل شئ او كل صوت ؛ اما السمع الروحي و البصر القلبي فمن الحواس الباطنة التي تتعلق بادراك العبرة في كل قول تسمعه و في كل شئ تراه ؛ و العبرة رحيق يحيي النفوس ، و يلين القلوب ، لانه سر الله في كل شئ ؛ و لله في كل شئ سر لا يدرك

الابتلك الحواس .

فاذا لم يكن البدن يسمع او يبصر فهو اما ميت ، واما اصم او اعمى ؛ وكذلك هذا الكائن الروحى قد يعتريه الصمم او العمى ، اما لأفة ادركته ، او لموت حل به ؛ وفى امثال هؤلاء جاء قوله سبحانه : ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه و فى آذانهم وقرا و ان يروا كل آية لا يومنوا بها[1] » .

و تراهم ينظرون اليك وهم لايبصرون[2] »

و قد اعتبر الله سبحانه — و هو الاعتبار الحق — ان هذا الكائن هو كل شئ فى الانسان ، و ان نظر هذا الكائن هو النظر الحق ؛ فاذا اصابته آفة و احتجب عنه نور العبرة فهو اعمى . و لن ينفعه حينئذ ان يكون بصره العادى اقوى الابصار جميعا : « فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » ... وكذلك سمع هذا الكائن هو السمع الحق . و اما الاذن الاخرى التى ترى امثالها مركبا على رأس كل دابة فلا اعتبار لها فى تدبر الهدى ؛ و قد اسقطها الله سبحانه من حساب هذا الباب ، و لم يحدث لها ذكرا فيه كانها شئ غير موجود ، و انك لتقرأ مـــا جاء فى كلامه عن الهدى ، فلا ترى السمع الا سمـــع القلب وحده ، و لا ترى الحياة الا حياة هذا الكائن المعنوى ؛ و بدونهما فلا سمع للمرء و لا حياة ، و لا استجابة لما يتردد حوله من كلـــم طيب :

« انما يستجيب الذى يسمعون ، والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون[3] »

***

و للانسان منطق قائم على ما بينه و بين هذا الكون المادى من

---

(1) الانعام — ٢٥
(٢) الاعراف — ١٩٨
(٣) الانعام — ٣٦

علاقات و مشاهدات و تجارب ... او قل: ان فی الانسان قوة عاقلـــة فيها سر التجارب مع الاشياء الماثلة لحواسنا فی هذا الكون ، فنحن نری شخوصها ، و نسمع اصواتها ، و نشم روائحها ، و نذوق طعومها ، ونميز ملمسها ... و تقوم تلك القوة العاقلة ــ تبعا لتوالی الزمن و مـــرور التجارب ــ بادراك تلك المسموعات و المرئيات و المشمومات و المطعومات و الملموسات ، وعلاقة بعضها ببعض ؛ وعلی اساس ذلك كله تقوم خبرة العقل و احكامه علی الاشياء فيحكم ــ مثلا ــ بان الكل اكبر من الجزء ، و ان الواحد نصف الاثنين ، و ان النقيضين لايجتمعان و يحكم بان الحرارة تمدد بعض الاجسام ، وان الجسم اذا طفا علی وجه الماء فانه يكون مدفوعا من اسفل الی اعلی بقوة تساوی وزن الماء المزاح .. الخ

اقول : للانسان قوة مدركة يقع ادراكها علی اشياء هذا الـكون المادی ، و له مع ذلك قوة مدركة تهبها له موهبته الروحية الجليلة و لاتختص تلك الموهبة بادراك صور الاشياء الحسية فی العالم المادی بل بادراك الامور المعنوية التی ليست من طبيعة المادة ... فالخير و الشر ... و الحسن و القبيح ... و المعروف و المنكر ... و الفضيلة و الرذيلة ... و الحق و الباطل ، كل اولئك ــ وماماثله ــ امور معنوية لايدرك لها الحس صورة و لاكنها ؛ بل يدركها ذلك "العقل الروحی" الذی تهبه له موهبته الروحية ... وقد يری الرجل المؤمن ــ ای الرجل الراقی فی انسانيته ــ من المناظر ، فيحكم بعقله المنطقی بان هذا الشئ طويل و هذا الآخر قصير ، وذاك للون ابيض و ذاك الآخر اسمر . و يدرك موقع كل شئ بالنسبة للآخر ، فهذا فوق و هذا تحت ، وهذا الی اليمين وذاك الی الشمال

الى آخر ما هو من اختصاص العقل القائم على اوضاع المادة وخواصها ... وفى هذا المنظر نفسه قد يرى الرجل المؤمن بعقله الروحى منكرا تجب ازالته ، او شرا ينقبض منه ... وقد يرى فضيلة تبتسم لها سريرته . اوحقا لايملك نفسه من موآزرته وتاييده او غير ذلك من الامور المعنوية التى لاتقدر قيمتها بوزن اوقياس او ثمن ، انما تقدربموقعها من المثل العليا .

* * *

و الانسان يسعى لجلب رزقه العادى ، و يستعين فى ذلك بعقله الذى يدرك خواص الاشياء و سبل الانتفاع بها ... وله الى جانب هذا الزاد زاد آخر لابد منه لحياة كائنه الروحى ؛ و سبيل ذلك الزاد هو العقل الروحى الذى يسعى فى آفاق المعنويات ، وينتقى لصاحبه ما فى ذراها العلا من اطايب الحقائق التى تعين على ذكر الله وحسن معرفته وخشيته ، وهو سبحانه يقول :

«و تزودوا فان خير الزاد التقوى و اتقون يا اولى الالباب (١)»

و قد نعى سبحانه على اقوام اعراضهم عن الحق و مالهم فيه من رزق طيب :

انه لقرآن كريم ، فى كتاب مكنون لايمسه الا المطهرون ، تنزيل من رب العلمين ، افبهذا الحديث انتم مدهنون ، وتجعلون رزقكم انكم تكذبون.(٢)

و لقدكان عمر يحب الحياة لا ليملأ معدته بمتاعها ؛ بل ليسعد معدته الروحية بما ينتقى لها من اطايب الزاد و يقول :

لولا ثلاث لما احببت البقاء : ان ادبر الخيل لامة محمد تغزوا بها فى سبيل الله ، وان اكابد التهجد فى جوف الليل ، و ان اجالس

(١) البقرة — ١٩٧

(٢) الواقعة — ٧٧ : ٨٣ .

إما ينتقون اطايب القول كما ينتقي الناس اطايب التمر (1) » .
و العقل الاول يكسب علمه و احكامه عن طريق الحواس المتصلة
لم المادة ، ولولا تلك الحواس لظل المرء اعمى لايبصر اصم لايسمع
طلا لايشم ولا يذوق و لايميز الملموسات ، ولظلت خزانة عقله ـ تبعا
لك ـ خالية من التجارب و المعارف و العلوم ؛ و الله سبحانـــه
ر تلك الحقيقة اذيقول :
و الله اخرجـــكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيئا ، وجعل لكم
سمع و الابصار و الافئـــدة لعلكم تشكرون (2) » .
و العقل الروحي يكسب علمه و احكامه عن طريق الحواس الباطنة
ركزة في القلب من سمع و بصر و شم وغيره ... وعلمه هوالعلم الحق
.. وهو غير العلم الاول .
العلم الاول منطق آلي جاف خال من العاطفة ؛ لان احكامه قائمة
لى ملاحظة ظواهر الماديات البحتة ... اما هذا العلم فاحكامه دائرة
ول ملاحظة المعنويات و ادراك الجانب الروحي في كل ما حولنا ...
يس منطقا خالصا ، ولا وجدانا صرفا ... فيه من المنطق ادراكه لقيم
معنويات ، وتمييزه بين الحق و الباطل ، و الخير و الشر ، و الحلال
الحرام ... و فيه من الوجدان حبه للحق و الغيرة على حرمته ؛ و
بغضه للباطل و الثورة على معالمه ... و ذلك هو العلم الحق ؛ لانه
مجموع العبر التي نستخلصها من كل شئ ، و تزيدنا معرفة بالله سبحانه.
. فاذا كان هذا العلم قائما على المنطق المعنوى وحده بلا وجدان ، فهو
احكام ميتة لاتنهض صاحبها الى فضيلة ؛ بل لعل صاحبها يكون من ازهد

---

(1) مدارك السالكين ـ 2/175 . (2) النحل ـ 87 .

الناس في الفضائل ، على نحو مانرى في حياتنا العامة من جمهرة المثقفين ثقافة نظرية . . واذا كان عاطفة بلامنطق : اى بلا فقه مميز لمواضع الخير و الشر ، و النفع و الضر ، فهوقوة ضائعة ، ما اكثر ما تنفع ، و قد تضر صاحبها اول ما تضر ؛ و لامر ما قال رسول الله صلى عليه وسلم :

"فقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد".

وهذه حقائق تحتاج الى بيان وتفصيل ، ولكنا لسنا بصدد البيان و التفصيل ؛ بل بصدد بيان الملامح او المعالم التى نعرف منها ان للسر الروحي فى الانسان آثارا واقعية تدل عليه ، وملكات وحواس تميز خصائصه و تشير الى وظيفته ...

و قد حرصنا على المقارنة بين الكائن المادى و الكائن الروحي ، و المقابلة بين ما لكل منهما من سمع و بصر وحواس ، و عقل وعلم ، و قدرة على العمل و احداث الاثر الواقعي ؛ ليكون ذلك بمثابة نقطة الارتكاز التى نأوى اليها ، و نحن نرتاد هذا الافق الخطير من آفاق الانسان ... !!

فللانسان وجودان : وجود مادى يسعى به فى عالم المادة ، ووجود روحي يسعى به فى السماء .. و لا نقصد بالسماء الكواكب و النجوم و ذلك اللون الازرق الذى يعلونا ؛ انما نقصد الافق الخفي الذى يعلو عالمنا هذا المادى . و نسميه ماوراء المادة ، او ماوراء الطبيعة ونحسب انه هو المراد حين يذكر فى مثل قوله سبحانه :

« وفي السماء رزقكم وما توعدون (1) » .

(1) الذاريات ـ ٢٢

فتلك السماء، اوذلك الافق الاعلى، الذى اعد الله لنا فيه ارزاقنا وكل ما وعدنا. هو المجال الروحي الذى يسعى فيه الانسان بوجوده الروحي ومواهبه الروحية.

و لقد تكلمنا بعض الشئ عن وجودنا الروحي و ما له من مواهب وملكات، و عن وجودنا المادى، و ماله من مواهب وملكات؛ وتبين انه لاسبيل الى ادراك الوجود الاول بالحواس العادية كما يدرك الوجود الاخر، فذلك غير هذا... وكذلك الشان اذا رحنا نقابل بين المجال الذى يسعى فيه الوجود المادى، و المجال الذى يسعى فيه الوجود الروحي؛.. فالمجال الاول مقيس من اقيسة الزمان و المكان..، مضبوط بالشواهد التى تحصى آفاقه و تميز معالمه؛ و السعي فيه مقدور بخطوات الارجل، و حركات الايدى، و ما ينطق اللسان من كلمة... اما المجال الاخر فليس له ضوابط من زمان او مكان؛ فالصدق الذى كنا نتكلم عنه — مثلا — لا يسوغ فى الذهن ان نقسمه الى اربع وعشرين ساعة، و لا الى ليل ونهار، ولا الى شروق وغروب، و لا ان نقول ان فلانا قطع اليوم ثلاثة فراسخ من الصدق، وفلانا قطع اربعة؛ وكذلك عالمنا هذا الروحي، لا زمان فيه ولا مكان، والسعي فيه مقدور باشراقة الاخلاص فى القلب، لا بحركة يحدثها اللسان او القدم او اليد!!

و لا نحسب انسانا و قد جرب هذه الاشراقة التى يلتفت فيها القلب باخلاص الى الله، فى لحظة من لحظات الصفاء، يعلن بها الى مولاه — من غير صوت و لا حرف — انه محتاج الى فضله، مفتقر الى رحمته.. تلك الاشراقة التى تحدث بالقلب فاذا هو هين لين منكسر لله، ليست زمانا و لا مكانا ولا حركة؛ انما هو سر خفى يمثل طرفا من سعي الانسان فى مجاله الروحي!

سر ليس له اشراق المصابيح ، وان كان نورحقيقته ابهر من وضح الشمس ... و ليس له خطو يقطع به المسافات ، وان كان يطوى ما بين الارض و السماء فى اقل من طرفة العين ... وليس له بيان مسموع ، و ان كان له حنين حول عرش الله يفاخر الله به الملائكة ... و ليس له يد يسخر بها ما يريد ، و ان كان يقبض على سنن الله فاذا هى اطوع له من البنان ، واقرب اليه بالاجابة من كل ماتحتويه اليد : « و قال ربكم ادعونى استجب لكم[1] » ، « و اذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداعى اذا دعان ، فليستجيبوا لى و ليومنوا بى لعلهم يرشدون[2] » .

بهذا السر يسعى الانسان فى السماء ، او فيما وراء الطبيعة لتحصيل ماله عند الله من رزق ... !! ؟

حضر بعض اولاد الخليفة المهدى عند شريك القاضى(١٧٧هـ) و هو يلقى الدرس على طلابه ، فاستند ابن المهدى الى الحائط ، و سأل عن حديث ، فلم يلتفت اليه الشريك ، ثم عاد و سال فعاد شريك الى اهماله . فقال ابن الخليفة : تستخف باولاد الخلفاء ؟

قال : لا ! . و لكن العلم ازين عند اهله من ان يضيعوه ..!

---

(١) غافر — ٦٠ .

(٢) البقرة — ٨٦ .

في اللغة العربية دقة وشمول

الاستاذ عبد الستار فراج

قد يجول في خاطر بعض الكاتبين معنى من المعاني، وقد ترتسم في ذهنه صورة من الصور، او تتردد في اعماق نفسه احدى الفكرات، ولكنه حينما يريد ان يكسو ذلك المعنى ثوبا من الالفاظ، و سيبرز تلك الصورة كما هي مرتسمة في ذهنه، و يصوغ الفكرة في قالب من الجمل محكم، يخونه اللفظ فيقصر في الايضاح ويعجز عن تادية ما قام بعقله واختلج في اعماق نفسه، فيرجع الى اللغة ينحي عليها باللائمة، ويتهمها ظلما بانها غير وافية بالاغراض، و انها لاتستطيع ان تقدم للكاتب ما يشبع رغبته، و يرضي حاجته، فهي في زعمه لاتمده بالالفاظ التي تكفي في صياغة المعنى، و التي تفيض عليها ثوبا يشف عما تحتها من جمال وحسن، و تكسب الصورة ما يلائمها من الوان وشكول، فتراها الابصار كما رآها الكاتب نفسه، وتقع من القلوب كما اراد ان تقع من نفس غيره.

وسعت وغزت

و لكن اللغة بريئة من هذه الاتهامات التي يكيلونها لها، و يلصقونها بها. فهي وافية لكل غرض، قادرة على التعبير عن كل

معنى ، و فيها من الذخائر اللفظية التي ترسم ادق الافكار، و تبارز اخفى الصور ، الا ان العيب راجع الينا وحدنا . و على كل كاتب ان يلوم نفسه قبل ان يلوم لغته ، فما النقص الا لقلة الاطلاع على اللغة ، و عدم الوصول الى ما فيها من درر، يتوقف الوصول اليها على مجهود و بحث .

فهذه اللغة التي غزت لغات مختلفة ـ كما غزا دينها نحلا شتى ـ استطاعت ان تسلس جماح شواردها ، وان تصقل ادق الافكار بصقالها ، بعد ان هضمتها و تمثلتها ، فابرزتها في ثوب من العربية قشيب ، و قدمتها للاجيال المتعاقبة في قالب من الالفاظ جميل، مطبوعة بالطابع العربي المبين ، الذي لا يعوزه سناد من لغة اخرى ، و لا يعجزه شيء . حتى سبحات الافكار وخلجات النفوس .

كثرة الالفاظ للمعنى

اننا نجد للمعنى الواحد في اللغة الفاظا متعددة مترادفة ، و قد يكون بين المعنى و المعنى افتراق يسير جدا ، و لكننا نعثر لكل منهما على لفظة او الفاظ تعبر عنه و تؤديه خير اداء ، فمثلا في الحياة اناس كثيرون تجمعهم صلة الاخوة ، الا ان هذه اللحمة تختلف من حيث مصدرها و منشؤها ، فخصت اللغة كل جماعة من منشأ واحد باسم يميزهم ، فالاخوة الذين يجمعهم اب واحد من ام واحدة يقال لهم "اعيان".

و الاخوة الذين ابوهم واحد و امهاتهم شتى غوائر يقال لهم «بنو العلات» ذلك ان العلة معناها الضرة ، فهم ابناء ضرات .

و اما الاخوة الذين امهم واحدة ، تزوجت من اكثر من رجل فأتت منهم بالأولاد ، فهولاء الاولاد يقال لهم «الاخياف» كما يقال لهم "الاقران".

التحسس والتجسس

و يختلف لفظ البحث عن امر باختلاف مقصده ، فما كان فى الخير يسمى « التحسس » يقول الله على لسان يعقوب عليه السلام يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف و اخيه . اما ما كان فى الشر فيقال فيه « التجسس » و فى القران الكريم : ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا .

طعام الجماعات

و قد تعجب اذا رأيت ان الرجل الذى يعد طعاما ليدعو اليه الناس قد يكون هناك غرض خاص جعله يعده ، و يقيم مأدبة عامة بسببه مع ان هذا الغرض مشترك مع دواع أُخَر ، من ناحية ان كلا منها فيه الاباحة العامة للواردين ، فسمت اللغة كل دعوة منها باسم مادبة لاشتراك الجميع فى انها تأدب الناس وتجمعهم ، و لكنها اعطت كلا منها اسما خاصا به تميزها عن غيرها .

فالمادبة التى تعد احتفاء بالولادة تسمى «الخرس» ، و التى تكون لاجل سابع مولود تسمى "العقيقة"، و التى تقام لاجل الختان يطلق عليها لفظ « العذار » ، و اما ما يتخذ من المآدب عند الفراغ من بناء دار او بيت فيقال لها "الوكيرة" ، و قد يحتفل بقدوم مسافر فيقال لهذه المادبة "نقيعة" ، وطعام العرس يقال لها "الوليمة" ، و قد تطلق الوليمة على كل طعام صنع لدعوة عامة . و اذا اقيمت دعوة لذكرى ميت فان هذه الدعوة يقال لها الوضيمة . ... و

كلمة المادبة قد تطلق على ماصنع للعرس خاصة ، اوتطلق على كل ماصنع لغيرسبب خاص.

فنحن نرى ان معنى واحدا و هو الاطعام اختلف اغراضه فجاءت اللغة لكل غرض باسم خاص به ، حتى يكون هناك فرق لفظى بين الغرض و الغرض .

لفظ يغنى عن جملة

و فى اللغة كثير من الالفاظ التى تغنى عن جملة بتمامها. فانت تقول "تخازر الرجل" تعنى بذلك انه طبق جفنه ليحدد النظر . وتقول ليلة عكة اذا كانت شديدة الحر مع لثق و احتباس ريح . وكذلك تقول يوم علك او يوم عكيك . و تقول قعفس اذا جلس جلسة المحتبى ضاما ركبتيه و فخذيه . و تقول" تفرك" اذا تكسر فى كلامه و مشيه .

و الجواد اذا قام على ثلثة قوائم و طرف حافر الرابعة قيل فيه انه" صفن" .

و فلان يراوح بين قدميه اذاكان يعتمد على احداهما مرة ، و على الاخرى مرة ليواصل الراحة الى كل منهما . كما تقول هو يراوح بين عملين اذاكان يعمل هذا مرة و هذا مرة .

و البهر هو ما يعترى الانسان عند السعى الشديد ، والعدو من النهج و تتابع النفس .

و قد يحدث ان يدعى بعض الناس كان كاذبا انه واصل فتاة و فعل بها ، فهذا يقال فيه "ابتهرها" و المصدر الابتهار اما اذا كان ادعاءه صحيحا ، فهذا يقال فيه "ابتارها" و المصدر الابتيار . وكل الادعائين قبيح على كل حال . قال :

قبيح بمثلي نعت الفتاة ' اما ابتهـــارا وا ما ابتيـارا .

وقد قيل الابتهار بالذنب اعظم من ركوبه ، وهوان يقول فعلت ولم يفعل ، لانه لم يدعه لنفسه الا وهو لو قدر فعل ، فهـــو كفاعله بالنية ، و زاد عليه بقحته وهتك ستره ، و تبجحه بذنب لم يفـعله .

لـغة فيها كثـير

ان اللغـة ذاخرة بالالفاظ الغنيـة بمعانيها ، ولاتتيسر الا لمن راض نفسه على الصبر ، وحملها على المعانات ، وكثـير من كتب اللغة وفقه اللغة ، قد عرضت لامثال ذلك ، و قدمت منه ذخائر لمن يريـد .

و لست ازعم ــ مع ذلك ــ ان الامثلة التى قد متها لاتستعمل الا فيما ذكرتـه ، بل انها استعملت فى مواطن اخر ، لعـلاقة بين المعنيين مع قرينة تمنع عن ارادة المعنى الاصلى ، وذلك مـا قيل انه مجاز ، او استعارة ، لارتباط بينهما ، اوعموم يجمعهما ، و المجاز و الاستعـارة ميدانان فسيحان من ميادين اللغة يجول فيهما من شاء ، اذا وهب له الله ملكة يستطيع بها استخدامها بدون تكلف ولا غموض .   (مع الشكر لمجلة الكويت)

بحث حول القبلة

فضيلة الشيخ محمد يوسف البنوری
من علماء دار العلوم

القبلة فی الاصل اسم للحالة التی علیها المقابل نحو الجلسة،والقعلة وفی التعارف صار اسما للمکان المقابل المتوجه الیه للصلاة نحو«فلنولینك قبلة ترضاها» قاله الامام الراغب فی"مفرداته" ، وحکاه الزبیدی فی"تاج العروس عن"البصائر" لصاحب القاموس .

وقال الشیخ منصور الحنبلی فی «کشاف القناع عن متن الاقناع» قال الواحدی : القبلة هی الوجهة وهی الفعلة من المقابلة ، والعرب تقول: «ماله قبلة ولا دبرة» اذا لم یهتد لجهة امره ، واصل القبلة فی اللغة الحالة التی یقابل الشئ غیره علیها ، کالجلسة للحالة التی یجلس علیها الا انها صارت کالعلم للجهة التی یقابلها المصلی ، وسمیت قبلة لاقبال الناس علیها ، اولان المصلی یقابلها وهی تقابله اھ .

وقال الامام الرازی فی" تفسیره الکبیر" : قال القفال: القبلة هی الجهة التی یستقبلها الانسان ، وهی من المقابلة وانما سمیت القبلة قبلة لان المصلی یقابلها وتقابله اھ. ومثله قال الطیبی فی شرح المشکاة.

وقال الفیروز ابادی فی القاموس : القبلة بالکسرة التی یصلی نحوها،و والجهة،والکعبة ، وکل ما یستقبل ، وماله قبلة ولا دبرة بکسرها ای جهة . وفی اللسان: وما لکلامه قبلة ای جهة ، ومثله ذکر الجوهری فی الصحاح . هذا ما کان علیه ائمة اللغة واهل العرف .

واما علماء الهيئة فقالوا : القبلة نقطة تقطع افق البلد المفروض و والدائرة السمتية المارة لسمتي راس البلد ومكة ، والخط الواصل بين مركز الافق ، وتلك النقطة خط سمت القبلة و هو سهم لقوس يقاسي المحراب عليها وينتصف بها . فللمصلي اذا جعله بين رجليه ساجدا عليه يكون قد صلى على محيط دائرة على بسيط الارض مارة بموضع سجوده، وما بين قدميه و وسط البيت ، و يكون قد استقبل الخط الواصل بين البيت و النقطة التي تسامته من السماء المسملة بسمت راس مكة ، قاله الامام قطب الدين الشيرازي (٢) في كتابه «نهاية الادراك في دراية الافلاك» من آخر المقالة الثالثة ، و ذكره شارح الملخص الجغمني ايضا ملخصا في الباب الثاني من المقالة الثانية .

ثم اعلم انه اذا كان البلد و مكة على طرفي قطر من اقطار الارض لا تتعين هذه الدائرة هناك ، لان سمت راس اهل مكة سمت لهذا البلد، فكل دائرة عظيمة تمر براس رؤوس اهل مكة فلم تتعين الدائرة المارة وهناك يصدق قول الله عز وجل «فاينما تولوا فثم وجه الله» . ولاجل هذا قال الفاضل الرومي : ان اسهل المواضع قبلة هو الموضع المقاطر لمكة فان سمت القبلة لا يتعين هناك بل ايما تولوا فثم وجه الله ، وان اشكلها مرض تسعين لعدم تعين شئ من المشرق و المغرب و الجنوب و الشمال . اه .

واما سمت القبلة للبلد ويسمى قوس الانحراف ايضا فهو قوس من الافق ما بين دائرة نصف نهار البلد و الدائرة المارة بسمت رؤوس

---

(١) القوس : ما يحوز بالوتر من المحيط و السهم : العمود الخارج من منتصف القوس الى منتصف الوتر. كذا في التذكرة من كتب الهيئة .

(٢) توفي سنة ٧١٠ من الهجرة النبوية على صاحبها السلام .

اهل مكة و سمت رؤوس اهل البلد من جانب ليس اقرب منه .كذا فى الباب الرابع من المقالة الاولى من شرح الجغمنى ، وقد يطلق سمت القبلة على القبلة بالمعنى الاول ايضا كما عبر صاحب التشريح و الملخص و نبه عليه شارح الملخص فليتنبه و ليحفظ

و اذا تقرر هذا ناسب ان يذكر نبذة من مصطلحات اهل الهيئة و اشياء أخر قبلها توطئا و تمهيدا لنيل المقصود . ليكون الناظر فى الرسالة على بصيرة و ليستفيد منها من لم يستأنس سمعه بهذه الالفاظ و الله الميسر لكل عسير.

فاعلم انه تبين فى كتب الحكماء الناظرين فى احوال العالم ان شكل الارض كرى و انها محفوظة بعنصر الماء كانها عنبة طافية عليه فانحسر الماء عن بعض جوانبها لمصالح وحكم اقتضتها القدرة الالهية ؛ و التدبير الكلى السارى فى نظام العالم ، فالذى انحسر عنه الماء من الارض فهو النصف من سطح كرتها فى شكل دائرة لحاط العنصر المائى بها من جميع جهاتها و يسمى البحر المحيط و لبلالية ، و باعتبار حصصها المختلفة اوقيانوس و البحر الكاهل او الهادى ، و هذا النصف المنحسر المعمور منه مقدار ربعه و هو المنقسم بالاقاليم السبعة وكل واحد منها آخذ من الغرب الى الشرق على طوله و فى جهة الشمال فى خط الاستواء على عرضه ، فالاقليم الاول اطول من الثانى . و الثانى من الثالث ، وهكذا تنتهى كما تقتضيه صورة الدائرة.

قال الشيخ تقى الدين المقريزى فى اوائل كتاب الخطط و الاثار : وهذه الاقاليم خطوط متوهمة لا وجود لها فى الخارج وضعها القدماء الذين جالوا فى الارض ليقفوا على حقيقة حدودها و يتيقنوا مواضع البلدان منها و يعرفوا طرق مسالكها . اهـ .

ثم المعمور من هذا الربع الشمالى المنقسم الى الاقاليم السبعة اربع

وستون درجة ، وهنالك ينقطع العمران . فالعمارة فيما بين الاربعة و والستين الى التسعين ممتنعة لان الحر و البرد حينئذ لايحصلان ممتزجين لبعد الزمان بينهما فلا يحصل التكوين .

ثم قسموا الدائرة الارضية كلها بثلاث مائة و ستين درجة وكل ربع منها بتسعين درجة و الدرجة الارضية خمسة و عشرون فرسخا والفرسخ ثلاثة اميال ، والميل اربعة الاف ذراع . و الذراع اربع وعشرون اصبعا ، و الاصبع ست حبات شعير ملصق بعضها ببعض عرضا .

فالدرجة الارضية على هذا خمس و سبعون ميلا وقيل ٦٦ ميلا و ٦٦٦ ذراعا .ثم الدرجة منقسمة بستين دقيقة . و الدقيقة ميل فصاعدا .

و هاك الأن نبذة من مصطلحات اهل الهيئة ما تعلق به غرضنا فى هذه الوجيزة .

معدل النهار : دائرة عظيمة هى دائرة الفلك الاعظم مارة من للشرق الى المغرب ، وانما سميت معدل النهار لان الشمس اذا سامتتها اعتدل الليل و النهار تقريبا فى سائر الاقطار ، الا فى عرض تسعين ، و يسمى الفلك المستقيم ايضا .

خط الاستواء : دائرة عظيمة على سطح الارض مسامتة لدائرة معدل النهار مارة من المشرق الى المغرب ، وهى المبدأ الاقليم الاول من الاقاليم السبعة .

منطقة البروج: دائرة عظيمة تقاطع معدل النهار ، وتسمى دائرة البروج و فلك البروج ايضا .

دائرة الافق : دائرة عظيمة تفصل بين ما يرى من الفلك وبين

ما لايرى مثله

دائرة نصف النهار: دائرة عظيمة تمر بقطبي العالم وسمتي الراس و القدم،

دائرة اول السموت: دائرة عظيمة تمر بسمتي الراس و القدم و بنقطة المشرق و المغرب .

سمت الراس : نقطة على سطح الاعلى تحاذي وسط راس شخص في جانبه .

سمت القدم : نقطة عليه تحاذي وسط قدمه في جانب .

دائرة الميل : دائرة عظيمة مارة بقطبي معدل النهار و بطرف الخط الخارج من مركز العالم المار بمركز الكواكب الى سطح الفلك الاعظم او بجزء من منطقة البروج

عرض البلد : هو اقصر قوس من دائرة نصف النهار بين دائرة معدل النهار وسمت الرأس ، فان كان الى جهة القطب الشمالي كان شماليا ، و ان كان الى الجنوبي كان جنوبيا ، و سكانه قليلون وهو خارج عن تقسيم الاقاليم .

طول البلد

هو القوس الواقع من المعدل بين نصف نهار البلد و بين نصف نهار جزائر الخالدات او ساحل البحر الغربي المسمى ببحر اوقيانوس و من الاول اخذه بطليموس و هو الاشهر عند القدماء من اصحاب الهيئة ، وجزائر الخالدات ليست في بسيط الاقليم ، و انما هي جزر متكثرة في البحر المحيط اكبرها و اكثرها ثلاثة . قال ابن خلدون في مقدمة تاريخه ، وتسمى ايضا بجزائر السعدا‌ء و قال

الزبيدی فی الاتحاف ص ۳۲۸ . وتسمى اليوم بجزائر خط الاستواء و بعدها عن ساحل البحر الغربی عشر درجات حكاه صاحب وسيلة الطلاب فی علم الفلك بطريق الحساب وغيره . وقدماء حكماء الهند اخذوا الطول من موضع يسمى كنكدز (۱) وكان مبدأ العمارة فی الشرق ، و لكن العمل به اليوم متروك بل القول به مهجور .

واما اهل اوربا فاخذوا طول البلد من موضع يسمى كرينس (كرينج) وهو فی بلادهم فی الغرب و رصد لهم هناك عظيم .

اعلم ان لمعرفة القبلة امارات وعلامات على وضوح وخفاء، وهی انواع اشار اليها الامام الشافعی رحمه الله تعالى فی كتاب «الام» و فی كتاب الرسالة وفصلها الامام حجة الاسلام الغزالی فی الربع الثانی من «الاحياء» من آداب المسافر ثم الامام فخر الدين الرازی فی تفسيره الكبير ، ثم الشيخ منصور الحنبلی فی شرح الاقناع ، و الشيخ الفقيه الحافظ بدر الدين العينی فی «شرح الهداية» و النيسابوری فی تفسيره و الزبيدی فی الاتحاف شرح الاحياء ، وقد استوعب البحث عنها الامام ابوحنيفة(۲)

(۱) و البعيدين كنكدز وجزائر الخالدات مائة وثمانون درجة كما فی الاتحاف وغيره .

(۲) هو الامام احمد بن داؤد ابوحنيفة الدينوری من مشاهير ائمة اللغة وكبرائهم فقيه حنفی وله من المصنفات كتاب النبات ، كتاب النجوم و الانواء ، كتاب القبلة ، كتاب الدور ، كتاب الوصايا ، كتاب الجبر و المقابلة ، كتاب اصلاح المنطق توفی سنة ۲۸۲ وله ترجمة فی الجواهر المضية ص ۶۷ من الطبقات الحنفية ، والجواهر المضية اوثق كتاب فی طبقات الائمة الحنفية كما قاله امام العصر شيخنا و مولانا الامام مولانا محمد انور رحمه الله تعالى ولكن المطبوع بحيدرآباد مشحون بالاغلاط الفاحشة ولاسيما فی الوفيات .

الدينوري الحنفي في كتابيه كتاب النجوم والانواء ، وكتاب القبلة ، و اعاظ باطراف الكلام عليها ، ومنهما اخذ الزبيدي في الاتحاف ومن لنا الخبرة بهما ، ولكن لدقة فهم جميعها وغموض معرفتها باسرها و لطول الكلام فيها نثني العنان عن استيعاب تفصيلها ، ومع هذا فاذكر ان شاء الله تعالى ما فيه غنى للفقير المتنقد و رواء للبصير الهادي ، من غير سأمة و ملال ، والله الموفق و الهادي .

و ايضا بها ادلة ، فمنها تحقيقية يقينية ، ومنها تقريبية ظنية ، ذكرها علماء الهيئة في رسائلهم وكتبهم ، ثم منها يتوقف على الآلات التي اخترعوها من الربع المجيب و المقنطر ، و الاسطرلاب وتتفاوت دقة وغموضا ونحن نتقي من الجميع ان شاء الله تعالى ما هو اقواها حجة وبرهانا في التحقيقية و اوفاها سكينة والطمئنانا في التقريبية .

فنقول : اما الامارات و العلامات فهي : اما ان تكون ارضية كالاستدلال بالجبال ، و القرى ، و الانهار ، ودلالة الجبال قوية و قد تضعف من حيث اشتباه قدامها اوخلفها ، و اما الانهار : فكدجلة ، و الفرات ، وجيحون و النيل .

واما ان تكون هوائية : كالاستدلال بالرياح شمالها ، وجنوبها ، وصباها ودبورها ، و الاستدلال بها عسير في الصحارى . واما بين الجبال و البنيان فانها تدور وتختلف فتبطل دلالتها ، و لذا قال الامام ابو المعالي الاستدلال بها ضعيف ، حكاه الشيخ منصور الحنبلي في شرح الاقناع . قال الامام الغزالي في الاحياء ، و الامام الرازي في الكبير : اما الارضية و الهوائية فهي غير منضبطة ضبطا كليا فرب طريق فيه جبل مرتفع لا يعلم انه على يمين المستقبل او شماله او قدامه اوخلفه وكذلك الرياح قد تدل في بعض البلاد و لسنا نقدر على استقصاء ذلك اذ لكل بلد و اقليم

حکم اخر فی ذلك .

واما ان تکون سماوية : فمنها نهارية و منها ليلية ، اما النهارية فالشمس فلابد ان تراعی قبل الخروج من البلدان ان الشمس عند الزوال اهی بين الحاجبين ام هی علی العين اليمنی ام اليسری ؟ اوتميل الی الجبين ميلا اكثرمن ذلك فان الشمس لاتعدوا فی البلاد الشمالية هذه المواقع ، وكذلك يراعی موقع الشمس وقت العصر و اما وقت المغرب فانما يعرف ذلك بموضع الغروب ، و هو ان يعرف بان الشمس تغرب عن يمين المستقبل اوهی مائلة الی وجهه اوقفاه ، وكذلك يعرف وقت العشاء الآخرة بموضع الشفق ، و يعرف وقت الصبح . بمشرق الشمس . فكان تدل القبلة فی الصلوات الخمس و لكن يختلف حكم ذلك بالشتاء و الصيف ، فان المشارق و المغارب كثيرة ، وكذلك يختلف الحكم فی هذا الباب بحسب اختلاف البلاد .

و اما الليلية فهی النجوم اقواها و اثبتها الجدی ثم الفرقدان .

و ليعلم اولا انه قال ابوحنيفة الدينوری فی كتاب النجوم اعلم ان النجوم السيارة سبعة ، وهی التی تقطع البروج ، و المنازل فهی تتنقل فيها مقبلة ومدبرة لازمة لطريقة الشمس احيانا ، وناكبة عنها احيانا ، اما فی الجنوب ، واما فی الشمال ، و لكل نجم منها فی عدوله عن طريقة الشمس مقدار اذا هو بلغه عاوده فی مسيره الرجوع الی طريقة الشمس ، و ذلك المقدار من كل نجم منها مخالف لمقدار النجم الآخر ، فاذا عزلت هذه النجوم السبعة عن السماء سميت الباقية كلها ثابتة ، تسمية علی الاغلب من الامر لانها و ان كانت لها حركة مسير فان ذلك خفی يفوت الحس الا فی المدة الطويلة ، و ذلك لانه فی كل مائة عام درجة واحدة فلذلك سميت ثابتة . و سيرها مع خفائه هو علی تاليف البروج اعنی من الحمل

الى الثور ، ثم الى الجوزاء سيرا مستمرا لايعرض لشئ منها رجوع وانما ادرك العلماء ذلك في الدهور المتطاولة ، و الازمان المترادفة بان تعرف العالم منهم مواضعها من البروج و اسم ما وقف عليه من ذلك لمن يخلف بعده ، ثم قاسها اخلافهم من بعدهم فوجدوها قد تقدمت عن تلك الاماكن الاولى . كذلك فعل الاخلاف و اختبروا ذلك فوجدوها تتحرك باسرها معا حركة واحدة ، وقد تقدم الاوائل فتعرفوا مواضع هذه الكواكب من الفلك ، ورسموا ذلك في كتبهم على ما ادركوا في ازمنتهم ، و بينوا تاريخ ذلك في كتبهم بيانا واضحا ، ولما ارادو تمييز كواكب السماء ، بدءوا فقسموا الفلك نصفين بالدائرة التي هي تجرى روس برجي الاستواء ، وهما الحمل و الميزان ، وسموا احد النصفين جنوبيا ، وسموا النصف الثاني شماليا ، وسموا كل ما وقع في النصف الجنوبي من البروج و الكواكب جنوبيا ، و ما وقع منها في الشمال شماليا ، و العرب سمت الشمالية شامية ، و الجنوبية يمانية ، و المعنيان واحد ، لان مهب الشمال عليهم من جهة الشام ومهب الجنوب من جهة اليمن .

فكل كوكب لجراه فيما بين القطب الشمالي و بين مدار السماك الاعزل او فويقه قليلا فهو شام ، و ما كان لجراه دون ذلك الى ما يلي القطب الجنوبي فهو يمان ، فاقربها من القطب (الشمالي) بنات نعش الصغرى ، وهي سبعة كواكب في مثل نظم بنات نعش الكبرى ، و المنجمون يسمونها الدب الاصغر و البنات منها ثلاثة اولها الكوكب الذي يسمى الجدي ، وهو الذي يتوخى الناس به القبلة و تسميه العرب جدي بنات نعش ليفرقوا بينه وبين جدي البروج ، فالجدي و الكوكبان اللذان يليانه هي البنات ،

وهي عند المنجمين ذنب الدب الاصغر.

ثم النعش وهي اربعة كواكب مربعة، منها الفرقدان وكوكبان آخران معهما،

فالكواكب الثلثة التي هي البنات، وكوكبان من النعش احدها احد الفرقدين هولاء الخمس في سطر واحد اقوس وقد قابله سطر آخر اقوس ايضا فيه كواكب خفية متناسقة، اخذت من الجدى الى الفرقدين حتى صار هذان السطران شبيهين بحلقة السمكة، والناس يسمونها "الفاس" تشبيها بفأس الرحى التي في القطب في وسطها يظنون ان قطب الفلك في وسط هذه الصورة وليس كذلك (١) بل القطب بقرب الكواكب الذى يلى «الجدى» من هذا السطر الخفى الكواكب فوجدت هذه الكواكب اقرب كواكب السماء كلها من هذا القطب (٢) لم اجد بينه وبين القطب الا اقل من درجة واحدة، وليس القطب كوكبا بل هو نقطة من الفلك الى آخر ما ذكر. كما في الاتحاف ص ٤٤٠، ٤٤١ من الجزء السادس ثم ذكر في الاتحاف ناقلا منه: الاستدلال بالقبلة «بالمجرة» التي هي ام النجوم لكثرة عدد نجومها ثم ذكر: الاستدلال بالمهات الرياح، وقد طال فيه وتركت حكايته لقلة الفائدة وغموض المعرفة وضعف الدلالة.

---

(١) من ههنا تبين ان ما قاله العينى في شرح الهداية وغيره من ان القطب نجم خفى شمالى لا يراه الا حديد البصر في ليلة مظلمة وحوله أنجم دائرة جلية خفية اهـ قد إلتبس الامر عليهم وليس القطب نجما، وايضا تبين ان ما اشتهر في العامة بنجم القطب هو الجدى فالخواص قد التبس عليهم الامر حتى قالوا في احد طرفيه احد الفرقدين، وفي الطرف الآخر الجدى، واما العوام فسموا الجدى باسم القطب والله اعلم،

(٢) القطب بتثليث القاف قاله ابن سيدة حكاه شارح الاقناع، والجدى فهو بالضم والتشديد مصغر كما في وسيلة الطلاب للشيخ يحيى بن الخطاب وغيرها، واما البرج من البروج الاثناعشرية للشمس فهو الجدى بفتح الجيم كما في حواشي التصريح وغيره. ٣.

واذا تقرر هذا فاقول: اما "الجدى" فانه كوكب كالثابت لا تظهر حركته من موضعه، وقد استدلوا به كثيرا على القبلة، فانه اما ان يكون على قفا المستقبل او منكبه الايمن من ظهره، او منكبه الايسر في البلاد الشمالية من «مكة» وفي البلاد الجنوبية منها كاليمن وماوراءها يقع في مقابلة المستقبل، فليعلم ذلك وما عرفه ببلدة فليعول عليه في الطريق كله الا اذا طال السفر فان للمسافة اذا بعدت فقد يختلف موقع الشمس، وموقع القطر، وموقع المشارق والمغارب، الى ان ينتهي في اثناء سفره الى بلد، فينبغي ان يسأل اهل البصيرة اويراقب هذه الكواكب وهومستقبل محراب جامع البلد، حتى يتضح له ذلك، فمهما تعلم هذه الادلة فله ان يعول عليها، قاله الامام الرازي.

وتفصيل ذلك ان اكثر فقهاء البلاد وعلماء الامصار جعلوا قبلة بلادهم بالقطب والجدى، فاستمع لما تلقيته من فتاوى الامام «قاضي خان» و«البحر الرائق» و«وسيلة الطلاب في علم الفلك بطريق الحساب وغيرها: فاهل الكوفة، وبغداد، وهمدان، وقزوين، وطبرستان، وجرجان، ومن والاها الى نهر الشاش يجعلون القطب خلف الاذن اليمنى، واهل مصر يجعلونه على العاتق الايسر، واهل العراق على العاتق الايمن: ويكون الواقف عند ذاك مستقبل باب الكعبة، قاله صاحب البحر. وقال غيره

واما الجدى: فاهل الكوفة يجعلونه خلف القفا، وبعضهم خلف الاذن اليمنى، واهل الري يجعلونه على المنكب الايمن، واهل المغرب يقربونه من صفحة الخد الايسر، واهل [illegible]

عن صفحة الخد الايسر، و اهل اليمن يجعلونه بين اعينهم، و اهل العراق، و الموصل، و بلاد الروم و الصقالية (سلي) يجعلونه بين اكتافهم، و اهل الشام يميلون منه الى جهة الشرق يسيرا، و اهل السند و الهند يجعلونه على صفحة الخد الايمن ويستقبلون وسط المغرب، و اوائل بلاد التكرور و النوبة و البجاة يجعلونه على صفحة الخد الايسر و يستقبلون وسط المشرق، و اواخر بلاد التكرور، و زيلع، و الحبشة يقربونه بين العينين من جهة الخد الايسر، و اما اهل مصر و من قاربهم، و اهل افريقية فيجعلون القطب خلف الكتف الايسر، و مطالع العقرب و مشرق الشتاء بين العينين، و لكن اهل افريقية يميلون الى المشرق اكثر من اهل مصر.

و قبلة الطائف، و عرفات، و مزدلفة، و منى في مغرب النسر الواقع و القطب على الكتف الايمن، و قبلة اهل بدر، و الجحفة، و رابغ في مطالع السهيل، و مغرب الشعرى على اليمين.

و اذا سردنا عليك هذا التفصيل فنقول: ما ذكر كثير من الفقهاء الاعلام رحمهم الله تعالى من تعيين القبلة على الاطلاق فليس بصحيح فمنهم من قال: اذا جعلت بنات نعش الصغرى على الاذن اليمنى مع الانحراف قليلا الى الشمال. و منهم من قال: ان القبلة العقرب اى مغيبة، و نسب هذا القول الى عبد الله بن المبارك الى مطيع البلخي، و ابى معاذ، و سلم بن سالم، و على وسف رحمهم الله تعالى.

و منهم من قال: القبلة ما بين النسرين، النسر الواقع و

النسر الطائر، و نسب ذلك الى الامام ابي جعفر الفقيه ، و صدر الاسلام ، وغير ذلك من الاقوال كما بسطها صاحب الفتاوى الخانية وغيرها.

فجميع هذه علامات القبلة و اماراتها فى بقاع معينة ، و ليست عامة حتى يستدل بها المتحير الهائم فى البلاد قاطبة ، و قد نبه على ذلك الفاضل البرجندى فى شرح النقاية حيث قال بعد نبذة من اقوالهم للمختلفة المضطربة :

و لا يخفى عليك ان القبلة تختلف باختلاف البقاع ، و ما ذكره هولاء المجتهدون رحمهم الله فانما يصح بالنسبة الى بقعة معينة و امر القبلة انما يتحقق بالقواعد الهندسية و الحساب ، بان يعرف بعد مكة عن خط الاستواء ، وعن طرف المغرب ، ثم بعد البلد المفروض كذلك ، ثم يقاس بتلك القواعد سمت قبلة«هراة»حيث من الآفاق، فظهر لنا انه اذا قسم الربع الغربي الجنوبي من الدائرة الهندسية خمسة عشر قسما متساوية ، وعد من نقطة المغرب ستة اقسام منها،او من نقطة الجنوب ستة اقسام فحيث انتهى يخرج منه الى مركز الدائرة خط فهو خط سمت القبلة . وهذا يقع عن يسار مغرب اقصر ايام السنة حيث يغرب العقرب ، وهو موافق لماذكره ابن المبارك و ابو المطيع . انتهى كلامه .

٩

عاطفة الانفاق فی سبیل اللّٰہ

—— التحریر ——

کان ابوطلحة اکثر الانصار نخلا بالمدینة وکان احب امواله الیه بیرحاء ، وکانت مستقبلة المسجد ، وکان النبی صلی اللّٰہ علیه وسلم یدخلها و یشرب من ماء فیها طیب ، فلما نزلت «لن تنالوا البرحتی تنفقوا مما تحبون» قال ابوطلحة یارسول اللّٰہ : ان احب اموالی الی بیرحاء ، و انها صدقة للّٰہ تعالیٰ ارجو برها و ذخرها عند اللّٰہ تعالیٰ ، فضعها یا رسول اللّٰہ حیث اراک اللّٰہ فقال رسول اللّٰہ صلی علیه وسلم : بخ بخ بخ ، ذلك مال رائح ، و قد سمعت ما قلتَ و انی اری ان تجعلها فی الاقربین فقال : افعل یارسول اللّٰہ ، فقسمها ابوطلحة بین اقاربه و بنی عمه .

و فی روایة لمسلم و ابی داؤد « فجعلها بین حسان بن ثابت و ابی بن کعب واخرج ابن ابی حاتم وغیره عن محمد بن المنکدر قال : لما نزلت هذه الآیة جاء زید بن حارثه بفرس یقال لها «سبل» لم یکن مال احب الیه منها ، فقال هی صدقة فقبلها رسول اللّٰہ صلی اللّٰہ علیه وسلم وحمل علیها ابنه اسامة فرای ذلك فی وجه زید فقال : ان اللّٰہ قبلها منك . وفی روایة ابن جریر فکان زیدا وجد فی نفسه فلما رای ذلك منه رسول اللّٰہ صلی اللّٰہ علیه

وسلم قال: اما ان الله قد قبلها » وهذا وماقبله من آيات سياسته صلى الله عليه وسلم للقلوب .

رای ان زیدا و اباطلحة قد خرجا بعاطفة الايمان عن احب اموالهما اليهما على تعلق القلوب بكرائم الاموال ، فجعل ذلك فى الاقربين منهما ليثبت قلوبهما فلا يكون للشيطان سبيل الى الوسوسة لهما بالندم او الامتعاض اذا راى ذلك فى ايدى الغرباء ، وقد يمتعض المرء بعد فقد المحبوب وان فارقه مختارا مرتاحا لعاطفة او اريحية طارئة ثم لايلبث ان يعاوده من الحنين اليه ما لايعاوده الى ماهو اغلى منه ثمنا اذا لم يكن من الكرائم المحبوبة ، ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يامر عمال الصدقة بانتقاء كرائم اموال الناس .

و يدل على ما قررته فى ذلك اثر ابن عمر الاتى :

اخرج عبد بن حميد عن ابن عمر قال : حضرتنى هذه الاية فذكرت ما اعطانى الله تعالى فلم اجد احب الى من مرجانة — جارية رومية — فقلت: هى حرة لوجه الله تعالى فلو انى اعود فى شئ جعلته لله تعالى لنكحتها فانكحتها نافعا »

فانظر كيف راودته نفسه العالية ان لايعود فى شئ جعله لله ، و انظر كيف خص بها بعد ذلك مولاه نافعا الذى كان يحبه كولده .

و مما رواه ابن جرير فى ذلك عن مجاهد قال : كتب عمر بن الخطاب الى ابى موسى الاشعرى : ان يبتاع له جارية من جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فى قتال سعد بن ابى وقاص . فدعا بها ابن عمر

فقال : ان الله يقول : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » فانفقها.

و آثار السلف فى الايثار و بذل المحبوبات فى سبيل الله كثيرة:

نزل بالرسول صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند اهله شيئا ، فدخل عليه رجل من الانصار هو ابو طلحة زيد بن سهل فذهب به الى اهله ، فوضع بين يديه الطعام و امر امرأته باطفاء السراج ، فقامت كانها تصلحه فاطفأته وجعل يمد يده الى الطعام كانه ياكل ولا ياكل حتى اكل الضيف الطعام وبقى هو وعياله مجهودين ، فلما اصبح قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد عجب الله عزوجل من ضيعكم الليلة الى ضيفكم » و نزلت (و يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) رواه الشيخان وغيرهما من حديث ابى هريرة

ادب

سئل العباس بن عبد المطلب: انت اكبر ام رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فاجاب: ان رسول الله اكبر منى وانا ولدت قبله .

دعوة الحق

الاستئذان لدخول البيت

الاستاذ ابو الوفا مصطفى الرفاعى

للبيوت حرماتها ولها اسرارها ، و للرجل بين اهله حالات من الانبساط و رفع الاحتشام ، لاينبغي ان يطلع عليها غيرهم و يكرهون ان يطلع عليها احد ، لهذا شرع الاسلام الاستئذان : و هو طلب الاذن قبل الدخول الى البيوت و الى كل مكان خاص يعلم ان صاحبه لا يسمح بالدخول فيه الا باذن ، لان فى الاستئذان تنبيها لاهل البيت الى اصلاح شأنهم ، و اخفاء ما يحبون ان يخفوه من امورهم و الى اعداد مكان الضيافة كما ان فى الاستئذان تنبيها للزائر الى عدم وجود صاحب المنزل ان لم يكن موجودا لينصرف ، فالمعروف ان الاسلام لايبيح اختلاط الرجل باجنبية منه فى غير وجود محرم منها دفعا للتهم ، و تجنبا لظنون السوء ، كما لايبيح الاطلاع على العورات . .

و الاستئذان يكون بالسلام و التسبيح و التكبير و التنحنح وقرع الباب و نحو ذلك مما يجرى العرف بان يكون استئذانا ،

و يكون الاستئذان ثلاث مرات ، فان اذن للزائر فى المرة الثالثة بالدخول دخل و الا انصرف ، و الاستئذان حتم على كل مميز من المسلمين فى كل وقت حتى على ابناء الرجل وخدمه ، وعلى الاطفال فى اوقات خاصة ، وهى اوقات الراحة التى يغلب فيها عدم الا تشام ،

وهي الاوقات المذكورة في الآية التي سنذكرها بعد .

واذا قيل للمستأذن من انت فليقل : فلان ويسمي نفسه بما يعرف به من اسم اوكنية ويكره ان يقول " انا " لانه لايتم التعرف بهذا اللفظ ، والغرض من الاستئذان معرفة الزائر ، ولايتم ذلك الا بذكر اسمه اومايعرف به ... !!

...٭ الآيات والاحاديث ٭...

قال تعالىٰ : يا ايها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها ، ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ، فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ، وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم ، والله بما تعملون عليم . ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم ، والله يعلم ما تبدون وما تكتمون :!!

وقال تعالى : يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات :: من قبل صلوة الفجر ، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلوة العشاء ، ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن ، طوافون عليكم بعضكم على بعض . كذلك يبين الله لكم الايات والله عليم حكيم .

★

وعن ربعي بن حراش قال : حدثني رجل من بني عامر انه استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيت فقال : األج ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخادمه : اخرج الى هذا فعلمه الاستئذان فقل له قل : السلام عليكم اادخل ؟ فاذن له النبي صلى الله عليه وسلم فدخل . رواه ابوداؤد .

وعن كلدة بن الحسل رضى الله عنه قال: اتيت النبى صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه فلم اسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم: ارجع فقل: السلام عليكم أأدخل. رواه ابوداؤد والترمذى.

وعن جابر قال: اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فدققت الباب فقال من هذا؟ فقلت: انا. فقال انا؟ انا؟ كانه يكرهها.

وعن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الاستئذان ثلاث فان اذن لك والا فارجع متفق عليه ..!!

ع

طارق بن زياد

يروى التاريخ ان طارق بن زياد فاتح الاندلس لما نزل بالجزيرة الخضراء، امر بالسفن فاحرقت فاثار ذلك بعض رجال جيشه، وقالوا له: لقد قطعت الحبال بيننا وبين بلادنا، فضحك طارق من تفكيرهم وقولهم. ووضع يده على السيف وقال: انما يحافظ على السفن من يفكر فى الرجوع .. اما انا فقد عزمت على البقاء فى هذا المكان والقتال، فاما ان يكون لنا وطنا، واما ان يكون لنا قبرا. وكتب الله للايمان النصر ......!!!

حمیۃالحق

اخبار دار العلوم

موتمرعام للمسلين فی بومبائی
للاحتفاظ بقانون الاحوال الشخصية للمسلمين فی الهند .

ان قضية تعديل القانون الشخصی للمسلمين فی الهند قد اثيرت منذ سنوات من الجهات المسئولة و بعض المسلمين الموالسين للحكومة البعيدين عن روح الشريعة الاسلامية ،فاصبحت القضية موضع اهتمام كبير لعلماء الهند الحريصيين على الاحتفاظ بجميع خصائص الاسلام و ميزاته دون مساس بكرامته و شعائره،فشعر المسئولون عن دار العلوم باهمية القضية و واجب دار العلوم نحوها كمعقل المسلمين و مركز دينهم فی الهند فعقدوا مؤتمراخاصا فی ديوبند ، دعی اليه نخبة علماء دار العلوم و المعاهد الاخری ،كمرحلة ابتدائية للتفكير فی الموضوع و اتخاذ التدابير اللازمة لذلك ، وبعد عدة اجتماعات للجان اعدت خصيصا لهذا الغرض ، تقرر عقد مؤتمر عام لعموم الهند فی بومبائی ، يدعی اليه العلماء ورجال الدين من جميع مدارس الفكر الدينية فی الهند.

فانعقد هذا المؤتمر فی بومبائی فی ٢٨ ديسمبر تحت اشراف دار العلوم ، و تحت رئاسة صاحب الفضيلة الشيخ مولانامحمد طيب مدير دار العلوم بديوبند ، و مثل الدار فی هذا الموتمر عدا فضيلة المدير اصحاب الفضيلة والسماحة الشيخ مولانامنت الله الرحمانی

و الشيخ المفتى عتيق الرحمن ، و الشيخ محمد منظور النعمانى والشيخ سعيد احمد الاكبر آبادى اعضاء مجلس الشورى والاستاذ معراج الحق نائب مدير الدار ، و الاستاذ محمد نعيم المدرس بالدار.

و قد كان المؤتمر موفقا فى غرضه حيث شارك فيه جميع رجالات الدين من مختلف مدارس الفكر الهندية . وكان اكبر واعظم اجتماع للمسلمين شهدته الهند بعد تقسيمها يطالب الحكومة بكلمة واحدة و بعاطفة صادقة تنم عن الحمية الاسلامية بعدم تدخلها فى قانون المسلمين لاحوالهم الشخصية ، و اظهر الجميع استنكارهم لكل خطوة تخطوها الحكومة للتدخل فى قضايا المسلمين الخاصة بهم من الناحية الدينية ، فان الشريعة الاسلامية كفيلة فى كل زمان و مكان بما يحتاجون اليه من القوانين و الاحكام فى نطاق حياتهم الدينية الخاصة .

و قد كان لهذا المؤتمر اكبر تاثير فى الدوائر الحكومية ، و و يرجى بعد ذلك ان الحكومة ستمتنع عن اية خطوة تمس شعور المسلمين ، لما علمت من عواطف المسلمين و صلابتهم فى المحافظة على كرامتهم الدينية

ولاشك ان الفضل فى ذلك يرجع الى دار العلوم بديوبند حيث ادت واجبها فى مثل هذا الوقت العصيب حيث اثارت .. الموضوع ، و لفتت اليه انظار المهتمين بالشئون الاسلامية ، و بدأت فعلا خطوات ابتدائية و تمهيدية لهذا المؤتمر العظيم .

بدء العام الدراسی فی دارالعلوم

•ـــ ابتدأت الاجراءات للالتحاق بالدار فی جمیع اقسامها التعلیمیة من ۱۱ شوال و ابتدأت الدروس فی جمیعها من غرة ذی القعدة سنة۱۳۹۲م و قد ازداد فی هذا العام عدد الطلاب الملتحقین بقسم تکمیــل الادب ، حیث بلغ اربعین طالبا ، و هذا دلیل علی الرغبة المتزایدة فی الطلاب فــی التمرن علی اللغة العربیة تکلما وکتابة ، وسیرجی لهذا القسم مزید من الرقی و الازدهار فی المستقبل .

•ـــ وقد خصصت دارالعلوم منذ السنة الماضیة منحا خاصـــة لطلاب جمیع اقسام التکمیل : تکمیل الدین ، تکمیل المعقول ،تکمیل الادب ، و قدرها عشر روبیات لکل طالب عدا الطعــــام و المستلزمات الاخری ، وذلك تشجیعا للطلبة الاکفیاء وحثالهـــم علی صرف الجهد البلیغ فی دراستهم التکمیلیة . «۱»

•ـــ انعقدت دورة مـــجلس الشوری للعام الجدید فی شهــــــر محرم الحرام لتقریر المیزانیة للعام الجاری ، و النظر فی القضایـــا الاداریة و التعلیمیة اللازمة

•ـــ بدأ النادی الادبی (العربی) لطلبة اللغة العربیة نشاطـــــه التمرینی و فق النظام المقرر ، و هو یشتمل علی برنامـــج القاء الخطب و المقالات باللغة العربیة فی کل اسبوع ، واصدار مجلات شهریة و نصف شهریة حائطیة ، یشترك فی اعدادها طلبة قســم تکمیل الادب و الصف العربی الابتدائی و الثانوی . و اصدقـــاء النادی الاخرون ، و یبلغ عدد اعضاءه فی هذا العام مائتی عضو یشترکون فی جمیع برامج النادی المقررة

«۱» ومن اقسام التکمیل ، قسم تکمیل التفسیر ایضا

من رياض الشعر والأدب

إنما العزة في وحدتنا

خالد الشواف

هذه الاحلاف لا شأن بهـــا لك يا شعب ففيم الانضمام
دفعوا عن عالـم حر و مـــا انت بالحر فما ثم الـــتزام
انت مقهور مضام و متى نصر القاهر مقهور مضـام
نهبوا ارضك زيتا و جنـــى و استباحوا و اباحوا و اساموا
رسل الحضارة لا كانوا ولاشمخت حضارة رسلها في الارض اقـزام
من رعيها الامن ما في الشرق حاق به و حارسوا الامن انصاب و اصنام
من العدالة من اخلوا ديارهـمـو لغاصبيها و من بادوا ومن هاموا
من المساواة ان المؤمنين بهـا من ولد آدم الوان و اقسـام
جلوا حضارتهم جسما و ما حفلوا بروحهـا فهي تزييف وايهـام
ان النفوس اذا مـا شابها كدر لم تصف ما بلغت في اللطف اجسام
يا ايها الشرق هل اقصيت منتجعا وافي حيامنى فلم يعبق بهـا فمـه
اما ترى الغرب مسعورا به شـره فكيف غرك معســول ينمنمه
هو المريض و هل يشفيك من رهق من لم تبل من الادواء اعظمه
اعتصم بالوحدة الـكبرى فمـا في سواها لك يا شعب اعتصام
انها عروتك الوثقى و مـــا لعرى يمسكها الشعب انفصام
انما العـــزة فـي وحدتنـا فاقيموا صرحها تحيوا كـــراما
من يرى الوحدة شرا غـير من قلبه عن كل خـــير يتعامى

مقتبس من مجلة الأديب. لبنان

اعلان ملك المجلة
دعوة الحق

بيان ملك المجلة « دعوة الحق وفق المادة (٨) من قانون وزارة النشر والإعلام للحكومة الهندية (لتسجيل الصحف والمجلات) كما يأتي :

(١) محل النشر : ديو بند .

(٢) مدة النشر : ثلاثة أشهر .

(٣) الطابع : وحيد الزمان الكيرانوي

(٤) الناشر : وحيد الزمان الكيرانوي

(٥) رئيس التحرير : وحيد الزمان الكيرانوي (٦) الجنسية : هندي (٧) العنوان : أبو المعالي ديو بند

(٨) صاحب الإمتياز ومالك المجلة : دار العلوم ديو بند .

ان البيانات المذكورة أعلاه صحيحة في علمي واعتقادي

وحيد الزمان الكيرانوي

تام بالطبع في مطبعة ک۔ث ونشرها من دار العلوم - ديوبند - الهند

تحت اشراف صاحب الفضيلة الشيخ مولانا محمد طيب رئيس الجامعة

مجلة

مجلة اسلامية تصدر عن دار العلوم بديوبند كل ثلاثة اشهر

رئيس التحرير المسؤل :

وحيد الزمان الكيرانوى

المدرس بدار العلوم ، ديوبند

الاشتراك السنوى

اثنا عشرة روبية فى الهند

و ما يعادلها فى الخارج

للمدارس العربية ثمان روبيات

العدد الرابع - المجلد التاسع

محرم الحرام سنة ١٣٩٤هـ

فبراير سنة ١٩٧٤م

طبعت بالمطبعة الكوثر

سراى مير، اعظم كره (الهند)

العدد الرابع المجلد ٩

فهـــرس المحتويات

عنوان المراسلة و ارسال بدل الاشتراك :

مـــدير مجلة دعوة الحق

دار العـــلوم . ديوبنـــد . الهـــند

بسم الله الرحمن الرحيم

شمول الدعوة الاسلامية

بقلم فضيلة الشيخ مولانا محمد طيب مدير دار العلوم بديو بند

ان الدين الذى يكون فى جوهره و طبيعته ملائما لعموم طبائع البشر و نظاما اكمل للانسانية جمعاء من حيث حقيقته و اسمه و تعاليمه دون تقيد بالزمان و المكان و الذى يملك من القيم الروحية و المعنوية قوة جاذبة و صلاحية انتشار و ذيوع بمجرد فطرته و طبيعة محاسنه و يكون لدعوته معالم مرسومة و خطط ملهمة انما هو دين دعوة و دين انسانية يستحق ان يعيش فى قلوب البشر و يسود العالم و يعم الامم ·

و اذ استعرضنا بالانصاف اديان العالم و قارنا بينها مقارنة واقعية لوجدنا ان الاسلام هو الدين الذى يفهم من مجرد اسمه و مدلوله عموم نطاقه و شمول دائرته بكل وضوح ·

عالمية الاسلام باسمه ·

ان الدين الاسلامى كما يفهم من اسمه « الاسلام » عموم و شمول فى

دعوته كذلك يتضح من جميع الكلمات التى عبر بها عن هذا الدين « كسبيل الرب » و « الصراط المستقيم » و « صراط الله » و « الهداية و « الحنيفية » فهذه الكلمات كلها كما انها تنفى انتسابها الى ارض او قوم او شخصية تدل كذلك بوضوح على معانى سامية لا تكتمل السعادة البشرية بدونها ، و هذا دليل واضح على عالمية الاسلام لعدم انتسابه الى ارض او قوم او شخص من الاشخاص . و اما اذا نسب هذا الدين الى شخصية فى مناسبة من المناسبات فى بعض المواضع كما جاء فى القرآن الكريم « ملة ابراهيم حنيفا » فليس معناه تحديد نطاقه و انما جعلت تلك الشخصية ايضا عالمية لا تختص بقوم او ارض فان ابراهيم عليه السلام وصف بامامة عامة للناس كما جاء فى القرآن الكريم « انى جاعلك للناس اماما » فامامته لم تختص بامة دون امة بل عمت جميع افراد البشر ؛ فلذلك لا تقدح نسبة الاسلام الى ابراهيم عليه السلام فى عالميته و عموم دعوته .

عالمية الاسلام باعتبار الظرف .

ان الاسلام كما يفهم من اسمه العموم فى دعوته كذلك يظهر من تعاليمه انه دين عالم لا دين ارض او ملة خاصة و لذلك اهتم الاسلام فى تعاليمه كثيرا بهذا العموم و الانطلاق ، و هذا ما يسبب انتشار دعوته و رسالته فى ارجاء العالم غير متقيدة بحدود الارض و الوطن فان وطنه هو العالم كله ، و قد عبر عن هذا المعنى الرسول ﷺ قائلا : (جعلت الارض مسجدا و طهورا) (١) و فى موضع آخر يقنع الرسول ﷺ المؤمنين

(١) ابن ماجه

حين بشرهم بفتح العالم كله بان الارض كلها وطن لهم فقال :

« ستفتح عليكم ارضون و يكفيكم الله فلا يعجز احدكم ان يلهو باسهمه » (۱) اى انكم ستفتحون الاراضى فى القريب العاجل و الله يكفيكم فى تحقيق ذالك و لكن مع ذالك يجب ان لا تتخلوا عن فنون الحرب (كرمى النبال) فتتركوها .

و فى موضع حين بشرهم بفتح المشرق و المغرب على ايديهم حث امراء المسلمين و قوادهم على التمسك بالعدل الشامل و اخذ الحيطة فى الامور فقال ﷺ : (ستفتح مشارق الارض و مغاربها على امتى الا و عمالها فى النار الا من اتقى الله و ادى الامانة) (۲) .

و كذالك يقول ﷺ — و هو يبشر باستيلاء الاسلام على جميع خزائن الارض — (اوتيت بمفاتيح خزائن الارض فوضعت فى يدى) (۳)

و هذه الآيات الكريمة دالة على ان الاسلام لا يتقيد بمكان و لا تنحصر دعوته فى امة دون اخرى ، و رسالته عامة و دعوته شاملة لانه دين عالمى . عالمية الاسلام باعتبار صلاحيته الذاتية .

قد جاء فى بعض الروايات انه لا يبقى بيت عراء كان من آجر او مدر الا و يدخله الاسلام فاما من رغبة اهله و طواعيتهم او على كره منهم . و هذا لا يتحقق الا اذا كان الاسلام ذا فاعلية ذاتية تؤثر على القلوب فتتغلغل فيها . و قد توجه امر الله سبحانه و تعالى الى نبيه ﷺ بقوله « ادع الى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة » فالامر بالدعوة الى سبيل الرب اى

---

(۱) مسند احمد (۲) ابو نعيم فى الحلية (۳) بخارى و مسلم

الاسلام لا يصح الا اذا كان المامور به ذا صلاحية و جاذبية واسع الآفاق في الذيوع و الانتشار فان الاسلام لو لم يكن كذلك لما توجه امر الله الى الرسول ﷺ بالدعـــوة اليه ، اذ كان ذلك تكليف ما لايطاق . فهذا دليل واضح عـــلى ان الاسلام دين عالمي مـن حيث جوهره و طبعـــه و خصائصه الذاتية .

يظهر من الآيات و الاحاديث السالفة الذكر الى جانب عموم رسالة الاسلام عموم و آفاقية الامة المسلمة التى تقوم بحمل اعباء تلك الرسالة فانها لا تتقيد بارض دون ارض و وطن دون وطن بل العالم كله وطن لها ، فلا يمنعها من حيث وضعها موضع عن توطنها موضعا آخر فانها قد بشرت بانها ستكون آخر الامر مسيطرة على العالم ذات سيادة و نفوذ . و مما لا شك فيه ان هذه الامة اينما وصلت انتقل معها الاسلام بكل فاعليته و تاثيره . فالاسلام دين عالمي و الامة الحاملة لرسالته كذلك امة عالمية و قد قال سبحانه و تعالى في القرآن الحكيم « هو الذى ارسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون » فهذه الآية مشيرة الى انتشار الامة المسلمة فى العالم و ذيوع الاسلام فى ربوعه فالمقصود من الآية هو بيان عالمية الامـــة المسلمة بواسطة عالمية الاسلام و بالعكس . و قد ثبت فعلا عالمية الاسلام و الامة المسلمة فهو مما لا يحتاج الى دليل .

* * *

روح الوحدة و التضامن في المواقف العربية

وحيد الزمان الكيرانوى

ان التضامن العربي الذى قد شهده العالم فى معركة رمضان بكامل صورته و الذى لم يزل الى ما بعدها باكثر اجــزائه القوامية قد اثبت مرة ثانية — لا لاول مرة — ان وحدة الاهداف و وحدة الروح لابدان تثمر ثمرتها آجلا او عاجلا ، و اثبت كذلك ان المجهودات المبذولة فى هذا السبيل لن تضيع ما دامت هى منطوية على الاخلاص ، منطلقة من النفوس المجبولة على الغيرة الاسلامية ، و الاحتفاظ بشوكة دين الله .

ان الامة العربية اكتسبت كل ما اكتسبت من العز و الفخار فى ماضيها من دين الاسلام الذى رفع شانها و اعلى كلمتها و جمع شملها و الف شتاتها . فتقلت خير دروس فى ساحــة الشرف و منصة البروز من تعاليم الاسلام البراقه ، و هــذا الدين هو الذى سبب توحيد شعوب مختلفة الاجناس و اللغات و الحضارات فذابت خصائص هذه الشعوب الذاتية الوطنية تحت تاثير

دعوة الاسلام و برزت الى افق العالم من جديد كامة واحدة فى عنصرها و لونها و دينها و عقيدتها حتى وفى لغتها و ثقافتها فلا شعب حجازى و لا نجدى و لا عراقى و لاشامى و لا مصرى و لا تونسى و لا ليبى و لا مغربى و لكنها كلها شعب عربى و بعبارة اخرى شعب اسلامى ؛ فان الاسلام هو الذى جعل هذه الشعوب المتعددة مصبوغة بصبغ واحد و قرر لغتهم الوحيدة هى اللغة العربية ، فوحدة الشعوب فى اللغة العربية ليست الا منحة الاسلام و لم تكتسب هذه الشعوب المتفرقة اسم الشعب العربى مع اختلاف اجناسها و عقائدها و ثقافتها و لغتها الا بالاسلام . فالاسلام هو العنصر الاساسى لكيان هذا الشعب العظيم الذى تلقب اليوم بالامة العربية او الشعب العربى . فاذا كان قوام شخصية هذه الامة هو الاسلام الذى هدم عناصر تفرقها و بناها بناء جديدا محكما على اسس التوحيد فلا عجب ان تعود هذه الامة العربية الاسلامية الى جوهرها و اصلها و تجسد باعمالها اولا و اقوالها ثانيا الهدف الوحدوى ، و تحقق التضامن المنشور الذى تعرت عنه منذ أمد بعيد و الذى كاد ان يكون حلما من الاحلام .

اندلعت نيران الحروب بين العرب واسرائيل اربع مرات وخاضت القوات العربية المعركة الحامية بمالها من عدة و عتاد الا انها كانت تفقد فى الحروب الثلاثة الاولى الى جانب معاناتها نقصا فى السلاح الحديث والخبرة التامة العسكرية . الروح التعاونية التى تنبثق من قلوب مومنة موحدة تخفق دائما بعاطفة جياشة لرفع شان الاسلام و المسلمين . كانت الاهواء فى الحروب الماضية تحل محل الاهداف و لو كانت الاصوات التعاونية مرفوعة اكثر من المرة الرابعة .

كانت الفكرة المسيطرة على المشاعر هى فكرة الاستنشار و التنصل من كل عباء تاتى به الحروب بالف حيل و مآت اعذار ، و كان العدو الصهيونى والاستعمارى يحرز النجاح فى مآربه بكل دقة و مهارة فى ايجاد خلافات و تجديد نزاعات بين القادة العرب خاصة و المسلمين عامة كما كان ينتصر عليهم فى ساحـــة القتال باستخدام اساليبها المعارضة للانسانية و المهددة لشرف الانسان و سلام العالم فى وقاحة دون احجام .

كان العدو ناجحا فى سياسة تفرقته بين العرب و المسلمين اكثر مما كان فى جهة القتال اذ جند اقلام كثيرين من المسلمين لخدمة اهدافه و مصالحه ، فكانت هذه الاقلام تنفث السموم و ترمى قذائف السباب و الشتم و تمطر وابلا من الاتهامات على القادة العرب و الجنود العرب عن عمد او غير عمد كما كان كثيرون من المخدوعين تتطاول السنتهم دائما بالطعن فى الشخصيات العربية و رميها بالكفر و الالحاد و الفسوق عن الايمان . فى عام ٦٧ حينما اصابت القوات الحربية نكسة و مباغتة بل مخادعة من قبل الاعداء وقفت المعركة بصورة مفزعة و موقتة و لكن احتدمت معركة حامية اخرى فى صفوف العرب و المسلمين يتهم بعضهم بعضا و ينال من عرضه و يغزو عقيدته و يهجم على نيته دون رحمة و لاوعى و هكذا كانت التفرقة بعد المعركة اشد ما كانت قبلها ، و لكن معركة رمضان كانت بالمعنى الصحيح معركة رمضانية تسودها من اول نشوبها روح الوحدة و التضامن شعبا و حكومة و بقيت هذه الروح ــ بعد ان وقفت المعركة و اعلن وقف اطلاق النار ــ بشكل مرضى تستمد بها القضية دعما و احكاما .

كما كانت روح الوحدة و التضامن تقود المعركة قيادة موفقة بقيت كذلك بعد وقفها قوية متصاعدة تقود العرب قادة و شعوبا الى معركة جديدة مصرية اذا اقتضته الظروف ، فلاول مرة فى القرنين الحاضر و السالف شهد العالم فى دهشة و استغراب ذلك التضامن و التلاحم العربى و الاسلامى الذى لم تنفكك عراه مهما شاء اعداء الله و اعداء الاسلام اخماد روحه و اطفاء شعلته باشاعات و دعايات صيهونية و استعمارية شيطانية . ولاول مرة رأى الناس قادة العرب ملوكا و رؤساء يطوفون عواصم البلدان العربية يلتقى الاخ بالاخ و يتشاورون فى وضع السياسة الموحدة و اتخاذ الخطوات المشتركة كاخوة اشقاء .

هذه هى المرة الاولى من حيث ان جو المواخاة المصادقة لم يتقلص نطاقه بعد انتهاء الحرب و وقف القتال فعلا بل ازداد استقرارا و امتدادا ، فالدول العربية مهما كان موقفها السياسى قبل نشوب المعركة الحربية الاسرائيلية ظهرت ككتلة واحدة مرصوصة فى خططها و سياستها نحو القضية العربية و استرجاع الاراضى المحتلة و استعادة القدس و ما تعرض حرمته لانتهاكات يهودية من الا ماكن المقدسة . وضعت كل دولة بنوع اطاقتها و امكانياتها فى خدمة الهدف الواحد و فى طليعتها الدول المنتجة للنفط فانها قامت بدور خطير و تجربة ناجحة فى خدمة المصالح الحربية و دعم الاهداف باستخدام النفط كسلاح فعال لربح المعركة و تحويل المواقف السياسية لكثير من دول اوربا التى تعيش عالة على النفط العربى و مع ذلك تساند اسرائيل مساندة قوية ، فعادت و بدأت تعود هذه الدول المحالفة للعدو الى رشدها و اضطرت الى

تغيير سياستها و موقفها نحو الدول العربية مستسلحة لهذا السلاح الجبار . و كانت خطوة حظر النفط و سياسة خفض تصديرها موحدة محكمة لم يستطع المحتالون احداث صدوع و شقوق فى داخلها ، و باؤا بالفشل فى هذه المرة فى ايجاد التفرقة او مساومة بعض الدول ضد بعض . و ليس هذا الانتصار اقل اهمية و فعالية من الذى احرزته القوات الحربية فى جبهة القتال فالعرب فى حرب رمضان ربحوا المعركة عسكريا و كسبوا الصداقات و التائيدات عالميا ، و حققوا اكبر احلام حياتهم التضامن و التساند معنويا - و هذه المكاسب سوف تكون منطلقا جديدا لنهضة العالم العربى ثم العالم الاسلامى نهضة اسلامية عظيمة فى جميع مجالات الحياة انشاء الله تعالى .

دعامة الصلاح

ان صلاح النفس هو دعامة كبرى فى نظر الاسلام للسعادة البشرية فالنفس اذا صلحت و تحلت بصفات الكمال ثم تعدى الى الآخرين صلاحها و توجهت الى اصلاح الغير و تحلية النفوس بتلك الصفات الفاضلة فعند ذلك تتم السعادة البشرية .

(الشيخ محمد طيب)

نماذج اليقظة الايمانية من واقع الاسلام

﴿بقلم الاستاذ سيد قطب رح﴾

ان الروح هو الذى يرسم الافق الاعلى الذى يتطلب الاسلام من معتنقيه ان يتطلعوا اليه ، و ان يحاولوا بلوغه ، لا بتنفيذ الفرائض و الشعائر فحسب ، و لكن بالتطوع الذاتى لما هو فوق الفرائض و الشعائر .. و هذا الافق عسير المرتقى ، و اعسر من ارتقائه الثبات عليه ! لان نوازع الحياة البشرية ، و ضغط الضرورات الانسانية ، لا يطوعان للاكثرين من الناس ان يرقوا الى هذا الافق العالى و لا ان يصبروا عليه طويلا ، ان ارتقوا اليه فى فورة من فورات الشوق و التطلع ؛ فلهذا الافق تكاليفه العسيرة ، و هى تكاليف فى النفس و المال ، و فى الشعور و السلوك . و لعل اشد هذه التكاليف مؤنه هو تلك اليقظة الدائمة التى يفرضها الاسلام على ضمير الفرد ، و الحساسية المرهفة التى يثيرها فى شعوره ، تجاه الحقوق و الواجبات ، لذاته و للجماعة التى يعيش فيها ، و للانسانية التى ينتسب اليها ، و للخالق الذى يراقبه فى الصغيرة و الكبيرة ، و يعلم سره و نجواه .

و لكن صعوبة هذا المرتقى ، و تعذر الاستمرار عليه طويلا .. لايعنى

ان الاسلام فكرة شاعرية خيالية ، و مثل وجدانى تدركه الاشواق و تقصر دونه الاعمال ، فذلك الافق الاعلى الذى نتحدث عنه لا يكلفه كل انسان فى جميع الازمان ؛ انما هو هدف مرسوم لتحاوله البشرية اليوم ، كما تحاوله غدا ، و كما حاولته بالامس ، فبلغت اليه احيانا ، و قصرت عنه احيانا .
و هو مثل فيه من الثقة بالانسان و ضميره و طاقاته قدر كبير ، و فيه الدليل على ان الانسانية غير ميؤوس منها فى المستقبل القريب او البعيد . و دون ذلك مجال فسيح للعمل و الواقع المستطاعين للاكثرين ، و « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » و سماحة الاسلام تقبل من الجميع ما يستطيعون فى حدود مرسومة ، لا تهبط عنها الحياة « و لكل درجات مما عملوا » ، و الطريق الى الافق الاعلى ابداً مفتوح ،

و لقد كان لذلك الروح الذى اشرنا اليه اثر فى واقع الاسلام التاريخى ، فاستحال الاسلام — و هو فكرة و معنى — شخصيات و وقائع ؛ و لم يعد نظريات مجردة ، و لا مجموعة ارشادات و مواعظ ، و لا مثلا داخلية ؛ انما عاد نماذج انسانية تعيش ؛ و وقائع عملية تتحقق ، و سلوكا و تصرفات تشهد بالعين ، و تسمع بالاذن ، و تترك آثارها فى واقع الحياة ، و فى اطوار التاريخ ، فكانما كان روحا سحريا يتلبس بهذه الشخوص فيحولها ، و يصوغها صياغة جديدة ، و ينشئها نشأة اخرى .

و نماذج اليقظة الايمانية الدائمة ، و الحساسية المرهفة ، و التطهر الروحى ، و الشجاعة النفسية ، و التصفية المؤثرة ، و الغناء فى الفكرة ، و الومضات الروحية و الفكرية البارعة ، و البطولات الحية فى شتى مناحى

الحياة . . لا يكاد يحصيها التاريخ .

فابدأ الآن فى عرض نماذج من الواقع التاريخى لليقظة الايمانية الدائمة التى يفرضها الاسلام على ضمير الفرد ، و الحساسية المرهفة التى يثيرها فى شعوره و لقد حفظ التاريخ الاسلامى نماذج لتلك اليقظة الدائمة ، و لهذه الحساسية المرهفة ، اكثر من ان ناتى هنا بها ، و النماذج القليلة تغنى عن الكثير .

عن بريدة قال : «جاء ماعز بن مالك الى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله طهرنى ، فقال : ويحك ! ! ارجع فاستغفر الله و تب اليه ، قال فرجع غير بعيد ، ثم جاء فقال : يا رسول الله طهرنى ، فقال النبى ﷺ مثل ذلك . حتى إذا كانت الرابعة ، قال رسول الله : مم اطهرك ؟ قال : من الزنا . فسأل رسول الله : أ به جنون ؟ فاخبر انه ليس بمجنون . فقال : أ شرب خمراً ؟ فقام رجل فاستنكهه فلم يجد منه ريح خمر . فقال : أ زنيت ؟ قال نعم ! فامر به فرجم . فلبثو يومين او ثلاثة ثم جاء رسول الله ﷺ فقال : استغفروا لماعز بن مالك ، لقد تاب توبة لو قسمت بين امة لوسعتهم . ثم جاءته امرأة غامد بن الازد ، فقالت يا رسول الله طهرنى . فقال : ويحك ! ! اذهبى فاستغفرى الله و توبى اليه . فقالت : تريد ان تردنى كما رددت ماعز بن مالك ؟ أنها حبلى من الزنا ! فقال : انت ؟ قالت : نعم . قال لها : حتى تضعى ما فى بطنك . قال : فكفلها رجل من الانصار حتى وضعت ، فأتى النبى ﷺ فقال : قد وضعت الغامدية ، فقال اذن لا نرجمها و ندع ولدها صغيراً ليس له من ترضعه . فقام رجل من الانصار فقال : الى رضاعه يا نبى الله . قال فرجمها . و يروى انه قال لها : اذهبى حتى تلدى . فلما ولدت قال : اذهبى

فارضعيه حتى تفطميه . فلما فطمته اتته بالصبى فى يده كسرة خبز ، فقالت : هذا يا نبى الله قد فطمته و قد اكل الطعام . فدفع الصبى الى رجل من المسلمين ، ثم امر بها فحفر لها الى صدرها ، وامر الناس فرجموها . فيقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى راسها ، فتنضح الدم على وجه خالد ، فسبها ، فقال رسول الله ﷺ مهلا يا خالد ، فوالذى نفسى بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ، ثم امر بها فصلى عليها و دفنت (١) »

فهذا ماعز بن مالك و هذه صاحبته ؛ و لم يكن احدهما او كلاهما ليجهل العقاب الاليم الذى يناله ، و المصير الشنيع الذى يحل به ؛ ولم يكن احد قدرأهما لتثبت عليهما الجريمة ؛ ولكنهما يلحان على الرسول ، وكلما شاءت رحمته و رحمة الاسلام ان يدرأ عنهما الحدود بالشبهات ، اصرا و الحا ، و اغلقا عـــلى انفسهما جميع الابواب و المنافذ ؛ بل زادت المراة ان تجبه محمدا رسول الله بانه يريد ان يردها كما رد ماعزاً . ان كانت لتكاد تتهم رسول الله بالتهاون فى دينه !

لم هذا كله ؟ . . فى قوله و قولها : « طهرنى يا رسول الله » ما يشير الى الباعث القوى الذى يغلب فى انفسهما على رغبة الحياة . انها يقظة الضمير ، و حساسية الشعور انها الرغبة فى التطهر من الاثم الذى لم يطلع عليه احد الا الله . انه الحياة ان يلقيا الله غدا لم يطهرا من ذنب ارتكباه .

ذلك هو الاسلام . فى حساسيته المرهفة تبدو فى ضمير الجانى . و فى رحمته العميقة تبدو فى رد محمد لها ، وتلمس المخرج لكليهما . و فى حزمه يبدو

(١) مسلم و النسائى

فى تنفيذ العقوبة عند ثبوت التهمة ، لا يقفه نيل الاعتراف و لا عظم التوبة ، لان الجانى و الشارع يلتقيان هنا عند الرغبة فى قيام هذا الدين على اساسه الركين.

فهذه فى الحدود . فكيف بها فى الاعتبارات الاجتماعية التى يضحى احيانا فى سبيلها بالحياة ؟

انها قصة عزل خالد عن امارة الجيش فى الشام ، و توليتها اباعبيدة . وخالد هوالقائد المقدام الذى لم يهزم الى ذلك اليوم فى موقعة قط ، و هو العربى المزهو بنفسه و نسبه و انتصاراته .

خالد هذا يعزل من الامارة ، فلايضغطن ، و لاتاخذه العزة فينسحب من الميدان — و لا نقول يحاول الثورة — بل يظل فى المعركة بالعزيمة ذاتها . و بالرغبة فى نصرة دين الله . والاستشهاد فى سبيل الله ، لايلقى بالا الى هذه الاعتبارات كلها فى الموقف ، لان اليقظة الدائمة التى يفرضها الاسلام على ضمير الفرد ، و الحساسية المرهفة التى يثيرها فى ضميره ، فوق كل الاعتبارات وفوق كل الملابسات (١) .

هذا عمر بن الخطاب خليفة يحمل حاملا قربة ماء ، فيساله ابنه فى استنكار : لم فعلت هذا ؟ فيجيب : « أعجبتنى نفسى فاحببت ان اذلها » . يا لها من حساسية ! لقد استشعرت نفس الرجل شيأ من الزهو فى اعماقها بالخلافة و بالفتوح و بالعظمة المقبلة ، فكره لها ان تلج فى هذا الزهو ، فبادر يذلها . و يذلها على مرأى من الناس . و لا يبالى انه الخليفة الحاكم على رقعة تضم الى بلاد العرب معظم امبراطوريتى كسرى و قيصر !

---

(١) عن كتاب « خالد بن وليد » للاستاذ صادق عرجون

و هذا على بن ابى طالب خليفة يرعد من البرق الشتاء ، و على جسده ثوب صيق لا وقاء له سواه . و بيت المال فى يده ، تذوده عنه تلك اليقظة فى الضمير ، و ذلك الارهاف فى الشعور .

ثم هذا ابو عبيدة مع جنده فى عمواس ، و قد اخذها الطاعون الفاتك و يخاف عمر على « امين الامة » فيدعوه ليلتمس له مخرجا من الهلاك فى كتاب يقول له فيه : « اما بعد ، فانى قد عرضت لى اليك حاجة اريد ان اشافهك فيها ، فعزمت عليك اذا نظرت فى كتابى هذا الا تضعه من يدك ، حتى تقبل الى » و ينظر ابو عبيدة فى الكتاب فيدرك قصد عمر ، و يشعر انه انما اراد ان يستله من الوباء الفتاك . فيقول : « يغفر الله لامير المومنين » ثم يكتب اليه : « انى قد عرفت حاجتك الى ، و انى فى جند من المسلمين لا اجد بنفسى رغبة عنهم ، فلست اريد فراقهم ، حتى يقضى الله فى و فيهم امره و قضاءه ، فخلنى من عزمتك يا امير المومنين ، و دعنى فى جندى » و يقرأ عمر الكتاب فيبكى ؛ فيساله من حوله : امات ابو عبيدة ؟ فيجيب و الدمع يخنقه : « لا و كان قد » و قد كان !

أ هو الايمان العميق بقدر الله يمسك ابا عبيدة فى مراده ! انه لهو و معه تلك الحساسية الا يضر و يدع جنده ، و هو و اياهم جند فى سبيل الله .

و هذا بلال بن رباح مؤذن الرسول يرجوه اخوه فى الاسلام «ابورويحة» ان يتوسط له فى الزواج من قوم من اهل اليمن فيقول لهم : « انا بلال بن رباح ، و هذا اخى ابو رويحة ، و هو امرأ سوء فى الخلق و الدين ، فان شئتم ان تزوجوه فزوجوه ، و ان شئتم ان تدعوا فدعوا »

هكذا لا يدلس عليهم ، و لا يخفى من امر اخيه شيآ ، و لا يذكر انه وسيط لينسى انه مسئول امام الله فيما يقول . و قد زوجه القوم مطمئنين الى هذا الصدق ، و حسبهم ان يكون صاحبه وسيطآ بين ابنتهم و من خطبها اليه .

ثم هذا ابوحنيفة « قد بعث بمتاع الى حفص بن عبد الرحمن شريكه فى التجارة ، واعلمه ان فى ثوب منه عيبآ ، فبينه للناس ، فباع حفص المتاع ونسى ان يبين ، و استوفى ثمنآ كاملا لثوب غير كامل — و قيل ان الثمن كان ثلاثين الفا ، او خمسة و ثلاثين الفا — فابى ابوحنيفة الا ان يبعث لشريكه يكلفه ان يبحث عن المشترى ، و لكنه لم يهتد الى الرجل ؛ فابى ابوحنيفة الا فصالا من شريكه و تاركا . بل رفض ان يضيف الثمن الى حوماله ، و تصدق به كاملا » (۱)

« و يروى انه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الاثمان . ضرب قيمة كل احد منه اربعماة ، و ضرب كل حلة قيمتها مائتان . فمر الى الصلاة ، وخلف ابن اخيه فى الدكان ، فجاء اعرابى و طلب حلة باربعماة . فعرض عليه من حلل المأتين ، فاستحسنها و رضيها و اشتراها ، فمضى بها ، و هى على يده ، فاستقبله يونس . فعرف حلته ، فقال للاعرابى : بكم اشتريت ؟ فقال : باربعماة ، فقال : لا تساوى اكثر من مأتين ، فارجع حتى تردها ! فقال : هذه تساوى فى بلدنا خمسمائة و انا ارتضيها فقال يونس : انصرف فان النصح فى الدين خير من الدنيا بما فيها . ثم رده الى الدكان ، و رد مأتى درهم ، خاصم ابن اخيه فى ذلك و قال له : أ ما استحييت ! أ ما اتقيت الله ! تربح مثل الثمن و تترك النصح للسلمين ! فقال : والله ما اخذها الا و هو راضى بها ، قال : فهلا رضيت

(۱) « ابو حنيفة بطل الحرية ... » للاستاذ عبد الحليم الجندى

له بما ترضاه لنفسك ؟

« روى عن محمد ابن المنكدر ان غلامه باع لاعرابي فى غيبته شقة من الخمسيات بعشرة ، فلم يزل يطلب ذلك الاعرابي طول النهار حتى وجده . فقال له : ان الغلام قد غلط مبتاعك ما يساوى خمسة بعشرة . فقال : يا هذا قد رضيت . فقال : و ان ارضيت فانا لا نرضى لك الا ما نرضاه لانفسنا . و رد عليه خمسة » (١)

و مفتاح هذه الحوادث الثلاث هو قول يونس بن عبيد لابن اخيه : « أ ما استحييت ؟ أ ما اتقيت الله ؟ » نعم انه الحياة من الضمير ، و انها التقوى لله . ذلك ما يثيره الاسلام فى النفس الانسانية بقوة حين يستشعر روحه ، و يمتزج بها و تخالطها بشاشة .

و ان وراء هذه النماذج التى عرضناها لعشرات و مئات من امثالها فى كل منحى و فى كل اتجاه ، و حسبنا منها هذه المثل القلية ، لتشير الى الآفاق التى يهدف اليها الاسلام فى تطهير الضمير البشرى و دفعه ، ليستعلى على جميع الملابسات و الضرورات ، على حب النفس و الحياة ، و حب المال و الجاه ؛ و ليصبر على تكاليف اليقظة الايمانية الدائمة التى يفرضها على ضمير الفرد ، و الحساسية المرهفة التى يثيرها فى شعوره ، ليضمن بذلك بلوغ تلك الآفاق ؟

ملحوظة :ـــ هذا المبحث مقتبس و ملخص من كتـاب « العـــدالة الاجـــتماعية فى الاسلام » للاستـاذ سيد قطب من ص ١٤٦ ، الى ص ١٦٠ ،

---

(١) عن كتاب « الرسالة الخالدة » للاستاذ عبد الرحمن عزام .

الاسلام سبب النهضة فى اوربا

علم الاوربيون ان النظم الاسلامية نظم سامية متكاملة ، قامت عليها حضارة هى اجل ما سبقها من حضارات فى جميع انواع العلم و المعرفة ، من طب الى فلك الى رياضة الى فلسفة الى كيميا ، وان الشعوب الاسلاميةليست همجية و لا بربرية و ان التعاليم الاسلامية شملت خير ما تقوم عليه الصلات بين الافراد والجماعات و الامم ، واحسوا بما هم عليه من تناحر و تاخر فى جميع فروع الحياة ، احسو بالحاجة الملحة الى ان ينهلوا من هذه الثقافة و تلك الحضارة . فكان ذالك السبب المباشر للنهضة التى قامت فى اوربا ، و الاصلاح الذى شمل ناحيتى العلم و الدين عندهم ، و منها يورخون بداية العصر الحديث فى اوربا و ختام العصور الوسطى المظلمة ؟

(المتشار على على منصور)

اضواء على التصوف من القرآن

نبذة من كتاب « شواهد احكام الصوفية من القرآن » عثر عليه الامام المصلح الشيخ اشرف على التهانوى رحمه الله (من مشيخة دار العلوم بديوبند) فى بهاولبور حين فرغ من تاليف كتيب فى التصوف باسم حقيقة الطريقة . فرأى فى الكتاب المذكور مايلائم ذوقه و يتطابق مع موضوعه فقام بتلخيصه و شرح بعض مغلقاته و سماه بتاييد الحقيقة بالآيات العتيقة . وها هى نبذة من الملخص نقدمها لقراء دعوة الحق . (التحرير)

سورة البقـــرة

قوله تعالى : والله محيط بالكافرين ٠ و قال فى آيات اخـــر و كان الله بكل شئ محيطا . و ان ربى بما يعملون محيط . و ان ربك احاط بالناس و احاط بما لديهم . و هذه الايات كلها دالة على صحة قول من يقول من العلماء الصوفية ان الله تعالى بكل مكان غير انهم لايعلمون كيفية كون مكان الله ، (اى يقولون بالاحاطة الذاتية لا بمحض الاحاطة الصفاتية كاهل الظاهر) و ليس من ضرورة الاحاطة ان يكون المحيط و المحاط عليه جسما و انما تفسير الاحاطة ان لا يكون المحاط عليه بعيداً من المحيط و لا المحيط بعيداً منه .

ان ذلك مشهور بين مشائخ الصوفية كلهم نحو جنيد و الشبلي و ابن عطاء و غيرهم . و مروى عن جنيد انه تكلم عنده رجل فاشار الى السماء فقال لا تشر الى السماء فانه معك . فهذا دليل على انه ما خصص مكان الله تعالى بالعرش بجهة دون جهة . (ويكون الاستواء على العرش متشابها او ماولا على اختلاف المسلكين . و ورد فى الحديث اطلاق المكان حيث قال و ارتفاء مكانى) .

قوله تعالى : (ادخلوا فى السلم كافة) اعلم ان السلم فى التصوف هو موت النفس عن الصفات الذميمة و عن الدنيا و الاخرة مع انه حى قائم لا يتحرك و لا يسكن الا لله تعالى و ما هو خلاف ذلك ليس بعلم لأن الخصومة قائمة بقدر ما لم تمت ، و شرطنا ان يكون ذلك السلم حال حياته ، لان هذا خطاب الاحياء فى الدنيا باقامة التكاليف دون اهل المقابر .

قوله تعالى (و الله يقبض و يبسط) و يقبض احياءه عن كل ما سواه و يبسطهم اليه و هو الجذبة (يعنى أن الآية بعموم لفظها تشمل هذا القبض و البسط كما انها تشمل قبض الواردات و بسطها أيضا)

قوله تعالى : (قال بلى و لكن ليطمئن قلبى) و هذا دليل على ان الايمان يزيد فيصير طمانينة و هو الذى يسميه الصوفية يقينا ثم تلك الزيادة تكون بالروية و الوجدان و هذه الآية دالة على أن الأيمان مع الشك اى عدم حصول الاطمينان كائن ، و لا ينفيه الشك ، و ذلك فى قوله تعالى فان كنت فى شك مما انزلنا اليك ، الاية و فى قوله عليه السلام نحن احق بالشك بابراهيم ، قلت و هو احسن تفاسير الشك .

سورة آل عمـــران

قوله تعالى : (و يحذركم الله نفسه) و هذه الاية و امثالهـا دالـة ظاهرة على صدق مقالة المشـايخ ، حيث قالوا : ان العـارف لايخاف الا ذاته تعالى و لايخاف عذاب النار و لافوات نعيم الجنة و لا الدنيا بجميع ما فيها و يدل على مثل ذلك ايضاً قول النبي ﷺ : اللهم انى اعوذ بك منك .

قوله تعالى (و الى الله المصير) يعنى الى الله نفسه و ذاته مصير كل بر و فاجر و كل قريب و بعيد ، فاما الفاجر فصيره السعير المسجر بسجير الغضب المسعر بحطب السخط و الانتقام و المقت من الحق تعالى ، و كل ذلك صفات الله تعالى . و أما مصير الابرار الى الله تعالى فى دار السلام و الى الدرجات العلى .

قوله تعالى : (قل ان كنتم تحبون الله) المحبة أصلها الارادة فتنمو و تزداد فى ان تصير محة ثم لا تزال تزداد حتى تكمل اما الشوق و العشق فهى محبة ملتهبة والالتهاب انما يحصل عند ازدياد المحبة مع فقد الوصال فان حصل الوصال زال الالتهاب و لا يزال يزداد لمن يرداد حتى يكمل و اذا كمل مع الوصال فهو الرضوان و ليس الشوق و الالتهاب ان تكون المحبة كاملة بل ربما تكون ناقصة و مع هذا يلتهب التهابا محرقا لفقد الوصال ، فافهم .

قوله تعالى (انى نذرت لك ما فى بطنى محررا) يعنى عبدا خالصا عن كل شئ سوى عبوديتك يقال طين حر ، اى خالص صاف ، و الحرية اعلى مقامات الاولياء فى العبودية . و غلط اهل الاباحة ، فظنوا بذالك حرية النفس

عن عبودية الحق بارتفاع التكاليف عنه ، هذا باطل ، تلقوه من الشهوات و الهوى ، فان الحرية كمال العبودية صفاء و خلوصا .

قوله تعالى : (قال يا مريم انى لك هذا الآية) كان ذلك الرزق فاكهة لمريم صلوات الله عليها و لم تكن نبية ، فدل على ان ذلك كرامة لها و ليس معجزة لزكريا النبى عليه السلام . لان ذكريا لم يعلم بذلك ، و تعجب و لم تقل (١) معجزتك .

قوله تعالى حاكيا (و ابرئ الاكمه و الابرص و احيى الموتى باذن الله) و هذا يدل على صحة ما قال المشائخ ان العبد يتخلق باخلاق الله . أضاف ابراء الاكمه و الابرص ، و احياء الموتى الى عيسى عليه السلام ، و قيد باذن الله ، و عند مشائخ الصوفية غير محال ان يقدر الله من شاء من عباده على ذلك .

قوله تعالى : (لا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله) هذه الآية دالة على بطلان قول الحلولية من الصوفية ، يقولون ان الانسان الفاهم العالم العامل هو الرب القائم فى شخص الانسان اذا يرى شيئا فانما يرى الرب بالرب و يسمع الرب بالرب و يعلم الرب بالرب . و هنا اثبت الوحدانية . و من قال بالحلول قال باكثر من واحد .

قوله تعالى : (و لكن كونوا ربانيين) اى كونوا متخلقين باخلاق ربكم مبصرين ببصائر قلوبكم و الربانى منسوب الى الرب تعالى بالعبودية له ، فكون العبد ربا مستحيل و كونه ربانيا مطلوب جميل .

قوله تعالى : (و لا يامركم ان تتخذوا الملائكة و النبيين اربابا) المشائخ

---

(١) اى لم تقل مريم لزكريا عليه السلام هذه معجزتك .

قالوا : ان اتخاذ الملائكة ارباباً هو ذكرهم بالقلب و الالتفات اليهم بخاطـــر القلب و خطرات السر ، قال ابن عطاء اياك أن تلاحظ مخلوقا و انت تجد الى ملاحظة الحق سبيلا . قال الواسطى فى هذه الآية لا يخطرن باسراركم تعظيمهم و لا الفكر فى صفاتهم ، قلت المراد ملاحظة مقصودة و الا فملاحظة الخلق بالشفقة و الرحمة او من حيث ان الله تعالى اوجب الايمان بالنبيين و الملائكة فمطلوب فى الشرع .

قوله تعالى : (الذين يذكرون الله قياما و قعودا و على جنوبهم) يعنى يذكرون الله فى جميع الاحوال دائما ابداً لان احوال الناس لاتخرج من هذه الاحوال الثلاثة و هو القيام و القعود و الاضطجاع ، ثم لا بد للانسان من النوم و الأكل و الشرب فعلم ان المراد منه الذكر بالروح و القلب ؛ فانه يمكن فى الاحوال كلها اى هو أعظم فرد من المراد لا أنه ينحصر فيه المراد .

سورة النساء

قوله تعالى : (و لا توتوا السفهاء اموالكم) فالسفيه عند المشائخ هو النفس اى لا تتصرفوا فى اموالكم الا على خلاف النفس و الهوى فان مال النفس الى البذل (اى عما فيه احتمال لحظ النفس) فامسك و ان مال الى الامساك فابذل ، و لا تتبع النفس فى هواها ، و لا تلتفت اليها الا زجراً و ردعا ، و لا تشاورها فانها سفيه . و شاور العقل و الدين . و اعمل بما يامر انك (المقصود من هذا التقرير اشتراك الحكم باشتراك العلة فى السفهاء

و النفس لا تفسیر السفهاء بالنفوس . فافهم) .

قوله تعالى : (و من يخرج من بيته مهاجراً الى الله و رسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله) قوله تعالى من بيته اى عما سكن اليه قلبه من اشياء الدنيا كالنفس و الهوى و الشهوات مهاجراً عن كل ما سوى الله تعالى ، و سوى رسوله ﷺ ، فلو مات قبل التكمن فقد وقع اجره على الله و لزم الله تعالى اتمام نيته و ايصاله الى مقصوده و هو الله تعالى (و المقصود قياس هجرة على هجرة و تسمية المريد مهاجرا وارد فى الحديث و المهاجر من هجر ما نهى الله عنه ورسوله) .

قوله تعالى : (و من احسن دينا ممن اسلم وجهه) اى انفسه و ذاته و صفاته و شخصه و جوارحه كله لله خالصا مخلصا و يجعل كل اعماله لله على وفق رضاء الله .

قوله تعالى : (و اتخذ الله ابراهيم خليلا) هو المحب المختص ببعض الامور الشريفة العظيمة من حبيبه فعلى هذا كل انبياء الله تعالى أخلاءه تعالى ، و هكذا سائر الاولياء و العرفاء (و فائدة تخصيصه بهذا الذكر انه لم يكن لله تعالى خليل بهذه المثابة فى زمانه غيره) .

قوله تعالى (يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) و السبل جمع السبيل و قالو السبل الى الله تعالى كثيرة لا تحصى ، و هذه الآية لاتدل على صحة قولهم (اى الى المسئلة المعروفة الآن بعنوان طرق الوصول الى الله بعدد انفاس الخلائق و هذه كلها ترجع الى طريق واحد مستقيم ، فاما لم يرجع اليه فقال تعالى فيه و لا تتبع السبل)

قوله تعالى : (و على الله فتوكلوا (هو من مقامات السالكين)

قوله تعالى : (و ابتغوا اليه الوسيلة قال بعضهم الوسيلة فی الاحیاء الشیخ (ای هو داخل فی عمومها) و جاهدوا فی سبیله ای فی سبیل الله هذا امر بمجاهدة الصوفية (ای ان الآية عامة له .)

قوله تعالى : (و لا تشتروا باياتی ثمنا قليلا) على مذاق التصوف لاتشتروا بكراماتی و فراساتی التی ذكرت منكم بهذا و انی كرمتكم بها تقوية لكم على سيركم و ارتقائكم لا لوصولكم الى الدنيا (مالها و جاهها)

قوله تعالى : (لكل جعلنا منكم شرعة و منهاجا) يدل على ما تقدم من قوله تعالى يهدی به الله من اتبع رضوانه سبل السلام (ای بطریق اثبات بالنظير لابطريق ادخال الجزء فی الكلی لآن هذه الشرعة و المنهاج منها ماقدنسخ) .

قوله تعالى : (يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك) و لا تبلغ ما خصصناك به من الكشف و المشاهدة فانهم لا يطيقون حمله . هذا دليل على صحة ما يقول المشائخ لا ينبغی ان تحكی واقعاته للناس ، فان مست الضرورة تحكی على الشيخ فحسب .

قوله تعالى حكاية عن اسرائيل (لا تقصص رؤياك على اخوتك) و قوله تعالى (ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا و آمنوا و عملوا الصالحات ثم اتقوا و آمنوا ثم اتقوا و احسنوا) . فالله اثبت الايمان على ثلاث درجات فی هذه الاية ثم جعل الدرجة الرابعة احسانا .

قوله تعالى : (لا تسئلوا عن اشياء إن تبد لكم تسؤكم) ان سوال الاولياء و العرفاء (عما يختص بهم و لا يضطر اليه) سبب لفتنة زائدة ، فانهم يجيبون

وقت الحالة و ربما لا يوافقكم الجواب ، و تكذيب الولی و ان لم يکن کفراً فهو عظیم ایضاً (قلت هذا قياس علی سوال باشتراك العلة) .

سورة الاعـــراف

قوله تعالى : (فلا تقعد بعد الذکری مع القوم الظالمين) نهى عن القعود مع الظالمين من غير فصل بين ظالم و فاسق و کافر لأن الظالم يشملهم .

قوله تعالى : (فلما جن علیه اللیل الی قوله و ما أنا من المشرکين) و هذا یکون مبادی مشاهدات العرفاء من رؤية الانوار · فهذه الآية دالة على أن السالك فی طریق الله تعالی ینبغی أن یکون عاقلا کیسا دراکا ناظرا مستدلا غیر غافل عما یجوز علی الله و عما لایجوز علی الله فی ذاته و صفاته .

قوله تعالی : (و اجتبيناهم و هديناهم أی جذبناهم الينا من غير السير فی الطریقة و التصفية ، بالمجاهدة و هديناهم الی صراط مستقيم ليجهدوا فينا و يرتاضوا فی طریقنا .

قوله تعالی : (أولئك الذین هد الله فبهداهم اقتده . فی هذه الآیة دلالة ظاهرة علی أن المرید لابد له من شیخ یقتدی به .

قوله تعالی : (و من أظلم ممن افتری علی الله کذبا أو قال أوحی الی و لم یوح الیه شئ) . عام من کل مدع کـذاب سواء یدعی النبوة ام الولایة کیف ما کان ، مهما کان کاذبا ، دخل تحت هذه الآیة . قوله تعالی فمن یرد الله أن یهدیه یشرح صدره للاسلام وهو تسلیم النفس و القلب و الدنیا و الآخرة و ما فیهما کلها الی الله تعالی ، و اختیار الله وحده ، و یشرح صدره ای یجعل قلبه واسعا حتی یسع لخروج ما أسبل و نزول ما اختار . و سئل النبی ﷺ عن ذلك ، قال نور یقذف فی القلب فینشرح به ؟

الاسلام و المسيحية فى نظر

الاستاذ المستشار على على منصور

ان المسيحية — على ما ورد فى كتابها المنزل و هو الانجيل — لم تتضمن تشريع امور الدنيا ، و لا تنظيم المعاملات و العقود و العهود بين الافـراد و الدول ، و لا تعداد ما فى الكون من آيات طبيعية و علمية . و هى — و ان كانت قد وحدت بين دول اوربا فى العصور الوسـطى و قربت بينها و حسنت علاقاتها ، مما دعا الى التعاطف و وضع قواعد لصلات دولية كانت الاساس للقانون الدولى الذى اصطلح عليه بين تلك الدول — الا انها انتهت بطغيان سلطان الكنيسة على سيادة الدول والامارات ، و المفروض ان يكون روحيا فحسب ، الامر الذى اضطر شعوب هذه الدول و الامارات الى القول بفصل امور الدنيا عن امور الدين .

أما فى الاسلام ، فالامور على عكس ذلك . فهو نظام متكامل ، لا يمكن فصل قواعده بعضها عن البعض ، فهو دين و دنيا و لا يصح فى شرعة الايمان الاخذ ببعض الكتاب « القرآن » دون البعض . و فيما نحن بصدده من دراسة قواعد القانون الدولى العام ، اتى الاسلام بنظام كامل لما يجب ان تكون عليه علاقات الدول بعضها ببعض فى حالتى السلم و الحرب . و لكن القرآن عـلى

نهجه فيما يختص مامور الدنيا يكتفى مذكر الاصول العامة . ثم يدع التفاصيل لاجتهاد العقل البشرى . احتراما لهذه المنحة الالهية و مسايرة لظروف الزمان و المكان و ما تقتضيه من خلاف فى الفروع .

و لقد افاض فقهاء الشريعة الاسلامية فى كتب السير و كتب الجهاد وكتب التفسير ، فيما اتى به الأسلام من قواعد تحكم الصلات ، لابين الدول الاسلامية فحسب ، بل بين جميع الدول فى حالتى السلم و الحرب . من ذلك ان الاسلام مشتق من السلام ، و هو الاصل فى صلات الدول و الشعوب . و الحرب و ان كانت ظاهرة طبيعية ، الا انه لا يلجأ اليها الا عند الضرورة القصـــوى ؟

فى ظـــل الاســـلام

قد أثبت التاريخ حقيقة رائعـــة ، ان المسيحية او اليهودية تستطيع ان تعيش فى ظل الاسلام - اذاحكم - معيشة طيبة ، لكن كلتا الديانتين اذا حكمت لا تسمح للاسلام أن يعيش فى ظلها ، و تلك علة بقاء الاقليات الدينية فى الشـــرق الاســـلامى ، و فناؤهـا فى اوربا المسيحيـــة .

(محمـد الغـــزالى)

الزكوة لغة و شرعا

بقلم فضيلة الاستاذ يوسف القرضاوى

الزكاة ، لغــة : مصـدر « زكا » الشى اذا نما و زاد ، و زكا فـلان اذا صلح ، فالزكاة هى : البركة و النماء و الطهارة و الصلاح .

قال فى لسان العــرب : و اصـل الزكاة فى اللغة : الطهارة و النماء و البركة و المدح ، و كله قد استعمل فى القرآن و الحديث .

و الاظهر ــ كما قال الواحدى وغيره ــ ان اصل مادة « زكا » الزيادة و النماء . و يقال : زكا الزرع يزكو زكاء . و كل شئ ازداد فقد زكا .

و لما كان الزرع لاينمو الا اذا خلص من الدخل كانت لفظة « الزكاة » تدل على الطهارة ايضاً .

و اذا وصف الأشخاص بالزكاة ــ بمعنى الصلاح ــ فذلك يرجع الى زيادة الخير فيهم ، يقال : رجل زكى ، أى زائد الخير من قوم ازكياء ، « و زكى القاضى الشهود » إذا بين زيادتهم فى الخير .

و الزكاة فى الشرع : تطلق على الحصة المقدرة من المال التى فرضها الله

للمستحقين . كما تطلق على نفس إخراج هذه الحصة (١) .

و سميت هذه الحصة المخرجة من المال زكواة لأنها تزيد فى المال الذى أخرجت منه . و توفره فى المعنى ، و تقيه الآفات . كما نقله النووى عن الواحدى .

و قال ابن تيمية : نفس المتصدق تزكو ، و ماله يزكو ؛ يطهر و يزيد فى المعنى .

و النماء و الطهارة ليسا مقصورين على المال ، بل يتجاوز انه إلى نفس معطى الزكاة كما قال تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم و تزكيهم بها » .

و قال الأزهرى : إنما تنمى الفقير ، و هى لفتة جميلة الى أن الزكاة تحقق نموا ماديا و نفسيا للفقير ايضا ، بجانب تحقيقها لنماء الغنى : نفسه و ماله

و نقل النووى عن صاحب الحاوى قال : « إعلم ان الزكاة لفظة عربية معروفة قبل ورود الشرع ، مستعملة فى أشعارهم ، وذلك أكثر من أن يستدل له » .

و قال داؤد الظاهرى : لا أصل لهذا الاسم فى اللغة ، و إنما عرف بالشرع ، قال صاحب الحاوى : و هذا القول و إن كان فاسدا ، فليس الخلاف

---

(١) قال الزمخشرى فى الفائق ج ١ ص ٥٣٦ ط أولى : الزكاة فعلة كالصدقة ، و هى من الأسماء المشتركة ، تطلق على عين : و هى الطائفة من المال المزكى بها ، و على معنى : و هو الفعل الذى هو التزكية . و من الجهل بهذا أتى من ظلم نفسه بالطعن على قوله - عز و جل - « و الذين هم للزكاة فاعلون » ذاهبا إلى العين ، و انما المراد المعنى الذى هو الفعل أعنى التزكية » .

فيه موثراً فى أحكام الزكاة (١)

إذا عرفنا ما تقدم ، لم نجد مجالا لدعوى المستشرق اليهودى المعروف ، « شاخت » كاتب مادة « زكاة » فى دائرة المعارف الاسلامية المترجمة ، حيث زعم أن النبى ﷺ استعمل كلمة « زكاة » بمعنى اوسع من إستعمالها اللغوى بكثير ، آخذاً من إستعمالها عند اليهود . وفى اليهودية ـ الآرامية ـ « زكوات » ... قال : و كان النبى ﷺ و هو ما يزال فى مكة يستعمل كلمة « زكاة » و مشتقات مختلفة من مادة « زكا » بمعنى « طهر » ترتبط بالزكاة ، بحسب الاحساس اللغوى عند العرب ، و هذه المشتقات نفسها لا يكاد يكون لها فى القرآن سوى ذلك المعنى الذى ليس عربياً أصيلا . بل هو ماخوذ عن اليهودية وهو « التقوى » . (٢)

و هولاء المستشرقون من « شاخت » و امثاله لهم غرام جنونى بنسبة كل ما يستطيعونه من مفاهيم الاسلام ، و ألفاظه ، و أحكامه ، و أفكاره ، و أخلاقه إلى مصادر يهودية او نصرانية . أو ما شاؤا من مصادر شرقية أو غربية ، لا يتبعون فى ذلك إلا الظن و ما تهوى الأنفس . و حسبنا فى الرد على هذا الكلام أمران .

الأول : أن القرآن إستعمل الزكاة فى معناها المعروف لدى المسلمين منذ أوائل العهد المكى ، كما ترى ذلك فى سورة الأعراف آية ١٥٦ ، و سورة مريم آية ٣١ ، ٥٥ ، و سورة الأنبياء آية ٧٢ ، و سورة المومنون آية ٤ ،

(١) المجموع ج ٥ ص ٣٢٥ .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ج ١٠ ص ٣٥٥ ، ٣٥٦ .

و سورة النمل آية ٣ ، و سورة الروم آية ٣٩ ، و سورة لقمان آية ٣ ، و سورة فصلت آية ٧ .

و معروف بيقين أن النبي ﷺ لم يكن يعرف العبرية و لا أي لغة غير العربية ، كما أنه لم يتصل باليهود إلا بعد هجرته إلى المدينة فتى و كيف أخذ عن اليهود و اليهودية كما زعم « شاخت » ؟

الثاني : أن من المجازفة المنافية لخلق العلماء و مناهج التحقيق أن يزعم زاعم نقل لغة عن أخرى إذا وجد كلمة مشتركة في معناها بين اللغتين ، فان الاشتراك لايقتضي ضرورة نقل إحدى اللغتين عن الأخرى .

ثم إن تعيين إحداهما بأنها الناقلة ، و الأخرى منقول عنها ـ تحكم بلا دليل ، و ترجيح بلا مرجح ، فمن إتخذ هذا النهج له ديدنا ، فقد برئ من أمانة العلم ، و أخلاق العلماء .

معنى الصدقة

و الزكاة الشرعية قد سمي في لغة القرآن و السنة صدقة ، حتى قال الماوردي : « الصدقة زكاة ، و الزكاة صدقة ، يفترق الاسم و يتفق المسمى (١) قال تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم و تزكيهم بها » و قال : « و منهم من يلمزك في الصدقات ، فان أعطوا منها رضوا ، و لم يعطوا منها

(١) ذكره في اول الباب الحادي عشر في ولاية الصدقات من « الاحكام السلطانية » .

إذا هم يسخطون » « إنما الصدقات للفقراء والمساكين .... الآية » إلى غيرها من الآيات .

و فى الحديث : « ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة ، و ليس فيما دون خمس ذود صدقة ، و ليس فيما دون خمس أواق صدقة » .

و فى حديث ارسال معاذ الى اليمن : « اعلمهم ان الله إفترض عليهم فى أموالهم صدقة توخذ من اغنيائهم » .

و هذه النصوص كلها قد جاءت فى شان الزكاة عبرت عنها بالصدقة ، و منه سمى العامل على الزكاة مصدقا ، لأنه يجمع الصدقات و يفرقها .

بيد ان العرف قد ظلم كلمة الصدقة ، و أصبحت عنوانا على التطوع و ما تجود به النفس على مثل المتسولين و الشحاذين .

و لكن المدلولات العرفية يجب ان لا تخدعنا عن حقائق الكلمات فى لغة العرب فى عهد نزول القرآن ، و مادة الصدقة ماخوذة من الصدق .

و للقاضى أبي بكر بن العربي كلام قيم فى معنى سمية الزكاة صدقة ، قال « و ذلك ماخوذ من الصدق فى مساوات الفعل للقول و الاعتقاد ...

و بناء « ص د ق » يرجع إلى تحقيق شئ بشئ ، و عضده به ، و منه صداق المرءة ، أى تحقيق الحل و تصديقه بايجاب المال و النكاح على وجه مشروع .

و يختلف كله بتصريف الفعل ، يقال : صدق فى القول صداقا و تصديقا ، و تصدقت بالمال تصدقا ، و أصدقت المرءة إصداقا ، و ارادوا باختلاف الفعل الدلالة على المعنى المختص به فى الكل ، ومشابهة الصدق هاهنا للصدقة ،

أن من أيقن من دينه أن البعث حق ، و أن الدار الآخرة هي المصير ، و أن هذه الدار الدانية قنطرة إلى الأخرى ، و يأب إلى السوءى أو الحسنى — عمل لها ، و قدم ما يجده فيها ، فإن شك فيها أو تكاسل عنها ، وآثر عليها — بخل بماله . واستعد لآماله ، و غفل عن ماله » . (١) أقول : و لهذا جمع الله بين الاعطاء و التصديق كما جمع بين البخل و التكذيب في قوله تعالى : « فاما من أعطى و اتقى . و صدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ، و أما من بخل و استغنى . و كذب بالحسنى فسنيسره للعسرى » . (٢)

فالصدقة إذن دليل « الصدق » في الايمان . و « التصديق » بيوم الدين . و لهذا قال رسول ﷺ : « الصدقة برهان » . (٣)

الزكاة في القرآن الكريم

و قد تكررت كلمة الزكاة معرفة (٤) في القرآن الكريم ٣٠ ثلاثين مرة ، ذكرت في ٢٧ سبع وعشرين منها مقترنة بالصلاة في آية واحدة ، و في موضع منها ذكرت في سياق واحد مع الصلاة و إن لم تكن في آيتها . و ذلك قوله تعالى : « و الذين هم للزكاة فاعلون » بعد آية واحدة من قوله

(١) احكام القرآن — القسم الثاني ص ٩٤٦ . بتحقيق البجاوى .

(٢) سورة الليل : ٥ — ١ (٣) رواه مسلم في صحيحه .

(٤) انما قلنا « معرفة » . لانها وردت منكرة في آيتين بمعنى آخر : في الكهف « خيراً منه زكاة » . الآية ٨١ و في مريم « و حنانا من لدنا و زكاة » الآية ١٣

تعالى « الذين هم فى صلاتهم خاشعون » .

و المتتبع للمواضع الثلاثين التى ذكرت فيها الزكاة يجد أن ٨ ثمانية منها فى السور المكية و سائرها فى السور المدنية . (٥)

و قد ذكر بعض المؤلفين أن الزكاة قرنت بالصلاة فى إثنين و ثمانين موضعاً من القرآن ، وهو عدد مبالغ فيه . و يرده الاحصاء الذى ذكرناه ، حتى لو قالوا المراد بالزكاة كل ما يدل عليها مثل « الانفاق » و « الماعون » و « طعام المسكين » و نحو ذلك لم يجتمع لنا هذا العدد ، و الظاهر أن العدد محرف من إثنين و ثلاثين إلى إثنين و ثمانين .

أما كلمة « الصدقة » و « الصدقات » فقد وردت فى القرآن إثنتى عشرة مرة . كلها فى القرآن المدنى .

---

(٥) راجع المعجم المفهرس الالفاظ القرآن الكريم كلمة « الزكاة » للاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى .
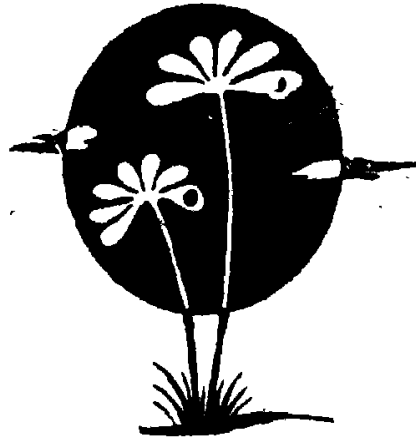
الكبر انانية فى الانسان

لقد قرر القرآن الكريم معنى للكبر ؛ و هو وصف يرى فى نزوع الناس الى الاستطالة و الاستعلاء و ارادة الارتفاع ... وانا لنقرأ فى القصة الكريمة ان الشيطان حضره ذلك الطبع حين امر بالسجود لادم فابى ان يكون مع الساجدين ؛ فطرده الله من رحمته : « قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها »

و لقد يدق على كثير من الناس معنى الكبر ، فيذهبون فى فهمه مذاهب شتى ؛ فاراحنا رسول ﷺ اذمحضه لنا و اعلن حقيقة سوية واضحة : « الكبر بطرالحق ، و غمط الناس » .

و بطرالحق : رده و عدم الاذعان له

و غمط الناس : ازدراؤهم و انتقاص اقدارهم و حقوقهم

فالكبر على هذا هو الانانية الغليظة التى تريد ان تكون إلهاً فى الارض لايخضع لحق ، و طاغية فى الناس لا يريد ان يذهب احدهم بكرامة او خير ؛ اذ يرى نفسه أولى بكل شئ ؟

(البهى الخولى)

الاسلام و الاستعمار الغربي

بقلم الاستاذ زكريا هاشم زكريا

منذ انتشار الاسلام و ظهوره . حتى القرن الثاني للهجرة . كان لنبي الاسلام شأن كبير مع الفكر الغربي . اذ لو لا هذا النبي الأمين . لاختلف الفكر الاوربي اختلافا كبيراً . و اختلف معه اتجاه الفكر البشري في جميع الامم . و كان العالم الانساني غير ما رأيناه .

و لقد تفاوت قوة و ظهوراً في تاريخ القارة الاوربية منذ ان ظهرت الدعوة الاسلامية . ففي القرن الاول كانت اوربا غارقة في ظلمات الجهالة . و كانت اقطارها الشرقية الجنوبية قد دانت بالمسيحية . و بقيت اقطار واسعة في وسط القارة و شمالها تدين بالوثنية او بما شابهها من عقائد الاجيال الاولى . و ظل الحال على ذلك قرنا آخر بعد ظهور الدعوة . حتى تمكنت دولة الامويين في الاندلس . فخلق في القارة الاوربية فكر جديد هو فكر الثقافة العالمية التي نقلها الى الغرب اتباع « محمد » ﷺ .

و قد نقل المؤرخ « دوزي » في كتابه عن « الاسلام الاندلسي » رسالة منها قوله « ان ارباب الفطنة و التذوق سحرهم رنين الادب العربي

فاحتقروا اللاتينية و جعلوا يكتبون بلغة قاهريهم دون غيرها . و أنهم يعجبون بشعر العـــرب و اقاصيصهم . و يدرسون التصانيف التى كتبها الفلاسفة و الفقهاء المسلمون لا لادحاضها و الرد عليها . بل لاقتباس الاسلوب العربى الفصيح .

و لا شك فى انها كانت الحضارة الغربية كلها قبسا من حضارة العرب و لا سيما فى ايام ازدهار الاندلس .

قد ورد ذكر ذلك العهد الزاهر على لسان المشاهير فى العصر الاخير و لا سيما فى كتب « بلاسكوانيز » و من هنا يبدو اثر رسول الاســلام و دعوته فى العالم الغربى كله . لا فى القارة الاوربية دون سواها .

و انقضى ذلك العهد الظاهر بانقضاء الدولة العربية فى الاندلس . فشيعه عقلاء الاسبانيين بالاسف الشديد . و لايزالون يشيعونه بهذا الاسف الى اليوم .

و استمر ذكر النبى الكريم على هذه الصورة حين ارتد الفكر الاوربى الى ظلمــات الجهالة الاولى ثم عادوا الى الاهتمام الجدى بدعـوته . حتى ترجم « روبرت الرتبى » القرآن الى اللاتينية . و لحقت به ترجمات اخرى . فتجددت نهضة العلوم فى اوربا . و بالتالى تجدد معها احترام ذكر النبى ﷺ .

و لايخفى ان تجدد النهضة نفسه انما كان اثرا من آثار اتباع « محمد » ﷺ فان « روجر باكون » و « فرنسيس باكون » كانا يعجبان معا بالمقررات العلمية التى وصل اليها علماء العرب فى مراقبة الظواهر الطبيعية . و بخاصة ملاحظات « ابن سيناء » فى مراقبة قوس السحاب .

بيد انه لما كان ابراز الاســـلام على صورته الحقيقية بين معتنقيه من المومنين ـ لا يكفى ـ لأن هنالك امما كثيرة تجهل هذا الدين الحنيف أو تجهله على

صورة مشوهة دميمة . و لما كنا فى اشد الحاجة الى ان تعرف هذه الامم التى تربطنا معها الحياة برباط متين الا واحد ـ الاسلام على حقيقته . و لما كانت معرفتها اياه قد جاءتها من طريق الصور التى قدمها اليها المستشرقون عنه و الاحكام التى اصدروها عليه لذلك ·

فانه يتحتم علينا ان نتمعن فى الصور التى رسمها اولئك المستشـــرقون لدينا و ان نبرز ما فيها من الكبوات و الاخطاء التى شوهوا بها رســـالة الاسلام و الدعوة المحمدية .

و كانت غاية الباحثين فيما قبل القرن الثامن عشر ان يحاربوا الاسلام ·

و اما فى القرن الثامن عشر فان الملحدين كانوا على الضد يثنون على الاسلام . ليقاوموا المسيحية ـ كما كان اولئك متعصبين و سطحيين .

اما فى القرنين التاسع عشر و العشرين · فان اكثر دراسة هذا الدين كانت لوجه العلم و التاريخ و سلكت الاغلبية الساحقة من المفكرين مسلكا خطراً و هو : محاولة اخضاع القيم الروحية الاسلامية للمقاييس المادية ·

و نحن نعلم علم اليقين ان اولئك المستشرقين كثيرا ما يصلون فى بحوثهم الى نتائج علمية قيمة . قد تفيد الانسانية بشرط الا تتعرض هذه البحوث للمبادى الاسلامية .

فكلنا نعرف الواقـــع التاريخى . ان حركة الاستشراق الضخمة لم تنشأ أصلا لخدمة الفكر و استنقاذ تراث الشرق و الاسلام من الضياع . و انما بدأت فى رعاية الكنيسة الكاثوليكية . و كان الرهبان و القصاد هم جنودها الاولون و كان ملوك الدول الاستعمارية رعاتها و قناصلهم فى بلدان المشرق

عمالها ـ ـ ـ و قد عكف المستشرقون على خدمة هذه المخطوطات و هم بشر مثلنا . منهم من يصون حرمة الحق و يرعى امانة العلم و منهم من يضله التعصب و ينحرف بهم الهوى .

فلما بسط الاسلام ـ فى مبدأ دعوته ـ سلطانه على قارتى آسيا و افريقية وجزء عظيم من قارة اوربا . ثم اخترق صليل صولته اسماع الشعوب التى لم تدن به و دوى فى رؤسها صوت جلاله القوى . و كان من الطبيعى أن يروع الساسة و يبلبل افكار العلماء والباحثين ـ ـ ـ و قد دفعت غريزة حب الاستطلاع المخلصين منهم الى الاشتغال بنصوص هذا الدين و دراستها للوقوف على ما فيها من فكر و اراء و تقاليد علمية . فنظر اولئك و هولاء فى نصوص القرآن و الحديث و السيرة بنظرة ادعوا انها نقد حر و تمحيص برى و لم يكن هدفهم سوى الحقيقة وحدها .

اما قبل ذلك العد فقد كانت مولفات الغربيين عن الاسلام مدعاة للسخرية و الاستهزاء اكثر منها مبعثا للجدل و النقاش . و اكثرها كان مفعما بالجهل و السطحية قال الاستاذ « ويرمانجيم » حينما اشتعلت الحرب بين الاسلام و المسيحية . اشتد النفور بين الفريقين . واساء كل منهما فهم الاخر و لكن يجب الاعتراف بان اساءة الفهم كانت من جانب الغربيين اكثر مما كانت من جانب الشرقيين .

و قال الاستاذ « كاراوى فو » : ان محمداً ظل وقتا طويلا معروفا فى الغرب معرفة سيئة فلم توجد خرافة و لا فظاظة الا نسبوها اليه ﷺ

هكذا افترى على الاسلام و على اتباعه شرذمة من اعدائه . و ما زالوا

يزيدون عليه اباطيل من عندهم طابعها الافتراء والادعاء التجاهل . و بعضها يستجلب الضحك مما ينبئ عن جهل و سفسطة و هذيان .

بل لقد كان المستعمرون على يقين من أن مرقوه المسلمين و عزمهم فى دينهم فجعلوا يحملون معاولهم فى حنو و قوة يهجمون بها على حصون الاسلام ليقوضوها . فيزلزلوا ثقة المسلمين · لكن طال عليهم الامد و ارهقهم الكد و لم يبلغوا ما ارادوا .

و الاستعمار ظاهرة من اهم الظاهرات فى تاريخ الانسان على الارض . فان اثرها امتد فى القرن الاخير ليشمل اكثر من سكان االعالم · حتى ان بعض الامبراطوريات الحديثة أصبحت توصف بانها لا تغيب عنها الشمس .

و يخطئ منا من يعتقد ان الاستعمار اذا كان قد بدأ يخمد فى كفاحه معنا ، فانه سيسكت او يدعنا تتابع جهودنا دون ان يحاول عرقلة هذه الجهود بكل ما لديه من وسائل .

ان الاستعمار اذن وحدة لا تتجزأ كان هدفه الموحد هو السيطرة و الطغيان على سائر الشعوب فى القارات و وحدت جهودها و غايتها رغم ان تشاحنت الدول الاوربية . فيما بينها و رغم ما يبدو بينها من خلافات سياسه مظهرية و لذالك كان كفاح الاستعمار وحدة لا تتجزأ . و الشعوب المغلوبة استمرت فترة طويلة شعوبا مفككة يواجه كل منها العدو الاكبر المشترك على انفراد ·

و لكن تلك الشعوب المغلوبة لم تلبث أن وحدت اتجاهها أخذ بعضها يساند البعض الآخر كما ان ظروف الكفاح و ميادينه و موا قيته أخذت كلها

تتقارب و تتحد . حتى جاءت الحرب العالمية الثانية فكانت بمثابة طبول الجهاد و نواقيه دقت كلها دفعة واحدة . فهبت شعـــوب العـالم المغلوبة فى آسيا و افريقية ، و قامت للجهاد دفعة واحدة . كتب لها النصر فى الجولة الاولى من جولات الكفـاح ضد الاستعمار . الذى لا يمكن ان نتفهمه الا اذا نظرنا اليه فى ضوء حقيقتين ساطعتين . . اولاهما . ان الاستعمار يمثل وحدة متماسكة فى نشأته وسياسته العالمية العامة · فالدول الاستعمارية تسير على سياسة متكاملة الاجزاء متشابكة الحلقات . اما الحقيقة الثانية . فهى ان الكفاح هذا الاستعمار لابد ايضا ان يمثل وحدة متشابكة الحلقات . فان حاجة الشعوب المغلوبة اقوى واظهر لان تتعاون فيما بينها و تسير فى اتجاه موحد على طريق الكفاح ضد الاستعمار .

فسكان العالم ينقسمون الى فريقين ! فريق حاكم مسيطر . و فريق محكوم مسخر . و تقوم سياسة الفريق الأول على التساند ليضمن لنفسه السيطرة على الفريق الثانى .

و ان ظاهرة الاستعمار كما نعـــرفها فى العهد الحديث هى ظاهرة جديدة ترتب عليها أن اصبح الاستعمار استعباداً كامـلا و استغلالا شاملا تسخر فيه موارد المستعمرة و جهود سكانها لصالح المستعمرين · و تضيع به معالم الحياة الاجتماعية والثقافية بل والانسانية بسكان المستعمرات وهذا كله يعتبر جديداً على الانسانية . و يختلف تماما عما كانت عليه اساليب السيطرة فى العصور التاريخية المتعاقبة ·

كذلك الذى عرفناه فى عهد الاستعمار الحديث ، عند ما طغت عنـاصر اوربا البيضاء على عناصر افريقية السوداء . و ادى اختلاف اللون و الجنس و الطبع و الثقافة الى ماساة تخيل معها الجنس الابيض انه سيد العالم الحديث .

و نرى ان الاستعمار الأوربي القديم هو نفس استعمار اوربا الحديثة . فهى فى صلاتها بالشعوب الاخرى تعمد دائما الى السيطرة و الطغيان و لا ترعى ما تقتضيه الانسانية من رعاية و مروءة لوجه الحق و تراحم بين الانسان و اخيه الانسان .

فقد كتب الكاتب المفكر المعروف «منتسكيو» فى كتابه «روح القوانين» نصاً يظهر منه مبلغ الحقد الدفين و التشفى الظاهر و هو قوله : اذا كان على ان ادافع عن حقنا المكتسب من اتخاذ الزنوج ذوى البشرة السوداء عبيداً . فان شعوب اوربا و قد أفنت سكان امريكا الأصليين لم يكن امامها الا ان تستعبد شعوب افريقية لكى تستخدمها فى استصلاح ارجاء امريكا الشاسعة ---- فى هذا النص و فى هذه الصيغة البشعة من الفكر الأوربي الانانى الضيق ، صاغ هذا المفكر الأوربي ما جال بخاطره من فكر يتصل بفلسفة الأستعمار .

ذلك لون من الفكر الأوربي الذى ظهر فى القرون التى قلت عصر النهضة الأوربية الحديثة ، و هو لون لم تعهد الانسانية له شبيها من قبل . اللهم الا فى بعض عهود الدمار القليلة كعهد التتار والمغول . وما ابعدهذه الروح التى اتصف بها الفكر الاوربى من روح التى اتسمت دائما بالخير و الرحمة و العدالة و الاخاء .

و قد ظهر حديثا ، كتاب «الاستعمار الحديث» تاليف «هاريون تشوتسن» و هو مكتوب بلغة معقولة و غنى جداً بالامثلة الواقعية ، و يتميز بروح حيادية الى حد كبير فى عرض مشاكل المستعمرات . ولكان يجدر بالمؤلف أن يضيف الى كتابه هذا فصلا مستقلا يحلل فيه طبيعة الاستعمار مبينا فيه ان الاستعمار يحمل

فى طياته عوامل فنائه . و اذا كان لا بد من استغلال الموارد العالمية بما يحقق الرفاهية البشرية فلن يكون ذلك عن طريق الاستعمار ، فقد محيت هذه الكلمة من قاموس السياسة و حلت محلها . كلمة جديدة ألا و هي « التعاون الدولى »

و هذه الصفحة تتصل بالعرب الذين كتب لهم ان يرثوا ملك الرومان و ملك الفرس . و لكنهم مع ذلك حين توسعوا لم يتصف توسعهم من قريب و لا من بعيد بصفة الاستعمار او الاستغلال او السيطرة او الطغيان ولا شك ان العرب قد اختلفوا عن غيرهم من الامم فى امر بالغ الاهمية ذلك انه عند ما آن الأوان لتجتمع للامة العربية اسباب القوة و السلطان . ظهر فى العرب دين جديد ، بشر صاحبه بروح الاخاء و المساواة كما بشر بأنه لا تفرقة بين الانسان و اخيه الانسان الا على اساس الايمان و التقوى . اما الجنس او السلالة ، واما اللون فهى كلها امور و مقاييس . لا يجوز ان تجرى على اساسها المفاضلة بين الافراد و لا بين الشعوب . و كان هذا المبدأ ثورة على ما تعارف عليه العالم القديم فى عهود اليونان والرومان و الفرس و كان هذا المبدأ مبدءاً خلقيا ساميا لم يسبق له نظير فى التاريخ كله ـ ـ ـ ـ و هكذا اختلف العهد العربى الأسلامى عما سبقه من عهود . فجاء عهداً ذا رسالة و تخلص اصحابه فى وصمة الانصاف بالقوة الغاشمة التى لا تعرف غير السيطرة و الطغيان و الاستعمار .

و يهمنا فى هذه المناسبة ان نشير الى حقيقتين تعتبران فى غاية الاهمية بالنسبة لمن يستعرض تاريخ التوسع العربى ليقارن بينه بين التوسع الاستعمارى الأوربى القديم و الحديث ، وليبرز ما هناك من فروق اساسية بين العرب

و اهل اوربا حين اتيحت لكل منهما اسباب القوة و التوسع .

فاما الحقيقة الأولى فهى ان العرب حين توسعوا فى بلادهم لم يعملوا على ان يكونوا هم السادة فى الجهات التى توسعوا فيها ، ذلك ان الأسلام ذاته قد هذب نفوسهم و كبح غرائزهم ، و وجههم وجهة الخير و الأنسانية فهم لم يكونوا فاتحين و لا غزاة بقدر ما كانوا دعاة و مبشرين بعهد جديد . و لذلك فان العرب لم يصروا حين خرجوا من جزيرتهم على ان تكون لهم السلطة او يتركز فى ايديهم السلطان .

و سرعان ما سمحت نظم الحكم الاسلامى و اوضاع الشريعة الجديدة لسكان البلاد الاصليين فى البلاد التى فتحها العرب ان يحتفظوا لانفسهم بالسلطة الفعلية فى بلادهم ، و هكذا ظهرت عناصر جديدة من غير العرب الاصليين ، بل من سكان البلاد المفتوحة و منها ايران و اطراف الامبراطورية البيزنطينية ، و جمعت هذه العناصر من اسباب القوة و السلطة فى بلادها ما لم يتيسر للعرب انفسهم . و لن نستطيع ان نجد لمثل هذا الذى حدث فى ايام الامبراطورية العربية الاسلامية نظيرا لا فى عهد الامبراطورية الرومانية القديمة و لا فى عهد الامبراطوريات الاوربية الحديثة من فرنسية و بريطانية و غيرها ... حين خرج الاوربيون ليسيطروا على المستعمرات ، و ليحولوا بين ابنائها و بين ان ينالوا حظا من التعليم او فرص الحياة التى تتيح لهم ان ينافسوا ابناء الدولة المستعمرة او يشاركوا معهم فى الجاه او السلطان .

و اما الحقيقة الثانية : التى ينبغى الا تغيب عنا و التى طمستها ـ للاسف الشديد ـ أغلب الكتب و المراجع الافرنجية التى تصت للكتابة عن تاريخ

العرب و الاسلام ، فهى ان الاسلام متهم بانه دين انتشر بالقوة و بحد السيف و ليست هناك تهمة ابعد عن الحق و اوغل فى البهتان من هذه التهمة الباطلة . فالاسلام بحكم اصوله المقررة لا يمكن أن يفرض على الافراد او على الشعوب ... بل انه دين يقوم على اساس انعدام الاكراه وعلى ترك الحرية المطلقة للناس ليدخلوا فيه بمحض اختيارهم .

و فوق ذلك اذا ما استعرضنا تاريخ التوسع الاسلامى و انتشاره كدين جديد فى جهات واسعة من العالم كداخلية آسيا و شرقها ، او كالمحيط الهندى و جنوب شرق آسيا و اندونيشيا ، فاننا لا نلبث ان تبهرنا الحقيقة الكبرى و هى ان الاسلام لم ينتشر فى هذه البلاد بحد السيف و لا فى ظل الامبراطورية العسكرية .

اما داخلية آسيا فان الثابت ان الاسلام انما انتشر فيها فى وقت هبطت فيه القوة العسكرية العربية ، و انكسرت فيها شوكة العرب من الناحيتين العسكرية والسياسية عند ماخرج المغول من الاطراف الصين وفتحوا العالم الاسلامى و دوخوا دول العرب و المسلمين فى غرب آسيا وحطموا بغداد وغيرها من مراكز الفكر و الثقافة الاسلامية فى ذلك العهد . و مع ذلك لم يلبث الاسلام ان فتح قلوب المغول فى أواسط آسيا فانتشر بينهم وبلغ مشارف الصين الشمالية . و هكذا جاء انتشار الاسلام فى هذا الجزء من العالم القديم معاصراً لعهد من عهود ضعفه العسكرى ، مما ينفى عن العرب و الاسلام صفة التوسع و نشر الثقافة بحد السيف ، كما تحاول الدول الاستعمارية الاوربية الحديثة ؟

(تلخيص فخر الدين الاعظمى)

مكانة التضحية فی الاسلام

اعداد : ابوالعاص الوحیدی

یقول المثل السائر : «ارتفاع الاخطار باقتحام الاخطار ، و لا تنال الغرر الا برکوب الغرر» فالصالحون و الابرار و العارفون بالله و الاخیار و الرجال و الابطال الذین خلد التاریخ ذکرهم و نریهم فی مسرح التاریخ مطلعین علی ثنیة المجد و الشرف و بالغین قمة المجد و الکمال و نریهم محتلین عند الله الباری مکانة عظمی — لا مجانا بغیر جهدهم بل اقتحموا الاخطار و العقبات و ابتلیوا بمحن شدیدة و کلف الیمة . و قدموا الی جناب الله عز و جل تضحیات متعددة الجوانب نائیة الارجاء واسعة الاطراف ذات آفاق عوال لا یرقی الیها تعلیق او مقال . فیقول الله عزوجل : «و لنبلونکم بشیء من الخوف و الجوع و نقص من الاموال و الأنفس و الثمرات و بشر الصابرین الذین اذا اصابتهم مصیبة قالوا انا لله و انا الیه راجعون أولئک علیهم صلوات من ربهم و رحمة و اولئک هم المفلحون» (١) .

---

(١) سورة البقرة رکوع ٣

رجل وجد الحياة

سيدنا خليل الله ابراهيم عليه الصلوة و السلام له مكانة ممتازة و اهمية قصـــوى عند الله عزوجل حتى جعله خليلا له ، و حفظ له التاريخ اجمل الذكرى واحسن الاثر ـــ لا مجانا بغير جهده بل الله بلاه بشئ من الخوف و نقص من الامـــوال و الأنفس و ابتلاه بكلمات ــ فكانت حياته بلاءاً عظيما ــ فلما اتمها ابراهيم عليه الصلوة و السلام ، و قدم الى الله عزوجل كل تضحية يستطيعها الانسان . و صارت حياته رهن اشارته تعالى فاحتلت مكانة الخلة والتقرب من الله عزوجل . و كانت حياة ابراهيم عليه الصلوة و السلام كلها عبارة عن التضحية و التفانى فى سبيل الله عزوجل . و لها جوانب عديدة واسعة جدا . فى جانب مر بمرحلة الخوف المزعج ، و هذا فى بدأ حياته حينما القاه قومه فى نار ملتهبة ناطحة السحاب . و فى جانب آخـــر اصيب بنقص من الاموال و الاولاد و الانفس بانه ترك بامر الله تعالى مولده و منشأه « عراق » و هاجر الى « حران » و لم يمكث هناك الا زمنا قليلا حتى تركها بامر الله و هاجر الى كنعان و لم يمكث هناك ايضاً الا مليا حتى تركها و هاجر الى مصر و فى جانب آخر ترك بامر الله قرينة حياته « هاجرة عليها السلام » فى واد غير ذى زرع ، فهذه المراحل كلها قد دفعت على ابراهيم عليه الصلوة و السلام سيولا عديدة من المشاكل و النوازل .

فوقعت خلالها حوادث فاجعة ، يحتاج تحملها الى عزم متين و حـــزم كبير ، تقشعر جلودنا لو تخيلها اليوم ، ولكن سيدنا ابراهيم عليه الصلواة و السلام

قد اقتحم جميع الأخطار بحرارة و بشر و استقبل جميع المحن و المشقات مبتسما ضاحكا ، فارتقمت اخطاره و اعطاه الله عزوجل حياة خالدة ، فلم يزل المجتمع الأنسانى يجدد ذكراه بمناسبات مختلفة ، و لم تزل تتجدد ذكـــراه فى المجتمع الأسلامى بطرق اسلامية عديدة ، فيحيى هكذا حياة خالدة .

التضحية فى سبيل الله

و من اهم تضحياته و ابرزها التى حفظ لها التاريخ اجمل الذكرى و احسن الأثر ، هو ان سيدنا ابراهيم عليه السلام قد ضحى بابنه فى سبيل الله عزوجل فاحتل هذا الصنيع عند الله تعالى مكانة رفيعة ، و اعطاه الله تعالى حياة خالدة و جعله أسوة حسنة و قدوة رائعة للمجتمع الأنسانى كله فيقول القرآن : « فلما بلغ معه السعى قال يا بنى انى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت إفعـــل ما تومر ستجدنى انشاء الله من الصابرين فلما اسلما و تله للجبين و ناديناه إن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذالك نجزى المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين ، و فديناه بذبح عظيم ، كذالك نجزى المحسنين » (١)

فالتضحية التى ياتى بها المسلمون فى انحاء العالم كله ـــ احسن الذكرى و اجمل الاثر للتضحية التى اداها سيدنا ابراهيم عليه الصلوة و السلام و هى تنفخ فى نفوس المسلمين روح التضحية و التفانى فى سبيل الكفاح و الجهاد ، فالمسلمون يجددون ذكرها كل عام يوم عيدالاضحى فى شهر ذىالحجة و ان هذه التضحية

(١) سورة الصافات ركوع ٧

لها مكانة ممتازة و اهمية قصوى حقل الدين الاســلامى فالقرآن و الحديث كلاهما يلقيان ضوءا ساطعا على اهميتها الصريحة كما ان الدراية توكد على اهميتها لرقى الامة و ازدهارها ، و بلوغها قمة المجد و العلى .

فى ظــلال القــرآن

انى ارى اولا ان القرآن ماذا يقول فى التضحية التى ياتى بها المسلمون يوم عيدالاضحى فى جميع انحاء العالم ؟ أ يخصص التضحية بالحج و ما يتعلق به او يوسع دائرتها و يامر بها فى مجالات و اوضاع اخرى ايضا ؟ فانى اجد فى هذه القضية آيتين واضحتين تدلان عــلى التضحية التى يوديها المسلمون فى اقطار العالم كله و توكدان تاكيداً واضحاً و هما فى معزل صريح عن الحج و مناسكه - الآية الأولى : « قل ان صلاتى و نسكى و محياى و مماتى لله رب العالمين لا شريك له و بذلك امرت و انا اول المسلمين » (١) - ان هذه الآية الكريمة نزلت بمكة المكرمة و لم يفرض الحج على الامة المسلمة الى الآن و لم يؤمر المجتمع الاسلامى بمناسك الحج فى هذا الاوان وليست هنا اشارة خفيفة الى الحج ، مناسكه فهذه الآية صريحة فى الدلالة على التضحية . و النسك له معانى عديدة فى مجال اللغة العربية : « العبادة » و « التطوع » و « التضحية » و لكن القرآن يقرر بالوضوح ان معنى النسك هنا هو التضحية . فان القرآن يفسر بعضه بعضا فكثيرا ما يستخدم القرآن كلمة « النسك » بمعنى « التضحية »

(١) سورة الانعام ركوع ...

فيقول القرآن : « و لكل امة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام » (١) و « ففدية من صيام او صدقة او نسك » (٢) فليس المراد هنا بالنسك الا التضحية و لو تستخدم كلمة « النسك » بمعنى العبادة فلابد ان تتضمن معنى التضحية ، و لا يلتفت الى قول من يقول : ان هذه التضحية مختصة بالنبى ﷺ. لان القرآن يقول : « و بذلك امرت » و لكن الكلمة التالية « و انا اول المسلمين » تهدم عمارة هذا القول و تنطق بصراحة ان هذا الحكم موجه الى جميع المسلمين و ان محمداً ﷺ هو اول من امتثل هذا الامر .

و الآية الثانية من سورة الكوثر : « فصل لربك و انحر » فانك تجد فى معنى كلمة « النحر » اقوالا مضطربة فى مجال اللغات ، ولكن المعنى الصحيح الذى اجمع عليه كثير من المفسرين و المترجمين هو التضحية فيكتب ابوالجصاص الحنفى فى كتابه « احكام القرآن » : « و تاويل من تاوله على حقيقة نحر البدن اولى ،لأنه حقيقة و لأنه لا يعقل باطلاق اللفظ غيره ، لان من قال : « نحر فلان اليوم عقل منه نحر البدن و لم يعقل منه وضع اليدين على اليسار . . . . » و يدل على ان المراد الاول : اتفاق الجميع على انه لايضع يده عند النحر و قد روى عن على و ابى هريرة وضع اليمين على اليسار اسفل السرة . وقد روى عن النبى ﷺ انه كان يضع يمينه على شماله فى الصلوة من وجوه كثيرة » (٣)

---

(١) الانعام ع ٥ (٢) البقرة ع ٢٤ (٣) احكام القرآن المجلد الثالث ص ٤٨٦

فظهر ان النحر معناه الصحيح هو التضحية فهذه الآية صريحة فى الدلالة على التضحية التى يوديها المسلمون يوم عيد الأضحى فى اقطار العالم كله و هى فى معزل واضح عن الحج و مناسكه و لا علاقة لها به .

فى ضوء الحديث

و لا بد ان تنظر فى هذه القضية الى حياة النبى ﷺ و نلتمس المعنى الذى حدده النبى ﷺ للامر الذى وجهه اليه القرآن ، و عمل به فى مدى حياته الطيبة ، فانها اسوة حسنة و قدوة رائعة لنا ، فالشئ الذى يتاكد من حياة النبى ﷺ هو انه قد قام باداء التضحية و اتى بها فى حياته المدينة ايام عيد الاضحى ، و داوم عليها دون ان يأتى بها احيانا ، و قد امر به جميع المسلمين ، كما ان النبى ﷺ ادى التضحية و اتى بها ايام الحج ، و امر بها جميع المسلمين ، فان الاحاديث التالية صريحة فى الدلالة عليها .

الحديث الاول : عن البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه قال قال رسول ﷺ ان اول ما يبدأ به فى يومنا هذا ان نصلى ثم نرجع فننحر ، من فعله فقد اصاب سنتنا و من ذبح قبل فانما هو لحم يجعله لاهله ليس من النسك فى شئ . و فى رواية : من ذبح بعد الصلاة ثم نسكه و اصاب سنة المسلمين (١) ان هذين الحديثين تفسير واضح للآية « فصل لربك و انحر » فان النبى ﷺ اختار المشروع الذى هداه اليه القرآن ، و هو النحر بعد الصلاة ،

(١) الجامع الصحيح للبخارى . كتاب الاضاحى

و فى جانب آخر يدل ذالك الحديثان دلالة واضحة على انهما لا يتعلقان الا يوم عيد الاضحى و تضحيته . و هما فى معزل ظاهر عن الحج و مناسكه فليست هناك صلاة مخصوصة تكون التضحية قبلها خلاف سنة المسلمين و يكون القيام بها بعد الصلاة وفاق سنة المسلمين ·

الحديث الثانى : قال يحيى بن سعيد سمعت ابا امامة بن سهل قال كنا نسمن الأضحية بالمدينة و كان المسلمون يسمنون (١)

الحديث الثالث : عن انس بن مالك قال كان النبى ﷺ يضحى بكبشين و انا اضحى بكبشين (٢)

الحديث الرابع : عن عائشة قالت الاضحية كنا نملح منه فنقدم به الى النبى ﷺ بالمدينة (٣)

الحديث الخامس : عن ابى عبيد مولى بن ازهر انه شهد عيد الاضحى مع عمر بن الخطاب ، فصلى قبل الخطبة ثم خطب الناس فقال : ايها الناس ان رسول ﷺ قد نهاكم عن صيام هذين العيدين اما احدهما فيوم فطركم من صيامكم و اما الآخر فيوم تاكلون من نسككم (٤)

وغير خفى ان الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه خطب بالمدينة . و الاحكام التى صرح بها هنا ، فانها تتعلق باقطار العالم دون مكة المكرمة ، فان الحج لا توجد هناك صلاة يوم عيد الاضحى كما اسلفته بالذكر .

الحديث السادس : قال ابن الزبير انه سمع جابر بن عبد الله يقول صلى

---

(١) البخارى ، كتاب الاضاحى . (٢) البخارى . كتاب الاضاحى .
(٣) البخارى ، كتاب الاضاحى . (٤) البخارى . كتاب الاضاحى .

بنا النبی ﷺ یوم النحر بالمدینة فتقدم رجال فنحـــروا و ظنوا ان النبی ﷺ قد نحر ، فامر النبی ﷺ من کان نحر قبله ان یعید بنحر آخر و لا ینحر حتی ینحر النبی ﷺ (۱)

الحدیث السابع : عن جابر قال صلیت مع رسـول ﷺ عید الاضحی فلما انصرف اتی بکبشین فذبحه فقـال بسم الله و الله اکبر اللهم هذا عنی و عمن لم یضح من امتی (۲)

الحدیث الثامن : عن علی بن الحسین عن ابی رافع ان رسول الله کان اذا ضحی اشتری بکبشین سمینین اقرنین اصلحین فاذا صلی و خطب الناس اتی باحدهما و هو قائم فی مصلاه فذبحه بنفسه بالمدینة (۳)

الحدیث التاسع : عن ابی هـریرة قال قال رسول ﷺ من وجد سعة لم یضح فلا یقربن مصلانا (٤)

الحدیث العاشر : عن ابن عمـــر قال اقام رسول ﷺ بالمدینة عشر سنین یضحی (٥)

ان تلک الاحادیث التی اسلفتهـا بالذکر قد صدرت عن مشکوة النبوة علی صاحبهـا الف سلام و هی قد وردت فی کتب صحیحة حدیثیة و یتاکد منها ان النبی ﷺ قد فهم بالقـــرآن انه لا تخصص التضحیة بالحج و مناسکه بل توسع دائرتها بالنطاق العالمی ، و یامر بها المسلمین المستطاعین القاطنین فی جمیع

(۱) الجامع الصحیح لمسلم باب وقت الاضحیة . (۲) مسند احمـــد و ابو داؤد و الترمذی . (۳) مسند احمد بن حنبل . (٤) مسند احمد بن حنبل و سنن ابن ماجة . (٥) الترمذی

انحاء العالم ، و قد عمل بها النبي ﷺ فی مدی حیاته و امر بها جمیع المسلمین و جعلها سنة خالدة باقیة الی الابد .

فیها حکم بالغة

و بالاضافة الی ما ثبت من القـــرآن و السنة لو نظر فی التضحیة و نتفکر فیها لنجد ان التضحیة تحمل حکما بالغة ، کفتنا لأن نؤمن بالـــقرآن و الحدیث دون کبوة و نظر و تقاعس و تردد .

الحکمة الاولی : ان التضحیة الاسلامیة تجعل المسلمین مخلصین لله الدین و حنفاء له . فان مراسم العبادة و طرقها فی الجاهلیة کلها کانت لغیر الله . فجاء الاسلام وثنی عنانها الی المرکز الاصلی وهوالله عزوجل . فکان الرکوع و السجود و الاستعانة و الأستمداد فی الجاهلیة لغیر الله کما ان النذور و الهدایا و القرابین کانت فی الجاهلیة مختصة لغیر الله ، فتاریخ العرب و الهند و ایران و مصر وروما یحفل بذکریات القـــرابین و الهدایا و النذورکانت تقدم الی الطواغیت و الآلهة الباطلة و الاصنام و الهیاکل حتی ان الیهود ارتکبت هذه الجریمة فی مدی حیاتها مرات عدیدة یذکرها «بائیبل» فی العهد التیق فی مواضع عدیدة ، و القرآن ایضاً صرح بهذه المراسم الشرکیة المتروجة فیالجاهلیة فی العهد القدیم فیقول القرآن : «و جعلوا لله مما ذرأ من الحرث و الانعام نصیبا . فقالوا هذا لله برعمهم و هذا لشرکائنا» «و قالوا هذه انعام و حرث حجر لا یطعمها الا من نشاء برعمهم و انعام حرمت ظهورها و انعام لا یذکرون اسم الله علیها افتراء علیه» (۱)

(۱) سورة الانعام رکوع ۱٦

فجاء القـــرآن و صرف وجهات العبادة جميعا الى الله عزوجل كما انه خصص النذور و الاضاحي و الهدايا لله تعالى ، فكان الركوع و السجود فى الجاهلية لغير الله ، فالقرآن هدى الأنسان الى ان يقول : « قل ان صلاتى و نسكى ومحياى و مماتى لله رب العالمين » وكان الناس فى الجاهلية يذكرون اسم غير الله عند ذبح البهائم فقال الله : « فاذكروا اسم الله عليها » و كذلك كانت القرابين و الهدايا لغير الله فى مراحـــل التاريخ . فجاء الأســلام و ثنى عنانها الى الله عزوجل ، فان الأنسان يعتاد طبيعيا من قديم الزمان ان يقدم الهدايا و القرابين الى غير الله فلو سد الأسلام باب التضحية فما كان يمكن ان تنشأ فى المجتمع الأسلامى روح الاخلاص فى العبادة . فنظراً الى طبيعة الانسان شرع الأســلام التضحية و تقديم النذور الى الله عزوجل . و جعل المسلمين مخلصين لله الدين و حنفاء له فكل من يكون له ادنى بصيرة يشدى لسنة التضحية و يعترف بصحتها و جودتها عقليا .

الحكمة الثانية : ان التضحية تحدث فى المجتمع الأنسانى الشعور بان كل ما وهبه الله من نعمة مادية و ممتلكاته الآخر فكله لله عزوجل و لا يجوز للانسان ان يتصرف فيها بغير إذن الله ، فان المجتمع الانسانى ينقسم على قسمين القسم الأول : هو المجتمع الأنسانى الذى يعترف بوجود الله عزوجل و يعبده و يقدم الى جناب الله تعالى تضحيات و هدايا و نذوراً و لكنه يشرك بالله الطواغيت و الاصنام و الهة الباطلة . و القسم الثانى : هو المجتمع الانسانى الذى لا يعترف بوجود الله بل ينكره انكارا باتا او يعترف بوجود الله عقليا كاعترافه بقانون رياضي و لا شك ان هذا الاعتراف لا يغنى عن

شئ و لا يحدث فى المجتمع الانسانى اية ثورة روحية ، فيكون ذالك المجتمع الانسانى فى معزل صريح عن العلاقة بالله تعالى فى مجالات الحياة الدينية و الاجتماعية و الاقتصادية والسياسية و لا يشعر هذا المجتمع بان هذه الممتلكات و الثروة و النعمة التى يستلذ بها ـــ كلها لله جل و عـــلا . و ان فقدان هذا الشعور يدفق عـــلى المجتمع الانسانى سيولا عديدة من الجـــرائم الخلقية والروحية و العملية ، كما نشاهدها حيانا فى العصر الحاضر فجاء الاسلام و سد ابواب هذه المفاسد و خصص من الثروة و حاصـــل الارض نصيبا مفروضا لله سبحانه و تعالى بنظام الزكوة كما ان الله تعالى جعل مشـــروع التضحية نصيبا مفروضا له من البهائم و الحيوانات ، و ان هذا المشـــروع ينفخ فى الانسان روح الشعـور بان النعمة و الثروة و الممتلكات التى يستلذ بها الانسان نعم منحها الله الكريم المجتمع الانسانى ، فلا حق له ان يتصرف فيها و يستخدمها الا بالقوانين و المشروعات التى يحددها الله عزوجل فان الآيات التالية تلقى على هذه الحكمة البالغة ضوءاً كاملا يقول القرآن : « و هو الذى انشأ جنت معروشات وغيرمعروشات و النخل والزرع مختلفا اكله .كلوا من ثمره اذا اثمر و اتوا حقه يوم حصاده ، و لاتسرفوا انه لا يحب المسرفين . و من الانعام حمولة و فرشا كلوا مما رزقكم الله و لا تتبعوا خطوات الشيطان » (١)

و يقول القرآن فى مقام آخر : « و لكل امة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله عـــلى ما رزقهم من بهيمة الانعام ، فالهكم اله واحد ، فله اسلموا و بشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم و الصابرين على ما اصابهم والمقيمى

(١) سورة الانعام ركوع ١٧

الصلواة و مما رزقناهم ينفقون »(۱)

فهذه الآيات القرآنية الكريمة صريحة فى الدلالة على الحكمة البالغة التى اسلفتها بالذكر . فكل رجل مقسط يشدى بها و يثنى عليها ثناءاً كاملا .

الحكمة الثالثة : ان التضحية تنفخ فى نفوس المجتمع الانسانى روح التضحية و التفانى فى سبيل الله عزوعلا و تعوده على التضحية بالاموال و الأنفس و الاولاد فى مجالات اخرى وانشاء رجال باسلين مكافحين فى معترك الحياة فان كل حركة تحتاج الى رجال مكافحين باسلين مجاهدين مستعدين للتضحية باموالهم و اولادهم و انفسهم . و لو تخلت جمعية او حركة عن مثل هؤلاء الشباب والرجال . لكانت جامدة غير متحركة لأن الشباب المكافحين و الرجال المجاهدين فى مضطرب الحياة هم الجوارح الفعالة للاقوام و الأمم ، فالأسلام شرع التضحية وعود بها الناس على الكفاح و الجهاد فان التعاليم الأسلامية و الأحكام الشرعية توضح هذه الحقيقة ايضحاا تاما .

التضحية كما يراها الفقهاء

حيث ان القرآن و الحديث صريحان فى الدلالة على ان التضحية تحمل مكانة عظمى و اهمية قصوى فى حقل الدين الاسلامى كما ان الدراية تؤكد على اهميتها لرقى الأمة و ازدهارها تاكيداً واضحاً ، فاتفق جميع فقهاء الامة على ان التضحية التى يوديها المسلمون يوم عيد الاضحى فى شهر ذى الحجة كل

(۱) سورة الحج ركوع ٥

عام — مشروع من مشروعات الاسلام وسنة خالدة من سنن الاسلام فليس الاختلاف فيهم الا فى كون التضحية واجبة او غير واجبة فيذكر الحافظ ابن الحجر العسقلانى مذاهب الفقهاء فى التضحية و يقول فى كتابه « فتح البارى » : « باب سنة الاضحية » كان الامام البخارى ترجم بالسنة اشارة الى مخالفة من قال بوجوبها . قال ابن حزم : لايصح عن احد من الصحابة انها واجبة . و صح انها غير واجبة من الجمهور و لا خلاف فى كونها من شرائع الدين و هى عند الشافعية و الجمهور سنة موكدة على الكفاية و فى وجه للشافعية من فروض الكفاية و عن ابى حنيفة : تجب على المقيم الموسر و عن مالك : مثله فى رواية لكن لم يقيد بالمقيم و نقل عن الاوزاعى و ربيعة و الليث مثله و خالف ابو يوسف ابا حنيفة و اشهب المالكية . فوافقا الجمهور و قال احمد يكره تركها مع القدرة و عنه واجبة و عن محمد بن الحسن : هى سنة غير مرخص فى تركها . قال الطحاوى و به ناخذ . و ليس فى الآثار ما يدل على وجوبها و اقرب ما يتمسك به للوجوب حديث ابى هريرة رفعه من وجد سعة فلم يضح فلا يقربن مصلانا اخرجه ابن ماجة و احمد و رجاله ثقات لكن اختلف فى رفعه و وقفه و الموقوف اشبه بالصواب قاله الطحاوى وغيره مع ذلك فليس صريحا فى الايجاب » (١)

فالشئ الذى يتاكد من اقوال الفقهاء هو ان التضحية لم تزل سنة مشروعة من مشروعات الاسلام من بدء حياته الى الآن ، اجمع عليها جميع الفقهاء و المحدثين الكرام و العلماء العظام و جميع المسلمين القاطنين فى الاقطار العالم كله .

(١) فتح البارى ج ١٠ ص ٢

مداومة الامة على التضحية

اكبر دليل على كون التضحية سنة مشروعة فى الشريعة الأسلامية الغراء هو استمرار الامة المسلمة عـــلى التضحية من بادى ذى بدء الى الآن ، فقد مضت عـلى الأسلام حوالى اربعة عشر قرنا و لكن التضحية لم تزل سنة حية فى حيـاة الأمة المسلمة فى مدى الازمان و طوال الاجيـال ، و لم يزل جميع المسلمين مستمـرين عليها عمليا . و عددهم يتجاوز حيز الحد و الأحصاء ، فلو كانت التضحية امرا محدثا فى اية مرحلة من مراحل التاريخ لما كان يمكن ان يقبل عليها جميع المسلمين اقبالا عظيما و ما اجتمعت الامة عليها . و لما قال النبى ﷺ «لا تجتمع امتى على الضلالة »

فاجماع الصحابة و الفقهاء و المحدثين و جميع المسلمين فى اقطار العالم كله دليل واضح عـــلى كون الاحاديث الواردة حـول التضحية متـواترة ، فهذا لا يتصور فى حين من الاحيـان ان التضحية قد احدثت فى الدين فاجتمعت عليها الامة من غير كيرة و تنكير و تقاعس و تردد ، و وضعت لها احاديث عديدة متداولة فى الجامع الصحيح للبخارى و الجامع الصحيح للمسلم و غيرهما من كتب الحديث ، لأن هذا التصور يوصلنـا الى واد خطر و هو ان نتهم جميع الفقها و المحدثين و العلماء العظام بالمنافقة (عياذاً بالله) و هذا بالاضافة الى ان ذالك التصور يسمح لنا بان نقول مثل القول السـالف فى الصـــلاة و الزكوة وغيرها من مشروعات الأسلام ، فتنهار العمارة الأسلامية المنيعة و القصر المشيد الركين . (فاعوذ بالله منه الف مرة)

فتنة انكار التضحية

ان فتنة انكار الحديث التى احدثها الشيطان و ابرزها على منصة العالم فى سنة ١٩٣٣ م فى الهند قبل التقسيم ، — من اعنف النوازل و اشد الشدائد التى اصابت المجتمع الاســـلامى ، و ان هذه الفتنة قد وجهت الى التضحية اعتراضات ضعيفة ركيكة و نطقت بشبهــات حول التضحية ، مع ان التضحية قد تاكد ثبوتها من القرآن و السنة و الدراية و اقوال الفقهاء و تعامل الامة المسلمة .

ان اعداء الحديث بل اعداء الاسلام يقولون : ان التضحية الاســـلامية شئ فى غير محله مضر لنهوض الامة و ازدهارهــا ، فان انفاق الاموال فيها اضاعة و تبذير و لو انفقت الامة امـــوال التضحية فى الجمعيات القومية و اسعاف اليتــامى و مســاعدة الارامل — لكان حسنا مفيداً للامة و اسباب الاعتراض و الطعن لمنكرى الحديث فى التضحية ثلاثة ، ياتى ذكرهــا مع استعراضها .

شبهات حول التضحية

الاولى : ان التضحية من تقاليد الجاهلية و عاداتها . فانها كانت مترو جة فى القديم فى الاقوام الوحشية المتجردة عن الحضارة و التمدن و لكن الحضارة الجديدة قد اكدت على قبحها و بشاعتها ، فلم يبق قوم عاكفا عليها الان سوى

الامة المسلمة ، و الثانية : ان التضحية فيها مضرة اقتصادية عظيمة و خسارة اجتماعية فادحة ، و لا فائدة فيها عقليا و ماديا (١) و حيث أن منكري الحديث سموا انفسهم باسم خلاب و قالوا : انا اهل القرآن ، فالدليل الهام الذى يستدلون به هو ان القرآن لا يوجد فيه امر بالتضحية التى يودبها المسلمون يوم عيد الأضحى ، و يقولون : ان القرآن يعبر عن التضحية بقوله : « هديا بالغ الكعبة » فهنا تصريح بان اى هدى يهدى الى الله عزوجل من البقر و الغنم و الجمل و اسعاف اليتامى و مساعدة الارامل — تضحية . (٢)

و لكنى اقول مع الاسف الشديد على سخافة عقلهم : ان منكرى الحديث قد تعاموا عن سياق الآيات و سباقها ، مع كونهم اهل القرآن كما يزعمون ، ولو يتلون القرآن مخلصين يجدون ان القرآن بنفسه يصرح بمعنى الهدى اتم تصريح ، فيقول : « يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد و انتم حرم و من قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم ، يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة » (٣)

فان الله تعالى قد فسر بقوله : « فجزاء مثل ما قتل من النعم » و اوضح

---

(١) هذا الاعتراض ماخوذ من مقالة حول موضوع « مبحث علمى فى التضحية » يكتبها عرشى الامرتسرى نشرتها مجلة « البلاغ » عدد شهر ذى القعده سنة ١٣٥٥هـ و هى كانت تصدر عن امرتسر بنجاب بالهند .

(٢) هذا ماخوذ من اعلان نشرته فئة من منكرى الحديث البنجابية السابقة عند اقتراب عيد الاضحى فى شهر ذى الحجة سنة ١٣٦٨هـ و ماخوذ من المقالة السالفة لعرشى الامرتسرى . (٣) سورة المائده ركوع ١٢

اتم ایضاح ان الهدی لیس المــراد به ای هدی بل هو عبارة عن هدی مخصوص و هو التضحية الاسلامية التی یاتی بها المسلمون یوم عید الاضحی .

و هذا بالاضافة الی ان منکری الحدیث جعــلوا الامام فخرالدین الرازی مؤیداً لهم . فیقول الامام فخرالدین الرازی فی تفسیر الهدی : « فمعنی الهدی ما یهدی الی بیت الله عز و جل . تقــرباً الیه بمنزلة الهدیة یهدیها الأنسان الی غیره تقربا الیه » لا ریب فی ان هذا التفسیر یؤید منکــری الحدیث تائیداً واضحاً و لکن النظر الغائر یکشف النقاب عن الحقیقة و یثبت ان لمنکری الحدیث ثرثرة محضة . لأن هذا التفسیر قد بین فیه الأمام فخرالدین الرازی معنی الهدی اللغوی فحسب ، و لکنه یوضح بعد عدة سطــور معناه المصطلح فی الشــرع قائلا : « فتقدیر الآیة حتی یبلغ الهدی محله و ینحر فاذا نحر فاحلقوا » (۱)

فهذا القول یهدم عمارة زخارف القول لمنکری الحدیث و یؤکد علی ان قول المنکرین من اضغاث احلام

استعراض الشبهات

فهذه اسباب ثلاثة اتخذها منکروا الحدیث دلیــلا حاسماً عــلی انکار التضحية المتبعة فی العالم الأسلامی . فالآن انا انتقدها و ادحض دلائلها و امیز الحق من الباطل و الصواب من الخطأ انشاء الله .

(۱) التفسیر الکبیر للفخرالدین الرازی تفسیر سورة المائدة .

ان قول اهل القــرآن (كما يزعمون) : ان الامر بالتضحية لا يوجد في القرآن استهزاء بالقرآن و اجتراء عظيم على صدقه . فاننا بعد ما نمعن النظر نجد ان الاحكام التى الم بها القرآن فى التضحية ـــ على اقسام ثلاثة :
الاول هو التضحية التى هى منسك من مناسك الحج كما يقول القرآن : « و اذا بوانا لابراهيم مكان البيت واذن فى الناس بالحج ياتوك رجالا و عــلى كل ضامر ياتين من فج عميق . ليشهدوا منافع لهم و يذكروا اسم الله فى ايام معلومات عــلى ما رزقهم من بهيمة الانعام ، فكلوا منها اطعموا البائس الفقير » (١) هذه الآيات تدل على ان الله قد امر سيدنا ابراهيم عليه السلام باقامة الحج مع بناء الكعبة و استهدف ان الناس ياتون الى مكة المكرمة ويجتمعون هناك وينالون منافع دينه ودنيويه ثم فرضت فريضة الحج ومناسكه على الامة المسلمة لانها وارثة الملة الابراهيمية ، فيقول القرآن : « و لله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » (٢) و يتضمن هذا الحج التضحية كما ان الحج و مناسكه فى الملة الابراهيمية كانت تتضمن التضحية . فيخاطب الله الامة المحمدية قائلا : « و البدن جعلناها لكم من شعائر الله ، لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلــوا منها و اطعموا القانع و المعـــتر » . (٣)

و القسم الثانى هو التضحية التى يوديها الحـــاج المتمتع او القارن فدية او احصاراً او بدلا عن الجنايات التى يرتكبها الحاج المحرم . فيظهر القـــرآن

---

(١) سورة الحج ركوع ٤ . (٢) سورة آل عمران ركوع ١ . (٣) سورة الحج ركوع ٥ .

احكامها فى الآيات التالية . الآية الأولى : « و اتموا الحج و العمرة لله فان احصرتم فما استيسر من الهدى و لا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله (۱) و الآية الثانية : « فمن كان منكم مريضا او به اذى من رأسه ففدية من صيام او صدقة اونسك » (۲) و الآية الثالثة : « فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام فى الحج و سبعة اذا رجعتم » (۳) و الآية الرابعة : « يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم و من قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة » (٤)

و القسم الثالث هو التضحية التى يوديها المسلمون فى يوم عيد الأضحى فى شهر ذى الحجة ، و هذا الحكم الثالث قد امر به اولا محمد ﷺ ثم جعل ذلك الحكم عاما بالنطاق العالمى . فقال الله تعالى : « قل ان صلاتى و نسكى ومحياى و مماتى لله رب العالمين » فهذه الآية صريحة فى الدلالة على التضحية التى يوديها المسلمون يوم عيد الأضحى لأنها نزلت بمكة فهى فى معزل صريح عن الحج و مناسكه . و قول الله عزوجل : « فصل لربك و انحر » و المراد بالنحر التضحية و هى تضحية ذى الحجة لأن هذه الآية مكية و لم تكن اية تضحية رائجة فى حياة المسلمين المكية سوى تضحية ذى الحجة .

و الاعتراض الثانى على التضحية انه من تقاليد الجاهلية و عاداتها البالية ، و قد اظهر العصر الحاضر قبحها و بشاعتها فلم تبق امة عاكفة عليها

---

(۱) سورة البقرة ركوع ۸ . (۲) سورة البقرة ركوع ۸ . (۳) سورة البقرة ركوع ۲٤ . (٤) سورة المائدة ركوع ۱۲

سوى الامة المسلمة .

من المضحكات

و اعلم : ايها القارى ! ان هذا الاعتراض ماخوذ من كتاب غربي عدو للاسلام « انسائيكلو بيديا آف بريطانيكا » فعجب عــلى منكرى الحديث فوق العجب انهم لايعتمدون على صحيحى البخارى و المسلم و الموطا و غيرها من كتب الحديث ، فكيف يعتمدون على كتاب من الأوربا و يستدلون به ۰ فغير خفى ان اى كتاب من الغـــرب لا يمكن ان يبلغ فى الثقة و الاعتماد عليه درجة بلغتها « سنن ابن ماجة » و « المستدرك للحاكم » و « البيهق » و ان ضعفت فان اعداء الأســـلام ايضاً قد شهدوا بان فن الرواية فى عهـــد الأسلام فن جامع مبسوط لا يوجد فى قوم عشر عشيره .

و حيث اننا مسلمون لا مكانة عندنا لأى قول سوى قول الله و الرسول فان القرآن و الحديث يقولان بالوضوح : ان التضحية حكم قطعى حتمى يحمل حكما بالغة . فنحن المسلمين نستمسك بامر الله و الرسول و ان نجد قولا او كتابا بل الف كتاب ضد قول الله والرســـول فننكب منه جوانبنا و نطوى الكشح عنه و لا نلتفت اليه و ننبذه ورائنا .

و انا اسلم ان التضحية من عادات الجاهلية و لكنها كانت لغير الله . فجاء الأسلام و ثنى عنانها الى المركز الاصلى و هو الله البارى . و ان هذه حكمة بالغة من الحكم التشريعية فيشدى بها كل من يكون له ادنى بصيرة

في التشــــريـــع .

التضحية و الاقتصاد

و قول منكرى الحديث : ان التضحية اضاعة الاموال و هى ضد القوانين الاقتصادية و مضرة لنهوض الامة و ازدهارها . ان هذه الكلمة منتعـــوج اعوجاج فكرهم الزائف و هى اجتراء عظيم على صدق القرآن . فان القـــرآن يذكر التضحية مثنيا عليها .و يقول : « و لكم فيها خير فكلوا منها و اطعمـوا القانع و المعتر » .

فالشئ الذى يثبت فى ضوء القرآن هو ان التضحية تحمل خيراً كثيراً .
و يقول منكروا الحديث : ان التضحية مضرة جدا . ا فلا ينظرون ا الى ان الرجل الذى لا يستطيع ان ياكل طعاماً لذيذاً يطعمه المسلمون يوم عيدالأضحى طعاما شهيا . و الفلاحون و الرعاة الذين يربون المـواشى و الاغنام فيبيعونها عند اقتراب عيد الأضحى و ان الوفا من الفقراء ينالون جـلود الأضـاحى و الجزارون يجدون احرة ذبح البقـرات و الاغنام ـــ فهل هذه المنافع و الفوائد خلاف ازدهار الامة و ضد القانون الأقتصادى ؟ لا . كلا ! بل هى عين قانون الأقتصاد . و هى تقوى نظامه وتعطيه قوة واجرة زائدة .

عجب عـــلى قولهم

و من المضحكات ان منكرى الحديث يذكرون الاضرار و الفوائد حينما

يطالبهم الأسلام بتقديم التضحيات و بذل الاموال فی سبیل الله عزوعلا فلو یحملون حقاً عواطف اسلامیة و احاسیس دینیة و الشعور بادخال الاصلاح و التغیر علی المجتمع و الاحساس بالاسعاف للیتامی و مساعدة الارامل و حل ازمة اقتصادیة — لیطالبو الحکومات و الدول اولا اغلاق السینما و التمثیل و غیرهما من مراکز الاثم و اللهو و اللعب او یحدثوا فی المجتمع الأنسانی احاسیس اسلامیة . یوقظوا العقیدة و الایمان و یقوموا ببناء نظام الزکواة فتنتهی المآثم و الجرائم بذاتها ، و یتکون بعده مجتمع مزدهر فی حقل الروح و المادة و الاجتماع و الاقتصاد . فالتاریخ یحل بمداد الذهب و الفضة ان العصر النبوی و الخلافة الراشدة و خلافة عمر بن عبد العزیز قد کان یوجد فیها الاسلام بجمیع اجزائه و عناصره فی شتی نواحی الحیاة الدینیة و الاجتماعیة و السیاسیة و الاقتصادیة و کان الاسلام فی تلك الدهور متعددة الجوانب و واسع الاطراف لا یرقی الیه تعلیق او مقال — و کان المجتمع الانسانی فی ذلك العصر راقیاً مذدهراً فی جمیع میادین الحیاة و حقولها الدینیة و السیاسیة و الاجتماعیة و الاقتصادیة فان التاریخ یفقد نظیره فی مدی حیاته . فکان ذلك العهد فقد المثال و عدیم النظیر فلو کان الاسلام فی هذا العصر موجوداً بجمیع مناحیه لحل الامن و السلام فی العالم کله و خرجت الأنسانیة من الجو الضیق و اللیل المدلهم الی فضاء الحریة و الی ضیاء النهار .

و لکن منکری الحدیث قد ارتدوا عن الاسلام ذهناً و فکراً فلا یجدون نهوض الامة و ازدهارها الا بتهدیم العمارة الأسلامیة المتینة و القصر الدینی المشید قدمر الله دیارهم و شتت شملهم و مزق جمعهم (آمین) ؟

اعداد عبد الخالق
المساعد فى التحرير

انباء عن دار العلوم بديوبند

انعقد اجتماع الدورة السنوية الأخيرة لمجلس الشورى كالمعتاد فى آخر شهر رجب . و حضره اكثر اصحاب السماحة الأعضاء ، و بعد استعراض النظام الادارى و التعليمى إتخذوا عدة قرارات بشان تنمية الدار و رفع مستواه التعليمى و التربوى .

* وافق المجلس على تعيين ثلثة مدرسين للجامعة نظراً الى توسع أعمالها .
* و اقترح المجلس تعيين طالبين ، من نخبة المتخرجين ، فى قسم تكميل الأدب للتخصص فى الأدب العربى ، تحت مراقبة الاستاذ وحيدالزمان المحترم .
* جرى الامتحان السنوى شفويا و تحريريا ، من آخر شهر رجب الى نصف شعبان ، فى جميع الأقسام التعليمية، اشترك فيه حوالى الف وخمس مائة طالب .

و قد فاز بالدرجة الممتازة فى قسم الحديث (شهادة الفاضل)

(۱) محمد واصف حسين الديوبندى

(۲) حبيب الرحمن الله آبادی .

(۳) - - - - - - -

* عطلت الجامعة عطلة سنوية ، من العشرة الأخيرة من شعبان الى العاشر من شوال ، و بعد انتهاء العطلة ، بدأت نشاطها و سنتها الدراسية الجديدة للطلبة الجدد ، كما جرى تجديد التحاق الطلبة القدامى ، ثم بدأت الدروس و المحاضرات . فی الاقسام كلها من ثانية ذی القعدة سنة ۱۳۹۳ ھ .

* بدات هيئة « النادی الأدبی » لطلبة دارالعلوم . نشاطها و حركتها بعد تعيين اشخاص ادارتها من ۱۵ ذی القعده ۱۳۹۳ ھ . و عقدت اجتماعها ألافتتاحی تحت رئاسة سماحة الاستاذ مولانا حامد الانصاری غازی عضو مجلس الشوری لجامعة دارالعلوم فی ۲۵ ذی القعدة ۱۳۹۳ ھ يوم الجمعة .

استنكار جامعة دارالعلوم . عدوان اسرائيل

ارسل فضيلة الشيخ مولانا محمد طيب مدير الجامعة برقية استنكار شديد ضد العدوان الاسرائيلی . و تائيد اخواننا العرب و تضامنهم اثناء معركتهم مع اسرائيل ، الى السيد انور السادات رئيس الجمهورية المصرية و السيد حافظ الأسد رئيس الجمهورية السورية ، و مبعوث جامعة الدول العربية (دهلی) و قال فيها : نحن أساتذة دار العلوم ، و علمائها ، و طلابها و رجال ادارتها

جميعاً نستنكر شديدا عدوان اسرائيل ،ونوكد تائيدنا التام لاخواننا العرب . و نحن معهم بكل إمكانياتنا على الدوام انشاء الله .

و نسئل الله لهم نصراً مؤزراً . و توفيقاً كاملا و فتحاً مبينا .

تبرع دارالعلوم للعرب بمبلغ ٦٠٠٠ روبية

تبرعت دارالعلوم بمبلغ ستة آلاف روبية اسعافا للجروحين العرب فى معركتهم مع اسرائيل العدوانية ، و قدمها الى سعادة السفير للجمهورية المصرية فى دهلى سماحة الشيخ معـراج الحق نائب المدير و الاستاذ محمد اسلم القاسمى احد رجال الادارة ، رمزاً للعواطف التعاونية التى يحملها رجال دارالعـلوم تجاه اخوانهم العرب ، و شكر سعادة السفير اجزل الشكر على هذا التبرع و المناصرة ، و مشاركة الجامعة فى خدمة اخواننا العرب فى حربهم مع اسرائيل .

اعداد:- ابو العاص الوحيدى

احتفال عظيم نظمته دارالعلوم

بمناسبة قدوم السيد اكبر على خان حاكم الولاية الشمالية بالهند الى دارالعلوم بديوبند

ديوبند ۱۲- ديسمبر ۱۹۷۳ م قد زار السيد اكبر على خان حاكم الولاية الشمالية بالهند — مدينة ديوبند . فزار الجامعة الاسلامية دارالعلوم بديوبند على دعوة خاصة لها ، فاستقبله اساتذة الدار و المسئولون عنها بحرارة و بشروا ورحبوا به على قدومه الميمون ترحيباً حاراً ، و اقامت الدار احتفالا عظيما فى قاعة دارالحديث التحتانية الواسعة ، تكريماً للحاكم له ، و قد حضر هذا الاحتفال فضيلة الشيخ حكيم الاسلام مولانا محمد طيب مدير الدار و سماحة الاستاذ معراج الحق و سماحة الاستاذ نصيراحمد خان نائبا المدير ، و صاحب السماحة الاستاذ حامد الانصارى غازى عضو المجلس الاستشارى لدارالعلوم بديوبند ، و الشيخ فخرالحسن رئيس الهيئة التعليمية لدارالعلوم بديوبند ، و صاحب السماحة الاستاذ شريف الحسن استاذ الحديث لدارالعلوم كما حضر فى الاحتفال جميع اساتذ الدار و طلابها ، و اعيان البلدة ، و انهم

جميعاً رحبوا بالسيد اكبرعلى خان ترحيباً حاراً .

بدأ البرنامج بتلاوة الاستاذ الحافظ القارى عبد الله احد اساتذة الدار آيات من القرآن الكريم بصوت خلاب و اسلوب جذاب .

و بعد ان رحب جميـــع طلبة الدار بكلماتهم القلبية الممتزجة بالحب و الوفاء بالسيد اكبرعلى خان ترحيبا حاراً . فطلبة جميع اقاليم الهند و خارجها اعربوا عن مسرتهم و ابتهاجهم على قدوم معاليه ، فتقدم الى المنصة طالب ناطق بكل اقاليم الهند و خارجها و قدم طاقة اذهار شكره الى السيد اكبرعلى خان بلغته الوطنية . فاعرب البعض عن شكره القلبى باللغة الاردية و الآخر بالعربية و الآخر بالانكليزية و الآخــر بالفرنسية و الآخــر بالبنغالية و هلم جرا ، فجميع الطلبة قدموا طاقة اذهار متنوعة من الشكر من اعماق القلب .

بعد انتهاء برنامج الطلبه قدم فضيلة الشيخ حكيم الاســلام محمد طيب مدير الدار كلمة شكر الى معالى السيد اكبر عـــلى خان بصورة فاقت جميع الاذهار ، فاظهر فضيلة الشيخ الابتهاج و الارتياح على قدوم السيد اكبر على خان عن دارالعلوم اساتذتها والمسئولين عنها ، ورحب بالسيد اكبر على خان ترحيباً حاراً و شكره على قدومه اجزل شكر و اهناء معربا عن احاسيسه الودية و معبراً عن عواطفه الودية نحو السيد اكبر عـــلى خان . و اعترف بالخدمات التى اداها السيد اكبر على خان نحو الوطن والشعب الهندى ، فاشاد به و اثنى عليه ، و علق به رجاء حسناً فى المستقبل ، و سأل الله تعالى ان يطيل حياته و يبقيه للشعب الهندى ذخراً متقلباً فى احضان السعادة و اعطاف النعيم .

و ذكر فضيلة الشيخ الخدمات الغالية الثمينة التى ادتها دارالعلوم بديوبند

و الأسلام و المسلمين ، بان الدار خرجت علماء قادة الامم و رجال الفكر
الدعوة و ابطال الدين و السياسة ، فانبثوا فى انحاء العالم ، و جميعهم لعبوا
، حياتهم دوراً كبيراً سجله التاريخ فى ابرز صفحاته .

فاضاف فضيلة الشيخ قائلا : ان التاريخ يشهد بان المتخرجين من الجامعة
الأسلامية دارالعلوم بديوبند ، و المجازين منها ادوا خدمات غالية ثمينة فى جميع
حقول الحياة الحقل الدينى و الاجتماعى و السياسى والاقتصادى ، ففى جانب
قارموا هجمات اوربا على الأسلام و المسلمين فدافعوا عن كيانهم الاسلامى
بنشر التعليمات الأسلامية الغراء التى تلقى ضوءا كاملا على شتى مناحى الحياة
الانسانية ، ونشر توجيهات القرآن والحديث . وانهم احسوا فى جانب آخر بان
الهند قد اخذته براثن الانجليز . فصار سكان الهند مستعبدين و وقعت عليهم
اغلال الاستعباد و قيود العبودية ، فعلماء الدار شمروا عن ساق الجد و
وضعوا اقدامهم فى ميدان الكفاح و الجهاد و حاربوا الانجليز للحصول على
الحرية و الاستقلال ، فتخلصت الهند عن براثن الانجليز و تخلصت من جو
الاستعباد والضيق و ظلامه البهيم الى فضاء الحرية و ضياء النهار ، هذا الى ان
المجازين من الدار تركوا آثاراً خالدة فى ميدان الاقتصاد الوطنى و
الاجتماعى ايضاً يحتاج بيانه الى كتاب ضخم و سفر طويل .

و اخيراً اظهر فضيلة الشيخ حاجات تمس دارالعلوم بديوبند ، من قطعة
ارضية كبيرة تقع بجانب جنوب مبنى الدار ، و توفير الكهرباء بصورة دائمة
كافية و تحويل المسيل القذر المجاور للدار المار بمبنى مستشفى الكلية الطبية
لدارالعلوم — إلى جهة اخرى ، و قدم جميع تلك الحاجات إلى السيد اكبر

على خان حاكم الولاية الشمالية ، فى كلمته التى القاها .

هدية الكتب إلى سمو الحاكم

و حيث ان الكتب هى النوافذ التى تطل على حقائق الحياة و هى الزاد الفكـــرى و التراث الروحى و المتاع المعنوى للمجتمع الانسانى ، و هى التى تنبى الاقـوام و الامم عن تاريخها الماضى و تاريخ خدماتها اللامعة و تاريخ احوال و اوضاع تعتور الانسانية فى مراحل حياتها ، فالجامعة الاســلامية دارالعلوم بديوبند اهدت الى السيد اكبر على خان مؤلفات قد جرت بها اقلام العلماء الفحول و الاساتذة الافاضل المتخرجين من الدار ، و ان تلك الكتب تلم بتاريخ الجامعة الاسلامية دارالعلوم و خدماتها اللامعة التى حولت مجرى التاريخ و ادخلت اصلاحات كبيرة و تحسينات رائقة على حياة المسلمين بالنطاق العالمى و لا سيما المجتمع الاسلامى الهندى ، فهى جديرة ان تكتب فى التاريخ بالحروف الذهبية .

ثم خطب السيد اكبر على خان حاكم الولاية الشمالية امام الطلبة و اساتذة البار فى قاعـــة دارالحديث التحتانية الواسعة ، خطبة بليغة ، اشاد فيـــها بخدمات دارالعلوم .

خطاب السيد اكبر على خان

حاكم الولاية الشمالية بالهند فى دارالعلوم بديوبند فى حفل اقيم تكريما له ١٢ ديسمبر ١٣٩٣ هـ

خطب السيد اكبر عـــلى خان امام حشد من طلبة الدار و اساتذتها و المسئولين عنها و اعيان المدينة المدعـــوين ، خطبة بليغة ، فاولا اثنى بخطابه القيم على الخدمات التاريخية اللامعة التى ادتها دارالعلوم بديوبند ، فى حقـــل الدين و السياسة ، فقال السيد اكبر على خان : ان دارالعلوم اجمل مزيج من الدين و السياسة و احسن ملتقى للنشـــاطات الدينية و السياسية . فانها خرجت رجالا و ابطالا لعبوا فى حقل الدينى و السياسى كليهما دوراً كبيراً .

و اشاد السيد اكبر عليخان بالتضحيات التى اداها شيخ الهند محمودالحسن و شيخ الأسلام حسين احمد المدنى و فضيلة الشيخ عبيد الله السندى-امطر الله عليهم شآبيب رحمته ، و قال انى لم ازل امتع بذكرى هولاء الرجال و الابطال فانهم كانوا صــــوراً ناطقة للدين و السياسة ، فانى قد نشأت و ترعرعت فى ظلالهم وتعلمت السياسة بهؤلاء الرجال ، فانى اجدد ذكراهم بغاية الاحترام و التعظيم .

و اضاف قائلا : ان فضيلة الشيخ مولانا محمدقاسم النانوتوى هو الذى اقام فى سنة ١٨٥٧ م بناء الجهاد و الكفاح نحو الحرية و الاستقلال ، و انه هو الذى شرح معنى السياسة الأسلامية ، حينما نشأت حركة ترك المــــوالاة للانكليز بان السياسة الاسلامية هى ان تودى الخدمات للعدل و الانصاف و

المروءة و الانسانية فلا تفرق السياسة الاسلامية بين الكفار و المسلمين بل تمتي بهم جميعاً اعتناء بالغاً .

و مضى السيد اكبر علي خان في بيانه قائلا : انى متحير هنا فانى حاضر في المنبع الدينى و السياسى دار العلوم بديوبند ، فانى ماذا اقول هنا ؟ فانا اصغر خدام هذه الدار ، فانى ما حضرت هنا الا لتحية على هذه الجامعة . فاهدى اليها تحية و سلاماً يفوح باريج الحب و الوفاء و ابث اليها اشواقى و عواطفى

و لم يزل يقول : إن هذه الدار لم تزل مركز الجهاد و الكفاح للحرية و الاستقلال للوطن ، و انى اتمنى ان تستمروا على خدماتكم هذه نحو الوطن و تساهموا في ترقية الوطن وتنميته مساهمة واضحة ،كما ساهم اسلافكم العظام ، فان الرسول الاعظم ﷺ حث المسلمين على ان يخدموا عباد الله بخدمة الوطن فيقول الحديث الشريف بصراحة : « حب الوطن من الايمان » فانكم تعرفون معنى هذا الحديث اكثر مما اعلم .

و لفت السيد اكبر على خان نظر علماء الدار الى ناحية هامة و قال : انكم يا علماء الدار مسئولون عن حياة الطلبة ، فمن فضلكم ان تزودوهم بالزاد المادى كما تزودونهم بالزاد الفكرى و التراث الاسلامى ، ليكون الطلبة ملتقى الايمان و المادية فلا بد لكم ان تعلموا طلبة الدار صناعات يدوية و حرفا اخرى فحينما يتخرجون من هذه الجامعة ، فلا يجدون العالم ضيقاً بل يجدون ساحة فسيحة لاعمالهم الدينية و الدنيوية ، و تكون بايديهم شمعة الايمان و المادية كليهما و يقودون الانسانية في جميع الميادين .

و قال السيد اكبر على خان : انى اساعدكم يا علماء الدار في هذه الناحية

واهيئ لكم تسهيلات لازمة لجميع المراحل التي تمر بها هذه الدار .

و قال السيد اكبر علي خان كيف لااخدم دارالعلوم فانها تحمل مكانة تاريخية عظمى ، فالهند تحترم هذه الجامعة احتراماً بالغاً و هي اخرى مفاخرها.

و انتهى خطاب السيد اكبر علي خان حاكم الولاية الشمالية على كلمة الشاعر الشرق الكبير الدكتور محمد اقبال : « ان الدين لا يعطى درس التباغض و التحاسد ، فالهند موطننا و نحن سكانها »

اعلان ملکیت دعوة الحق

حکومت ہند کی وزارت اطلاعات و نشریات کا مطلوبہ بیان بابت ملکیت و دیگر تفصیلات مطابق دفعہ نمبر ۸ ضابطہ رجسٹریشن اخبارات بجریہ سنہ ۱۹٦۵ع حسب ذیل ہے ۔

۱ ۔ نام مقام اشاعت ۔ ۔ ۔ ۔ ۔ ۔ ۔ دیوبند

۲ ۔ مدت اشاعت ۔ ۔ ۔ ۔ ۔ ۔ ۔ ۔ ۔ سہ ماہی

۳ ۔ پرنٹر ، پبلشر ، ایڈیٹر ۔ ۔ ۔ ۔ وحید الزماں کیرانوی

۴ ۔ قومیت ۔ ۔ ۔ ۔ ۔ ۔ ۔ ۔ ۔ ۔ ہندوستانی

۵ ۔ پتہ ۔ ۔ ۔ ۔ ۔ ۔ ۔ ۔ ۔ ۔ ۔ ابو المعالی دیوبند

٦ ۔ مالک ۔ ۔ ۔ ۔ ۔ ۔ ۔ ۔ ۔ ۔ دار العلوم دیوبند

میں وحید الزماں اعلان کرتا ہوں کہ مذکورہ بالا تفصیلات میرے علم و اطلاع کے مطابق درست ہیں ۔

وحید الزماں کیرانوی